



جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم أصول الدين

دكتوراه التفسير وعلوم القرآن

رسالة دكتوراه

التفسير البياني في كتب معاني القرآن

دراسة في مفردات القرآن ونظمه

The Rhetoric in Books on the Interpretation of Meanings

in the Holy Quran

Study in the Vocabulary and Structure

إعداد

تمام كمال موسى الشاعر

إشراف

محمد أحمد السرحان

التفسير البياني في كتب معاني القرآن

دراسة في مفردات القرآن ونظمه

The Rhetoric in Books on the Interpretation of Meanings in the Holy Quran

Study in the Vocabulary and Structure

إبراهيم الطائي

تمام كمال موسى الشاعر

٢٠١٠٢٥٠٠٠١

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه
في تخصص التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك، اربد، الأردن

لجنة المناقشة

- الأستاذ الدكتور محمد أحمد السرحان رئيساً
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة / جامعة اليرموك.
الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية عضواً
أستاذ اللغة العربية في كلية الآداب / جامعة اليرموك.
الأستاذ الدكتور محمد يسري جعفر عضواً
أستاذ العقيدة في كلية الشريعة / جامعة اليرموك.
الدكتور زكريا علي الخضر عضواً
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن / جامعة اليرموك.
الدكتور يحيى ضاحي شطناوي عضواً
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن / الجامعة الأردنية.

الإهداء

إلى الذين يعرفون لسلفنا العظيم قدرهم ومنزلتهم، ويقدرّون نتائجهم حقّ قدره،
ولكنهم يعرفون أنّه نتاج بشريّ ينبغي مراجعته والإضافة إليه.

إلى الذين يؤمنون أنّ الأوّل ترك الآخر أشياء كثيرة، ويعلمون أنّ مقولة ما ترك
الأوّل الآخر شيئاً هي مقولة كاذبة يتستّر وراءها الذين يؤثرون الراحة.

إلى الذين يدركون أنّ التجديد ليس ثورة على كلّ شيء، ولكنّه عمل مضنٍ شاقّ لا
يستطيعه المقلدون ولا أحمقاء التجديد.

وإلى روح والدي الطاهرة - رحمه الله - الذي تنبّض كلّ خلجات نفسه بحبّ العربيّة
والشغف بعلومها وأدبها، وظلّ إلى آخر لحظة في حياته مكبّاً على درسهما، ينهل من معين
علومهما.

وإلى والدتي التي يتجسّد فيها معاني الحنو والوفاء، والتي غرست في بنينا الطموح،
ودرّبتهم على البذل والعطاء.

وإلى زوجي الغالية التي أستمّد من صبرها وحنوّها الطاقة التي تمكّنتني من
الاستمرار في مواجهة لميحب الحياة.

وإلى نور وجمال ومحمد ومالك، فهم الزهرات التي ملأ بحبّها حياتي.

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل إلى استاذي الدكتور محمد أحمد سرعان الذي كان أبا حانياً وأخاً كبيراً طوال رحلتي في مرحلة الدكتوراه، والذي له بهل على قط بوقته الثمين، ولا بحسيلة علمه الغزير، وأسأل المولى عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة العلماء أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهد، وأسندوه من نسج، للارتفاع بمستوى هذه الدراسة.

والشكر الجزيل لكل من الأساتذة الدكتور سمير شريفه استيتية، والأساتذة الدكتور محمد يسري جعفر، والدكتور زكريا علي الخضر، والدكتور يحيى خاجي شطاوي، الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة.

واتقدم بالشكر إلى عمي العزيز الأستاذ الدكتور حسن موسى الشاعر الذي أهدته كتاباً من تجميعاته النابعة من علمه الغزير.

واتقدم بالشكر إلى عمي العزيز عيسى موسى الشاعر الذي كان له أكبر الأثر في تشجيعي على دراسة الدكتوراه وتسميل ذلك.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة اليرموك، وأخص بالذكر كلية الشريعة فيها، ممثلة بجميعها وأساتذتها وطلابها.

وأشكر أيضاً الإخوة القائمين على مكتبة مسجد البيرة الكبير، فقد وجدت في مكتبتهم العامة من كنوز ما لا يستغني عنه طالب علم.

والله ولي التوفيق

المخلص

تتناول هذه الدراسة جهود أصحاب المعاني: الفراء والأخفش والزجاج والنحاس في مجال التفسير البياني، بما يكشف عن منهجهم في دراسة المفردة ودلالات النظم، وتوظيف ذلك في التفسير.

فبدأت بتعريف التفسير البياني، وعرضت موجزا لتطوره، ثم بينت أهم المؤلفات في معاني القرآن، وقدمت تعريفا موجزا بكل من الأئمة الأربعة محل الدراسة.

وفي مجال المفردة عرضت لجانبي البنية والدلالة، فتناولت الاشتقاق، ومعاني الأبنية، ومعاني زيادات الأفعال، وما لذلك من أثر في اتساع الدلالة، وألمحت إلى جهود أصحاب المعاني في بيان الفروق المتعلقة بذلك.

ثم تناولت بعد ذلك جهودهم في مجالي دراسة النظم والتركيب وصلة ذلك بالمعنى، فبدأت بتعريف نظرية النظم، ثم عرضت للنظم من جانبين، أولهما: داخل الجملة والواحدة، وثانيهما: بين الجمل، فتناولت في الجانب الأول موضوع الحذف والذكر، وفي الجانب الثاني موضوع الفصل والوصل.

ثم عالجت الدراسة أثر الجانب البياني عند أصحاب المعاني في مجالي التفسير العقدي والفقه، وبينت أثر توظيف مباحث البيان في توجيه المعنى في المجالين المذكورين.

ثم ختمت الدراسة بالنتائج والتوصيات.

الفهرس

الصفحة	المحتوى
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الملخص
و	فهرس المحتويات
ح	المقدمة
ط	حدود الدراسة
ط	أهمية الدراسة
ي	أسباب اختيار الموضوع
ك	مشكلات الدراسة
ك	أهداف الدراسة
ل	منهج الدراسة
ل	الدراسات السابقة
1	التمهيد
2	المبحث الأول: تعريف التفسير البياني
3	المطلب الأول: تعريف التفسير البياني باعتبار الجزأين
8	المطلب الثاني: تعريف التفسير البياني باعتباره مركبا وصفيا
15	المبحث الثاني: نشأة التفسير البياني وتطوره
20	المبحث الثالث: التأليف في معاني القرآن
24	المبحث الرابع: لمحات عن أصحاب المعاني
25	المطلب الأول: تعريف موجز بأصحاب المعاني
35	المطلب الثاني: المنهج في كتب معاني القرآن
43	الفصل الأول: المفردة القرآنية عند أصحاب المعاني
44	المبحث الأول: البنية والدلالة عند أصحاب المعاني
45	المطلب الأول: خصائص المفردة القرآنية
48	المطلب الثاني: الاشتقاق والتفسير
55	المطلب الثالث: معاني الأبنية
59	المطلب الرابع: بنية الكلمة واتساع الدلالة
67	المطلب الخامس: الفروق بين دلالة الأبنية

72	المطلب السادس: التناوب بين الصيغ الصرفية
82	المطلب السابع: معاني زيادات الأفعال
86	المطلب الثامن: الفروق بين ما يضم ترادفه عند أصحاب المعاني
99	المبحث الثاني: التضمين
119	الفصل الثاني: دلالة النظم عند أصحاب المعاني
120	المبحث الأول: تعريف بنظرية النظم
126	المبحث الثاني: مباحث الخبر والإنشاء عند أصحاب المعاني
127	المطلب الأول: تعريف الخبر
128	المطلب الثاني: إغراض الخبر
139	المطلب الثالث: اضرب الخبر
153	المطلب الرابع: الإنشاء
165	المبحث الثالث: الذكر والحذف
199	المبحث الرابع: الفصل والوصل
218	الفصل الثالث: التفسير العقدي عند أصحاب المعاني
220	المبحث الأول: البحث في الإلهيات عند أصحاب المعاني
234	المبحث الثاني: التأويل عند أصحاب المعاني
247	المبحث الثالث: رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى يوم القيامة
255	المبحث الرابع: الخلاف في صفة الكلام
258	المبحث الخامس: المباحث المتعلقة بالنبوات
267	الفصل الرابع: التفسير الفقهي عند أصحاب المعاني
269	المبحث الأول: المباحث الأصولية
277	المبحث الثاني: تفسير آيات العبادات
291	المبحث الثالث: تفسير آيات المعاملات
298	المبحث الرابع: تفسير الآيات المتعلقة بأحكام الأسرة
305	الخاتمة
306	النتائج والتوصيات
308	المراجع
311	فهرس الآيات والأحاديث
	الملخص باللغة الانجليزية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن من خير ما يتوجه إليه طالب العلم أن ينهل من معين الأئمة الكبار، الذين أكرمهم الله سبحانه، فكان لهم الأثر العظيم، والفضل الكبير على كل من جاء بعدهم. فدراسة جهود هؤلاء العلماء واجب على الأجيال، لأن كتبهم تشد القريحة، وتثير السبيل، وتفتح آفاقا واسعة للبحث.

وإذا كان هذا ينطبق على تراث علمائنا كلّه، فإنه أكثر ما يكون انطباقا على الجهود العظيمة التي صدرت عن عقول كبيرة في خدمة كتاب الله سبحانه، وتأمّل معانيه، وتأسيس قواعد فهمه وتدبره.

ومن هؤلاء الذين ما زالت مؤلفاتهم منجما يحتاج إلى التنقيب فيه لاستخراج كنوزها أصحاب كتب معاني، الفراء (ت 207 هـ) والأخفش الأوسط (ت 215 هـ)، والزجاج (ت 311 هـ) والنحاس (338 هـ).

ومع أن دراسات كثيرة قامت حول جهودهم، إلا أنه لا يوجد - في حدود ما أعلم - من درس توظيف الجانب البياني في التفسير عندهم، مع ما لهذا الجانب من عظيم الأهمية، ولذا فقد اخترت أن يكون هذا موضوع دراستي.

وبدأت الدراسة بتمهيد عن التفسير البياني، عرضت فيه بإيجاز تعريفه ونشأته وتطوره، ثم تناولت بعد ذلك الجانب البياني في كتب معاني القرآن للفراء والأخفش والزجاج والنحاس، عبر

دوائر ثلاث، الأولى: المفردة القرآنية، والثانية: دلالات النظم في الجملة الواحدة، والثالثة: دراسة نظم الجمل عند أصحاب المعاني.

وفي الدائرة الأولى: وقفت عند بنية المفردة القرآنية ودلالاتها، وتناولت الاشتقاق ومعاني الأبنية ومعاني زيادات الأفعال. وفي الدائرة الثانية: تناولت الذكر والحذف، والتقديم والتأخير. وفي الدائرة الثالثة: تناولت الفصل والوصل.

ثمّ عرضت لتوظيف الجانب البياني عندهم في مجالين مهمّين: أولهما: تفسير آيات العقيدة، وثانيهما: تفسير آيات الأحكام.

حدود الدراسة:

يتّضح أنّ الدراسة تنصبّ على دراسة جهود أصحاب المعاني في توظيف الدراسة البيانية في التفسير، وهي تتناول جهودهم في مجالي المفردة والتركيب، وهي لا تعرض للنحو أو القراءات أو منهج التفسير عندهم إلا في حدود ما يتّصل بغرضها.

أهميّة الدراسة:

لا يخفى ما للتفسير البياني من أهميّة كبرى سواء في بيان معاني أي الذكر الحكيم، أو في الكشف عن سموّ التعبير القرآني ودقّته وروعته، ورغم ما حظي به من اهتمام العلماء في القديم والحديث، فإنّه لا يزال محتاجاً إلى جهود جبّارة في مجال تأصيله وتقعيده وتوظيفه بما يخدم في الكشف عن مقاصد القرآن وأسراره وهداياته. فالباب يظلّ مفتوحاً لدراسة البيان القرآني الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

ومن أدوات دراسة البيان القرآني الاستفادة من جهود العلماء الكبار في مجال اللغة والبيان، وهو مجال لم يُعطَ ما يستحقّه من الاهتمام، وما زالت آراء أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب والكسائي والمبرد وثلعب وقطرب في مجال دراسة بيان القرآن ونظمه بحاجة لمن ينقّب عنها، ويصوغها على نحو يكشف عمّا تقدّمه من إضافات في فهم القرآن وأسلوبه.

ولا ريب أنّ أصحاب المعاني الأربعة الذين هم محلّ هذه الدراسة، قد وقفوا على جهود من كان قبلهم، وأفادوا منها وأضافوا إليها بما هدتهم إليه بصيرتهم ودرسهم، فهم من الرواد الذين أسسوا مجال التفسير البياني، وخطوا خطوات واسعة فيه، مستفيدين من معرفتهم العميقة في اللغة العربيّة، وذائقتهم المميّزة في تناول النصوص من الشعر والنثر، وقد استفاد من جهودهم من جاء بعدهم، وظلّ صدى آرائهم النيرة يتردّد في صفحات كتب التفسير.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختيار الموضوع لما يلي:

1- الأهميّة الكبرى لدراسة أسلوب القرآن وبيانه، على نحو عميق يؤصّل القواعد، ويرسم المناهج، ويقدم الأدلّة والبراهين بما يكشف عن جمال التعبير ودقّة التصوير.

2- الأهميّة الكبرى لدراسة المنهج البياني في التفسير من حيث تعريفه وتطوّره ومجالاته، وجهود الأئمة الكبار في تأسيسه.

3- الأهميّة الكبرى لكتب معاني القرآن، لما تميّز به مؤلفوها من مقدرة كبيرة وإطلاع واسع في مجال اللغة والأدب، مع تقدّمهم الزمني الذي جعل منهم رُوّادا في هذا المجال.

4- الأهمية الكبرى لتوظيف جهود علماء اللغة والنحو والبيان في شقّ الطريق نحو رؤية أوسع وأعمق لأسلوب القرآن وإعجازه، تستفيد من آرائهم في معاني النحو وفقه اللغة وتفسير الألفاظ واكتناه أسرار التعبير.

مشكلات الدراسة:

تُعنى هذه الدراسة بأن تسهم في الإجابة على الأسئلة الآتية:

- 1- ما المقصود بالتفسير البياني؟ وما حدوده وأغراضه؟
- 2- ما الإسهامات التي قدّمها أصحاب المعاني في مجال دراسة البيان القرآني على مستويي المفردة والنظم؟
- 3- كيف وظّف أصحاب المعاني ثقافتهم اللغوية الرفيعة في تفسير الآيات التي تتناول موضوعات العقيدة والتشريع.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- 1- أن تعرّف التفسير البياني، وأن تبيّن أصوله ومجالاته.
- 2- أن توضح إسهامات أصحاب المعاني في خدمة البيان القرآني.
- 3- أن توضح بعض ما جاء مُجملاً في الموضوعات التي عرضوا لها بما يزيدها وضوحاً وجلاءً.

4- أن تقدّم إضافة - ولو متواضعة - في دراسة أسلوب القرآن ونظمه مستفيدة من جهود

الأئمة أصحاب المعاني.

منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على استقراء وجمع وتصنيف ما جاء في كتب المعاني، ثمّ تناوله بالاستنباط والتحليل والنقد.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت كتب المعاني، فمنها ما درس الجانب النحوي فيها، ومنها ما تناول القراءات وتوجيهها، ومنها ما درس مناهج أصحابها في التفسير، ومنها ما تناولها من زاوية البحث الدلالي عند أصحابها، ولكنّي لا أعلم عن وجود دراسة اختصّت بتناول جانب التفسير البياني في كتب معاني القرآن، وتوظيف ذلك في التفسير.

ومن الدراسات التي لا بدّ من الإشارة إليها:

1- كتب معاني القرآن (الأخفش الفراء الزجاج) ومناهج مؤلفيها، للباحث ناجح محمد عبد

الحميد البعول، وهي رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث إلى الجامعة الأردنية سنة 1996م .

وقد اطلعت على الرسالة، فوجدت أنّ صاحبها بدأ رسالته بالترجمة لكلّ من أصحاب المعاني، وبيان منهجه على نحو عام، وقد استغرق هذا نحو خمسين صفحة من الرسالة، ثمّ تحدّث عن التفسير بالمأثور عندهم وقد استغرق هذا البحث نحو عشرين صفحة، ثمّ تناول الباحث موقف أصحاب المعاني من اللغة، من حيث تفسيرهم للمفردات واشتقاقها، واهتمامهم بلهجات العرب ولغاتهم، وموقفهم من الاستشهاد بالشعر ومن القراءات القرآنيّة، ورأيهم في حروف الزيادة،

واستغرق هذا أكثر من مائة وعشرين صفحة من الرسالة. ثم ختم رسالته بالحديث عن أهمية كتب المعاني، وأثرها في الكتب التي تلتها.

ومن خلال العرض السابق لموضوعات هذه الرسالة يتضح أنها لم تعرّج على الجانب البياني في كتب المعاني، ولم توله شيئاً من الاهتمام.

2- البحث الدلالي في كتب معاني القرآن لأبي عبيدة والأخفش والفراء، وهي رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث عمار أمين الددو إلى الجامعة المستنصرية سنة 1995 هـ .

وهذه الرسالة موجودة على الشبكة الإلكترونية، وقد اطلعت عليها ووجدت أنها لم تتناول في شيء من مباحثها المجال البلاغي، فقد كان الفصل الأول منها عن مصطلح معاني القرآن ونشأته، وكان الفصل الثاني عن القرائن الدلالية في كتب المعاني، وتناول فيه الدلالة السياقية، وأسباب النزول، والدلالة النحوية، وأثر لغات العرب وأشعارها في الدلالة على المعنى، وختم بالحديث عن أثر القراءات في توجيه المعنى.

أمّا الفصل الثاني من الدراسة فتناول موضوع التطور الدلالي في كتب أصحاب المعاني، وكان الفصل الثالث حول ظواهر دلالية، حيث عرض الباحث للترادف والاشتراك والتضاد.

3- كتب معاني القرآن حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة منهجية، للباحث عبد الكاظم محسن الياسري، وهي رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث إلى جامعة البصرة.

وهذه الرسالة لم أتمكن من الوصول إليها، غير أنّ عنوانها لا يدلّ على أنها تُعنى بالجانب البياني.

4- جهود المفسرين في البحث البلاغي (أبو عبيدة والفراء وابن قتيبة)، للباحثة منيرة محمد

فاعور، وهي رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة إلى جامعة دمشق عام 1996 هـ.¹

وقد اطلعت على هذه الرسالة في مكتبة الجامعة الأردنية، ووجدت أنها تعنى بكتاب الفراء من

المنظور البلاغي الصرف، لا من الزاوية التي ينظر منها المتخصص في التفسير.

أما الدراسات التي تناولت الجانب النحوي في كتب معاني القرآن فكثيرة، ومن أهمها:

1- اختيارات الأخفش النحوية في كتابه معاني القرآن للباحث محمد نور بن مت، وهي

رسالة ماجستير تقدم بها الباحث في جامعة اليرموك عام 1995 م.²

2- الظواهر اللغوية في معاني القرآن وإعرابه لأبي اسحق اللزجاج، للباحثة وفاء عباس

فياض الديلمي، وهي رسالة ماجستير تقدمت بها الدارسة إلى جامعة بغداد عام 1995 م.³

3- مسائل الخلاف النحوية والتصرفية بين النحاس والفراء في كتابيهما معاني القرآن

وإعراب القرآن جمعاً ودراسة، للباحث إبراهيم حمد المحميد، وهي رسالة ماجستير تقدم بها

الباحث إلى جامعة محمد بن سعود الإسلامية عام 1416 هـ.

4- المصنفات الأولى في معاني القرآن (أبو عبيدة والأخفش والفراء) والدراسات الصرفية

والنحوية، للباحث ياسر محمد خليل الحروب، وهي رسالة دكتوراة تقدم بها الباحث إلى جامعة

القدس يوسف في لبنان عام 2002 م.⁴

1 - أشار إليها الدكتور عبد الله الجبوسي في كشفه عن الدراسات القرآنية رقم 296 ص: 32.

2 - أشار إليها الأستاذ عبد الله الجبوسي في كشفه عن الدراسات القرآنية رقم 3076 ص: 307.

3 - أشار إليها الدكتور عبد الله الجبوسي في كشفه عن الدراسات القرآنية رقم 3388 ص: 336.

4 - أشار إليها الدكتور عبد الله الجبوسي في كشفه عن الدراسات القرآنية رقم 3515 ص: 348.

ومن الدراسات التي تناولت القراءات في كتب معاني القرآن:

1- ظواهر لسانيّة في القراءات القرآنيّة من خلال كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء،

للباحث رشيد سهلي، وهو رسالة ماجستير، قدمت سنة 1997م¹.

2- علل اختيارات الفراء في القراءات القرآنيّة، للباحث مازن أحمد الفارس المحمود، وهي

رسالة ماجستير، قدّمت لجامعة اليرموك سنة 1987م².

وهاتان الرسالتان في موضوع القراءات ولا تعرض للجانب البياني كما هو ظاهر من عنوان

كلّ منهما.

ومن الواضح ممّا سبق أنّ الدراسات عن كتب معاني القرآن انصبّ أكثرها على الجانب

النحوي، وأنّ الدراسات التي تناولت الجانب البلاغي في كتب معاني القرآن لم تدرس ذلك من

زاوية تطبيقه في التفسير عند هؤلاء الأئمّة، وهو جانب مهمّ، أسأل الله سبحانه أن تكون هذه

الرسالة مقدّمة جهود للتوسّع في بحثه ودرسه، فكاتب هذه الرسالة بعلمه القليل وعقله الكليل أقل من

يسدّ هذه الثغرة، وحسبه أنّه حاول، وعزاؤه أنّ من اجتهد فأخطأ فله أجر، ورجاؤه أن يجد العفو

عن الزلات والتغاضي عن العثرات، فذلك المأمول من الكرام.

وفي الختام أسأل الله سبحانه التوفيق والسداد، كما أسأله سبحانه أن يجزي أستاذي الدكتور

محمد سرحان خير الجزاء على ما حباني به من عطفه وحنوّه، وما أفادني به من إرشادات تدلّ

على علمه الغزير.

¹ - أشار إليه الدكتور الجبوسي ولم يذكر الجامعة التي قدّمت لها الدراسة، رقم 3384، ص: 336.

² - أشار إليه الدكتور الجبوسي في كشفه عن الدراسات القرآنيّة، رقم 3401، ص: 337.

التمهيد

وفيه المباحث الآتية

المبحث الأول: تعريف التفسير البياني.

المبحث الثاني: تطوّر التأليف في كتب معاني القرآن

المبحث الثالث: التأليف في معاني القرآن.

المبحث الرابع: لمحات عن أصحاب المعاني

المبحث الخامس: المنهج في كتب معاني القرآن

المبحث الأول

تعريف التفسير البياني

تتعدد مسالك التفسير، وتتضافر للوصول إلى مقاربة المعنى القرآني، ومحاولة النفاذ إلى مقاصده ووجوه هدايته، والمنهج البياني يُعنى بدراسة المفردات والتراكيب ليكشف عن دقة التعبير وجمال التصوير في القرآن الكريم موظفاً ذلك من أجل النفاذ إلى المعنى وكشف أسرارهِ.

وتعريف التفسير البياني يقتضي التعريف أولاً بالتفسير، ثمّ بالبيان، لنعرّف بعد ذلك التفسير البياني باعتباره علماً على منهج من مناهج التفسير.

المطلب الأول: تعريف التفسير البياني باعتبار الجزئين:

التفسير لغة:

تدلّ مادّة الفاء والسين والراء على بيان شيء وإيضاحه، ومن ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ¹.

وقال في مختار الصحاح: الفَسْرُ البيان، وبابه ضرب والتفسيرُ مثله واستفسره كذا سألَه أن يُفسره².

وقال الزمخشري: هذا كلام يحتاج إلى فسرٍ وتفسير، وفسر القرآن وفسّره. ونظر الطبيب في تفسرة المريض وهي ماؤه المستدلّ به على علّته، وكذلك كلّ ما ترجم عن حال شيء فهو تفسرته³.

1 - ابن فارس، أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1/1979 (ج4/504).

2 - الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1/1995 (ج1/517).

3 - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط1/ 1998 (ج2/22).

ويذكر الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتيان¹ أقوالا في المعنى اللغوي الذي يرجع إليه التفسير بمعناه الاصطلاحي، فمنهم من يراه من التفسير، وهي ماء المريض الذي يراه الطبيب ليعرف منه العلة، ومنهم من يقول: هو مقلوب الفعل سفر الدال على الكشف أيضا، ومنه أسفر الصبح، وقال تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾² أي كشف الأشياء بضوئه.

قال الراغب: السفر: كشف الغطاء، ويختص ذلك بالأعيان، نحو: سفر العمامة عن الرأس، والخمار عن الوجه³.

وقد لاحظ العلماء العلاقة بين السفر والفسر، إذ كلا الفعلين يدلّ على الكشف والبيان، غير أنّ الفسر يكون ببيان معاني الكلام، والسفر بإبراز الأعيان للأبصار، والذي نراه أنّ الفسر ليس مقلوب السفر كما هي عبارة الزركشي، بل العلاقة بين السفر والفسر تتدرج تحت ما سمّاه ابن جني بالاشتقاق الأكبر، وعرفه بقوله: "أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"⁴.

1 - الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط3/ 1987 (ج2/ 147)؛ والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4/ 1992 (ج4/ 192).

2 - سورة المدثر: الآية 34.

3 - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1/ 1993، ص: 412.

4 - ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3/ 1997 (ج2/ 134).

وملاحظة المعنى المشترك بين التقاليب المختلفة ليس من باب القلب، فما نجده من علاقة بين الأفعال: "قول" و"ولق" و"قلو" و"لوق" إذ كلها تدلّ على خفة وسرعة، ليس من باب القلب، بل كل منها أصل، وكذلك ما نجده من علاقة بين "كلم" و"لكم" و"ملك" و"كمل" إذ كلها تدلّ على قوّة وشدة، ولا يعني ذلك أنّ شيئاً منها مقلوب عن الآخر¹.

وقد أحسن ابن جنّي نفسه التعبير عن ذلك عندما قال: "اعلم أنّ كل لفظين وُجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعاً أصليين ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره"².

وعلى ذلك لا يستقيم القول بأنّ التفسير من السفر، والفسر مقلوب عنه، بل التفسير من الفسر، وتربطه بالسفر علاقة، كما في كثير من الأفعال التي تشترك في معنى بعيد، وهي تقلبيات مختلفة لنفس الجذر.

وكذلك لا يصحّ القول بأنّ التفسير من التفسرة، وهي ماء المريض الذي ينظر فيه الطبيب ليعرف العلة، إذ هذا المعنى لا يزيد عن كونه مثلاً وفرعاً لما يدلّ عليه الفعل فسر من الكشف والبيان، فهذا أصل معناه، وذاك فرع عنه، ولا يجوز أن يُجعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً.

التفسير اصطلاحاً:

وإذا كان التفسير لغة من الفعل فسر الدال على الكشف والبيان فإنّ التعريفات التي ذكرها العلماء له لا تخرج عن أن تربط هذا المعنى اللغوي بالقرآن الكريم، فأبو حيان يعرفه بأنّه: "علم

1 - ابن جنّي، الخصائص (ج1/5-15).

2 - ابن جنّي، الخصائص (ج2/69).

يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتنتميات لذلك¹. ومراده بكيفية النطق: علم القراءات، ومدلولات الألفاظ: علم اللغة، وبالأحكام الإفرادية والتركيبية ما يشمل التصريف والإعراب وعلم البيان والبدیع، وشمل قوله "معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب": ما دلالاته بالمجاز، وقوله "وتنتميات ذلك": النسخ وسبب النزول ونحو ذلك.

ويعرفه الزركشي بقوله: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"².

وعرفه الزركشي في موضع آخر في كتابه البرهان بقوله: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيا ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها"³.

وأرى أن التعريف الأول للزركشي هو الأقرب إلى بيان حقيقة التفسير وغرضه، الذي هو الكشف عن مراد الله - سبحانه وتعالى - بقدر الطاقة البشرية، مع ما يتسم به هذا التعريف من الإيجاز والتحديد، فالمفسر يقصد بالدرجة الأولى إلى بيان المعنى، ويوظف العلوم المختلفة من

1 - أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط2/ 2001 (ج1/ 26).

الناشر: دار الفكر - بيروت

2 - الزركشي، البرهان (ج1/ 13)، وانظر: الإتيان (ج4/ 195).

3 - الزركشي، البرهان (ج2/ 148).

قراءات وأسباب نزول ونسخ وعلوم لغة من أجل خدمة هذا الغرض، ولذا عرف الطاهر بن عاشور التفسير بأنه: "العلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"¹.

ويُنقَد التعريف الأخير للطاهر بأنه حصر التفسير في الألفاظ، مع أن التفسير يتناول أيضا التراكيب والجمل.

ولذا فتعريف الزركشي الأول للتفسير أقرب وأصوب، وقريب منه ما عرفه به الدكتور الخالدي من أنه: "علم يتم به فهم القرآن، وبيان معانيه، والكشف عن أحكامه، وإزالة الإشكال والغموض عن آياته"².

البيان لغة: البين موضوع للفصل بين الشيئين، يقال: بان كذا أي: انفصل وظهر ما كان مستترا منه، ولما اعتبر فيه معنى الانفصال والظهور استعمل في كل واحد منفردا، ومن الأمثلة على مجيئه في القرآن بمعنى الوضوح والظهور قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾³ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁴، والبيّنة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة، والبيان الكشف عن الشيء ويكون بالنطق أو الكتابة أو الإشارة أو بدلالة الحال، وسُمّي الكلام بيانا كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾⁵ لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره⁶.

1 - ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط2/ 1984 (1/ 11).

2 - الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج الدارسين، دار القلم، دمشق، ط3/ 2008، ص: 24.

3 - سورة الزخرف: الآية 63.

4 - سورة الأنعام: الآية 55.

5 - سورة آل عمران الآية 138.

6 - الراغب، مفردات القرآن ص: 157- 158.

المطلب الثاني: تعريف التفسير البياني باعتباره مركبا وصفيا:

تقدم تعريف جزئي المصطلح، أما التفسير البياني باعتباره علما على منهج من مناهج التفسير ومسالكه فلا نجده في كتب التراث فيما أعلم، وإن كان علماؤنا الأفذاذ قد فتحوا منافذه، وسلكوا مسالكه، وقدموا جهودا جبارة جديرة بالاحترام في هذا المجال.

أما المعاصرون فقد كان الشيخ أمين الخولي من المتقدمين في محاولة تحديد هذا المنهج ورسم خطواته، وهو يرى أن الدراسة البيانية للقرآن تقوم على أمرين، أولهما: دراسة حول القرآن، وثانيهما: دراسة في القرآن .

ودراسة ما حول القرآن: تنقسم إلى دراسة عامة ودراسة خاصة، ويقصد بالدراسة العامة ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن، وبالدراسة الخاصة ما يتعلق بتاريخ القرآن ونزوله وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه.

وأما دراسة القرآن نفسه فتتقسم عنده إلى قسمين أيضا: أولهما: دراسة في المفردات من ناحية معناها اللغوي، ومن ناحية معناها القرآني.

وهذا يقتضي وضع ترتيب زمني لتدرج دلالات الألفاظ ليعرف معنى اللفظة الواحدة وقت نزول القرآن الكريم ومعناها بعد أن تداولتها أفواه مختلفة الألوان والدماء ليتم التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني .

وهذا يستلزم من المفسر الأدبي أن ينظر في الألفاظ القرآنية من ناحيتين: أولاهما: النظر في المادة اللغوية للفظ الذي يريد تفسيره، ليميز المعاني اللغوية عن غيرها، وينظر في تدرجها، وثانيهما: دراسة المعنى الاستعمالي للمفردة في القرآن بتتبع ورودها فيه كله.

وأما دراسة التراكيب فيستعين المفسر فيها بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة .. الخ ولكن لا على أن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته، ولا لون يلون التفسير كما كان الحال قديماً. بل على أنه أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده¹.

ومن بعد أمين الخولي جاء تلميذه الدكتور شكري عياد ليضيف إلى العناصر السابقة عنصراً مهماً في البحث الأدبي في القرآن الكريم، فهو يرى أن وراء البحث في المفردات والأساليب بحثاً آخر لا يتم التفسير الأدبي إلا به، وهو البحث في المرامي الإنسانية والاجتماعية للقرآن الكريم، ويقول موضحاً ما يذهب إليه: "وليس البحث في هذه المعاني مطلباً وراء التفسير الأدبي للقرآن ... بل هو من صميم التفسير الأدبي، وإذا أردنا أن ندرس القرآن درساً أدبياً كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة، فليس يكفي الباحث حين يتصدى لدراسة كتاب من عيون الأدب أن يبين معاني ألفاظه، ووجوه البلاغة في تعبيره، إذا لم يفرغ جهده في بيان قيمته الإنسانية، بإبراز ما يضيفه إلى النفس الإنسانية من وعي جديد بذاتها وإدراك دقيق لما حولها، إدراكٍ يمتزج فيه التفكير والوجدان امتزاجاً لا يتأتى في غير الأدب الرفيع"².

وتعقيباً على ما ذكره الأستاذ لا بد من إبراز ملحوظتين:

الأولى: من البين أن الدراسة الأدبية للقرآن الكريم تختلف عن دراسة أي إنتاج أدبي إنساني، وذلك لما للقرآن من قداسة عالية، فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم خبير.

1 - الخولي، أمين، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، بيروت، ط1/ 1961، ص 632؛ والشريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن، دار السلام، القاهرة، ط2/ 2003، ص499.

2 - عياد، شكري، يوم الدين والحساب، دار الوحدة، بيروت، ط2/ 1980، ص: 9-10.

وإذا كان من المهم الاستفادة من المناهج اللغوية والأدبية الحديثة فإن شرط ذلك أن يأتي منسجماً مع قداسة القرآن، وبأنيا على نتاج الأفاضل من علماء الأمة، مستكملاً لما أسسوه وشادوه في مجال خدمة القرآن الكريم وكشف معانيه وأسراره.

والثانية: أن ما ذكره الأستاذ شكري عياد يخرج بالتفسير الأدبي أو البياني عن التحديد والتميز عن سائر وجوه التفسير، إذ يدخل فيه التفسير التحليلي بكل مجالاته العقدية والتشريعية وغيرها، وسيأتي مزيد لبيان هذه القضية بعد قليل.

ومن محاولات المعاصرين الأخرى في تحديد التفسير البياني أو الأدبي ورسم مناهجه نذكر

ما يلي:

1- عرفه الدكتور محمد الصغير بأنه الذي يدور حول بلاغة القرآن في صوره البيانية، من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل وفصل، وما يتفرع عن ذلك من استعمال حقيقي أو مجازي، أو استدراك لفظي أو استجلاء للصورة وتقويم للبنية، أو تحقيق العلاقات اللفظية أو المعنوية¹.

2- بين الأستاذ المبارك منهجه في التفسير البياني الذي يقوم على تلخيص الفكرة العامة للسورة أو النص، ثم بسط ما تضمنته من أفكار، وكشف ما بين هذه الأفكار من صلة، مع ربطها بما تضمنته القرآن من مفاهيم، ثم الانتقال بعد ذلك إلى دراسة الآيات من حيث تراكيبها وجملها ومفرداتها، وما لهذه التراكيب والألفاظ من خصائص أدبية بارزة، سواء من جهة أداء المعنى وحسن التعبير عنه وقوته ودقته، أم من جهة اللفظ وجرسه ونغمته، وما لذلك كله من صلة بالفكرة

1 - الصغير، محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1/ 1983،

المعروضة، والفن الأدبي الذي عُرضت الفكرة عن طريقه¹.

ثم قال: "إنّ التفسير الأدبي يشمل هذه الجوانب كلّها: فكرة النصّ، وهدفه، والجوّ الذي يثيره، وأسلوب التعبير وفنّه، والأسلوب اللفظي، على أن يُربط بين هذه الجوانب كلها، وتُجعل في إطار واحد يجمعها"².

3- ويرى الدكتور هرماس أنّ الاتجاه البياني أو الأدبي في التفسير يُعنى ببلاغة القرآن، ويهتمّ بأمور ثلاثة فيه:

فهو يبحث أولاً في صياغة الألفاظ وترتيب إيرادها في الآي والسور، ويهتم ثانياً بالمعاني التي يفيدها تركيب هذه الألفاظ في القرآن، ويدرس أخيراً العلاقة التي تربط الآي بعضها ببعض والسور كذلك، وهو ما اصطلح عليه بعلم المناسبة³.

4- أمّا الدكتور فاضل السامرائي فعرفّ التفسير البياني بأنّه التفسير الذي يبيّن أسرار التركيب في التعبير القرآني، فالعناية فيه تنصبّ على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى⁴.

1 - المبارك، محمد، دراسة أدبيّة لنصوص من التنزيل، دار الفكر، مكة المكرمة، ط1/ 1973، ص: 7-8.

2 - المرجع السابق، ص: 8.

3 - هرماس، عبد الرزاق إسماعيل، الاتجاه البياني في التفسير: نشأته وتطوّره، مقالة منشورة في مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد 325، سنة 1997، ص: 32.

4 - السامرائي، فاضل، على طريق التفسير البياني، دار الفكر، عمان، ط1/ 2011، (ج1/ 7).

والذي نخلص إليه من هذه التعريفات:

1- إنّ التفسير البياني يتجاوز علم البيان بمعناه الاصطلاحي عند علماء البلاغة، فالبيان عندهم: "علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"¹. وهو بهذا المعنى قسيم لعلمي المعاني والبدیع، غير أنّ التعريفات السابقة تشترك في أنّها تجعل التفسير البياني شاملاً لدراسة المفردة والتراكيب، وعليه فهو يشمل علوم البلاغة كلها، ويتجاوزها إلى دراسة ما يتعلّق بالمفردة القرآنيّة وجماليّاتها المنبثقة عن البنية أو الانسجام مع السياق.

2- إنّ التفسير البياني يتجاوز الدرس اللغوي الذي يُعنى بالمعنى المعجمي للمفردة، أو البنية الصرفيّة للكلمة، أو التركيب النحوي للأية، ليبرز جمال التعبير ودقّة التصوير وكمال الاتساق وأسرار النظم.

3- إنّ التفسير البياني ينفذ إلى المعاني الأساسيّة والثانيّة للقرآن الكريم، متخذاً من المباحث اللغويّة والأدبيّة والبلاغيّة جسراً يعبر من خلاله إلى آفاق المعنى القرآني وأسرار هدايته في المجالات كلّها العقديّة والتشريعيّة وغيرها².

وذلك أنّ النظم والمعنى وحدة متكاملة لا تقبل الانفصام، وهذا ما قرّره الخطابي في قوله المشهورة: "إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم به، ورباط لهما ناظم"³.

1 - انظر: السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، عروس الأفراح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1/ 2003 (ج2/ 5)؛ والتفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطول على تلخيص المفتاح، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1/ 2004، ص: 505.

2- انظر: الدريني، فتحي: دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي، دار قتيبة، بيروت، ط1/ 1988، (ج1/ 160).

3 - الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز حقها: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص: 27.

وقد قرّر ابن جنّي ذلك في باب سمّاه: الردّ على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني، وقال فيه إنّ "العرب إنّما تحلّى ألفاظها وتدبجها وتشبّها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها، ... فالألفاظ خدم للمعاني والمخدوم لآشك أشرف من الخادم"¹.

فعناية العرب بالألفاظ لأنها الطريق إلى إظهار أغراضها ومراميها، ولذا بالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد، ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحسينه وتزكيته وإنما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعى عليه².

وعليه فالتفسير البياني يتناول القرآن كلّ، ويدرس الجوانب المختلفة التي شملها بهدايته وبيانه، غير أنّ ما يميّزه عن غيره من مناهج التفسير التحليلي أنّه يبرز فيه ويغلب عليه مزيد العناية بالجوانب اللغويّة والبيانيّة وتوظيفها في تفسير القرآن وبيان مقاصده في المجالات العقديّة والتشريعيّة وغيرها ممّا يتصل بإصلاح النفس البشرية والمجتمع الإنساني.

وممّا يؤكد أنّ المعنى هو قبلة الدراسة اللغويّة أنّ قواعد النحورُتبت على مقتضى المعنى، وأنّ صيغ الأوزان الصرفيّة صيغت لتعبّر عن المعاني المختلفة المنبثقة عن المعنى الأساسي لجذر الكلمة، وأنّ البلاغة تتعمّق البحث في أساليب تصوير المعنى بما يقتضيه الحال³.

1 - ابن جنّي، الخصائص (ج1/ 220).

2 - انظر: المصدر السابق (ج1/ 216-217) بتصرّف يسير.

3 - جبل، محمد حسن: المعنى اللغوي دراسة عربيّة، مكتبة دار الآداب، القاهرة، ط1/ 2005، ص: 11.

وصلة المعنى بالنظم العربي المعجز الذي نزل به القرآن الكريم أشار إليها قوله تعالى: ﴿إِنَّا

جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾¹ وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(١٣٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

﴿١٣٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾².

وقد بين الزمخشري العلاقة بين عريّة القرآن الكريم وبين كونه نذيراً وهادياً فقال: "تنزيله

بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك، لأنك تفهمه ويفهمه قومك. ولو كان

أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها"³.

1 - سورة الزخرف: الآية 3.

2 - سورة الشعراء: الآيات 193-195.

3 - الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3/1998

(ج3/335).

المبحث الثاني

نشأة التفسير البياني

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا ريب في أنّ المنهج البياني في التفسير ينبثق عن منهج القرآن نفسه، فلقد شاء سبحانه أن يكون الإعجاز البياني أظهر وجوه إعجازه، وأن يكون الأسلوب الذي نزل به كتابه بالغا أسمى درجات الجمال والتناسق والروعة، وهو بهذا بهر العرب واستولى على قلوبهم.

وهو وإن كان في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة غير أنّه لا يخرج عن لغة العرب في أساليبها وبيانها، وفي هذا يقول الشافعي: "خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها"¹.

وعلى ضوء ما تقدّم فليس من الغريب أن نجد بداية التفسير البياني ونشأته قد انبثقت مع بداية التفسير نفسه، فهو يرجع بجذوره الثابتة إلى تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - وتفسير صحابته الكرام، ومن جاء بعدهم من التابعين.

فمن صور التفسير البياني التي نجدها في تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾²، فقد روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنّه لما نزلت الآية عمد إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلهما تحت وسادته، وجعل ينظر في الليل فلا يستبين له، فغدا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر له ذلك، فقال: "إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار"³، وهذا انتقال

1 - الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1/ 1993، ص: 52.

2 - سورة البقرة: الآية 187.

3 - رواه البخاري، في كتاب الصوم، في باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾، رقم: 1916 من ترقيم فتح الباري، (ج3/ 36). ومسلم في كتاب الصوم، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم: 2585، (ج3/ 128).

من المعنى الحقيقي للفظ إلى المعنى المجازي¹، ويرى الزمخشري أن التعبير بالخيط الأبيض والأسود جاء على سبيل الاستعارة، غير أن قوله تعالى (من الفجر) أخرج التعبير من الاستعارة إلى التشبيه².

ومن الأمثلة على التفسير البياني المنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم ما يرويه البخاري عن ابن عباس أنه فسّر الرزق في الآية الكريمة: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾³ بالشكر⁴، وهو من المجاز المرسل من باب السببية والمسببية⁵، وقد قال الزجاج في تفسير الآية إن معناها: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون، أي تجعلون شكر رزقكم أن تقولوا: مطرنا بنوء كذا، فتكذبون في ذلك⁶.

ويروي ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾⁷ أن عمر سأل الناس عن هذه الآية فما وجد أحداً يشفيه، حتى قال ابن عباس وهو خلفه: يا أمير المؤمنين، إنني أجد في نفسي منها شيئاً، قال: فتلقت إليه، فقال: تحول ههنا، لم تحقر نفسك؟ قال: هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال: أيود أحكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه

1 - بيومي، محمد رجب، خطوات التفسير البياني، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط1/ 1971، ص: 12.

2 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 231).

3 - سورة الواقعة 82.

4 - رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: باب قول الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ (ج2/ 41).

5 - بيومي، خطوات التفسير البياني ص: 13.

6 - الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط1/ 1993، (ج5/ 93).

7 - سورة البقرة: الآية 266.

بخير حين فني عمره، واقترب أجله، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء، فأفسده كله فحرقه أحوج ما كان إليه"¹.

وتفسير ابن عباس للآية الكريمة ينطبق عليه ما يسميه علماء البلاغة بالاستعارة التمثيلية²، وهو على منهج القرآن في تقريب المعقول بالمحسوس³.

ومن صور المباحث البيانية التي ينقلها أصحاب المعاني عن الصحابة ما يذكرونه عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾⁴ أنه قال: "استوى أي صعد أمره إلى السماء"⁵، وتفسيره للكرسي بالعلم⁶، وهذا كله من باب المجاز.

ومن التفسير البياني المروي عن التابعين ما يرويه الطبري عن مجاهد وعكرمة وقتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾⁷ أنها كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة⁸.

وقد استمرّ التفسير البياني بعد الصحابة والتابعين ينمو ويتسع، ولا شك في أن اللغويين الأوائل جهودهم المهمة في تقييده وتأصيله، وكتاب سيبويه من أهم ما يُشار إليه في هذا المجال،

1 - الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2/ 2000، (ج5/ 545).

2 - الاستعارة التمثيلية تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي، انظر: لاشين، عبد الفتاح، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط2/ 1985، ص: 186.

3 - بيومي، خطوات التفسير البياني ص: 21، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج3/ 55).

4 - سورة البقرة: الآية 29.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 100).

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 288).

7 - سورة المسد: الآية 4.

8 - الطبري، جامع البيان (ج24/ 679).

فالجانب البلاغي حاضر في كثير من الأحيان في درسه اللغوي والنحوي، وهذا ما جعله من أهم المصادر التي استقى منها عبد القاهر نظريته في النظم بعد ذلك¹.

ومن الأمثلة على حضور الجانب البلاغي في التفسير عند سيبويه ما يقوله حول قوله تعالى:

﴿قَالَ يَقُومُ أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْبَعٍ مِنْ رَبِّي وَءَالَتِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كِرِهُونَ﴾²

فقد قال: "إذا كان المفعولان اللذان تعدى إليهما فعل الفاعل مخاطباً وغائباً، فبدأت بالمخاطب قبل الغائب ... وإنما كان المخاطب أولى بأن يبدأ به من قبل أن المخاطب أقرب إلى المتكلم من الغائب، فكما كان المتكلم أولى بأن يبدأ بنفسه قبل المخاطب، كان المخاطب الذي هو أقرب من الغائب أولى بأن يبدأ به من الغائب"³.

ولا شك في أن تتبع التفسير البياني ومناهجه في تفسير الصحابة والتابعين، ودراسة تأصيله وقواعده عند المتقدمين من اللغويين والنحاة يحتاج إلى جهود ضخمة ودراسات متخصصة، وكفينا في هذه العجالة الإشارات السريعة التي ذكرناها لتدلّ على أهميّة الموضوع، وما يحتاجه من استكمال.

1 - انظر: أبو موسى، محمد، مدخل إلى كتابي عبد القاهر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1/ 1988، ص: 38.

2 - سورة هود: الآية 28.

3 - سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3/ 1988، (ج1/ 164).

المبحث الثالث

التأليف في معاني القرآن

لا ريب في أنّ كتب معاني القرآن من الحلقات المهمة في تاريخ التفسير البياني للقرآن الكريم، وذلك لتقدمها الزمني، ولما تميّز به أصحابها من نبوغ في مجال اللغة والقراءات والأدب. وعند الرجوع إلى كتاب الفهرست لابن النديم نجد أنّه يذكر كتباً مختلفة عنونها معاني القرآن، ويعنيها من هؤلاء الذين سبقوا أو عاصروا الأئمة الذين هم محلّ هذه الدراسة، ومن الكتب المتقدمة في معاني القرآن:

- معاني القرآن لواصل بن عطاء (ت 131هـ) رأس المعتزلة، وقد ذكر العلماء في ترجمته أنّ له كتاب في معاني القرآن¹.
- معاني القرآن لأبان بن تغلب (ت 141هـ) ، كان قارئاً فقيها لغويا إمامياً².
- معاني القرآن للرؤاسي محمد بن أبي سارة، أستاذ الكسائي والفراء، وسُمّي الرؤاسي لكبر رأسه، وكان ينزل النيل فقيلاً له النيلي³.
- معاني القرآن ليونس بن حبيب (183هـ) وهو من أصحاب أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وأبو عبيدة⁴.

-
- 1 - الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1993، (ج6/ 2795)؛ وابن خلكان، أحمد بن محمد، وفیات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1/ 1994، (ج6/ 11)؛ والداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، تحقيق عبد السلام عبد المعين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2/ 2002، (ج2/ 357).
 - 2 - انظر: الحموي، معجم الأدباء (ج1/ 38)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ط2/ 1979، (ج1/ 404).
 - 3 - ابن النديم، محمد بن إسحق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط1/ 1976، ص: 96، وانظر: الحموي، معجم الأدباء (ج6/ 2486)، والداوودي، طبقات المفسرين (ج2/ 134).
 - 4 - ابن النديم، الفهرست ص: 62. وانظر: الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، نزّهة الألباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنارة، الزرقاء، ط3/ 1985، ص: 47؛ وابن خلكان (ج7/ 244)؛ والسيوطي، بغية الوعاة (ج2/ 365).

- معاني القرآن لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت 189هـ)، إمام الكوفيين¹.
- معاني القرآن لأبي علي محمد بن المستنير المشهور بقطرب، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من علماء، ويقال إن سيبويه لقبه بذلك لمباكرته إياه في الأسفار، ت: 206هـ².
- معاني القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، قال ابن النديم: "توفي سنة عشر ومائتين، وقيل إحدى عشرة، وقال أبو سعيد سنة ثمان، وقيل سنة تسع، وله من الكتب: كتاب مجاز القرآن، كتاب غريب القرآن، كتاب معاني القرآن"³.
- معاني القرآن لمحمد بن يزيد المبرد (ت: 285هـ)، كان إماماً في النحو واللغة، وله كتاب الكامل والمقتضب. أخذ عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم⁴.
- معاني القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 287هـ) الإمام الكبير صاحب المصنفات المشهورة⁵.
- معاني القرآن لثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291هـ) حلق العربية، وكان يحفظ كتب الفراء⁶.

-
- 1 - ابن النديم، الفهرست ص: 97، وانظر: الحموي، معجم الأدباء (ج 4 / 1737)، وذهب إلى أن وفاته كانت 182هـ، وصحح الداوودي أنها 189هـ.
- 2 - ابن النديم، الفهرست ص: 78، وانظر: ياقوت، معجم الأدباء (ج 6 / 2646)؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان (ج 4 / 312).
- 3 - ابن النديم، الفهرست ص: 79، وانظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج 5 / 235).
- 4 - انظر: ياقوت، معجم الأدباء (ج 6 / 2678) وابن خلكان، وفيات الأعيان (ج 4 / 314).
- 5 - ابن النديم، الفهرست ص: 106، وانظر: ياقوت، معجم الأدباء (ج 5 / 2198)؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان (ج 4 / 60)، والداوودي، طبقات المفسرين (ج 2 / 326).
- 6 - ابن النديم، الفهرست ص: 110، وانظر: الحموي، معجم الأدباء (ج 2 / 536)؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان (ج 1 / 102).

- معاني القرآن لابن الأنباري أبي بكر محمد بن القاسم (ت 328هـ) أخذ عن أبيه وعن

أبي العباس ثعلب، وكان في نهاية الذكاء والفتنة وجودة القرينة وسرعة الحفظ¹.

وليس من هدفنا أن نستقصي الكتب في معاني القرآن، فقد ذكر ابن النديم كثيرا منهم²، وإنما

نقصد إلى بيان أن كثيرا من كبار اللغويين والنحاة لهم كتب في هذا المجال.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

1 - ابن النديم، الفهرست ص: 112، وانظر: الحموي، معجم الأدباء (ج6/ 2614)، وابن خلكان (ج4/ 341).

2 - من الذين ذكر لهم ابن النديم كتباً في معاني القرآن غير من ذكرنا: المفضل بن سلمة من علماء الكوفيين (ص: 109)، ومحمد بن أحمد بن كيسان (ص: 120)، وأبو بكر محمد بن عثمان الجعد (ص: 122)، وعلي بن عيسى بن داود بن الجراح (ص: 186)، وغيرهم كثير.

المبحث الرابع

لمحات عن أصحاب المعاني

ليس من هدفنا أن نكتب ترجمة وافية لكل من أصحاب المعاني، فكلّ منهم يستحقّ أن يُفرد له مؤلفات مستقلة، تدرس حياته ومنهجه ونتاجه، ولكن ما نهدف إليه أن نقدم لمحات تعين في دراسة منهجهم في توظيف مباحث البيان في خدمة تفسير القرآن الكريم وفهمه.

ولذا فسنذكر موجزا عن كلّ منهم، ثمّ نعرّف على نحو موجز بمناهجهم.

المطلب الأول: تعريف موجز بأصحاب المعاني:

الفراء:

هو يحيى بن زياد بن عبد الله الكوفي، ويكنى بأبي زكريا ويلقب الفراء¹ لأنه كان يحسن نظم المسائل كالخارز الذي يخرز الأديم وما عرف ببيع الفراء ولا شرائها قط. وقيل: سمي الفراء لقطعة الخصوم بالمسائل².

نشأ في الكوفة، ورحل في طلب العلم إلى بغداد ومكة والمدينة³، وكان يطوف على الشيوخ لا يكتب معتمدا على حفظه⁴. وسئل الكسائي: الفراء أعلم أم الأحمر؟ فقال: الأحمر أكثر حفظاً، والفراء أحسن عقلاً وأعلم بما يخرج من رأسه⁵.

1- ابن النديم، الفهرست ص: 73.

2- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، الأنساب، تحقيق عبد الله البارودي، دار الجنان، بيروت، ط1/ 1988، (ج9/47).

3- ابن النديم، الفهرست ص: 73.

4- ابن النديم، الفهرست ص: 75؛ وابن خلكان، وفیات الأعيان (ج6 / 179).

5- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3/ 1988 (ج10/208).

قال عنه القفطي: كان أبرع الكوفيين وأعلمهم،¹ وقال الداوودي: "كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، أخذ عنه، وعليه اعتمد، وأخذ عن يونس، وأهل الكوفة يدعون أنه استكثر عنه، وأهل البصرة يدفعون ذلك، وكان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال، وكان ديناً متورعاً على تيه وعجب وتعظم، وكان زائد العصبية على سيبويه، وكتابه تحت رأسه، وكان يتفلسف في تصانيفه، ويسلك ألفاظ الفلاسفة"².

فقال عنه الكسائي: "الفراء أحسن عقلاً، وأبعد فكراً، وأعلم بما يخرج من رأسه"³. وقال ثعلب: "لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها"⁴، وقال: كتب الفراء لا يوازي بها كتاب⁵. وقال عنه أبو بكر الأنباري: "لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان بهما الافتخار على جميع الناس، إذ انتهت العلوم"⁶.

قال عنه ثمامة بن الأشرس فأنشته عن اللغة فوجدته بحرأ، وناقشته عن النحو فوجدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم...⁷.

1- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1/ 1986 (ج4/ 7).

2- الداوودي، طبقات المفسرين (ج2/ 367).

3- انظر: الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 2002، (ج14/ 153)؛ والأنباري، نزهة الألباء: 93؛ والحموي، معجم الأدياء (ج20/ 13).

4- الخطيب، تاريخ بغداد: (ج14/ 149)؛ والسمعاني، الأنساب (ج4/ 352)؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان: (ج6/ 176)؛ وابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1/ 1986، (ج2/ 36).

5- الأنباري، نزهة الألباء: 93.

6- الخطيب، تاريخ بغداد (ج14/ 152)؛ والحموي، معجم الأدياء (ج20/ 13)؛ وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1/ 1988، (ج10/ 261).

7- ابن خلكان / وفيات الأعيان (ج6 / 177)؛ والذهبي / سير أعلام النبلاء (ج10 / 120).

ولمّا أُملي كتابه "معاني القرآن" اجتمع له الخلق، فكان من جملتهم ثمانون قاضياً، وكان سبب تأليفه للكتاب أنّ بعض أصحابه كان مع الحسن بن سهل وزير المأمون، فكتب إليه: إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، وتجعل في ذلك كتاباً يرجع إليه¹.

أخذ العلم عن كثيرين، منهم أبو بكر بن عياش (ت192هـ)، وسفيان بن عيينه (ت198هـ)، ويونس بن حبيب (ت183هـ)، ولا ريب في أنّ الكسائي (ت189هـ) كان أكثر شيوخه تأثيراً فيه، ونقل عنه في مواضع كثيرة في كتابه معاني القرآن².

وتتلمذ عليه كثيرون منهم: محمد بن حسن السمرى (ت277هـ) وسلمة بن عاصم³، وعبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطوال النحوي (ت243هـ)⁴.

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة منها⁵: الأيام والليالي والشهور، والمذكر والمؤنث، والمقصود والممدود الجمع والتثنية في القرآن، ولغات القرآن، وأشهر كتبه معاني القرآن. وفاته: توفي سنة سبعة ومائتين عن ثلاث وستين سنة⁶.

1 - القفطي، إنباء الرواة (ج4/10).

2 - انظر على سبيل المثال: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ورفاقه، الدار المصرية، القاهرة، ط3/2001 (ج1/23) و (ج1/29) و (ج1/32) و (ج1/57) و (ج1/58) و (ج1/59) و (ج1/75) و (ج1/80) و (ج1/91).

3 - انظر: ابن نديم، الفهرست ص:74.

4 - المصدر السابق نفس الصفحة.

5 - انظر: ابن نديم، الفهرست ص:173؛ والحموي، معجم الأدباء (ج6/2815)؛ وابن خلكان، وفیات الأعيان (ج6/182)؛ والسيوطي، بغية الوعاة (ج2/333).

6 - انظر: الحموي، معجم الأدباء (ج13/19)؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء (ج10/118).

الأخفش:

هو سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، يكنى بأبي الحسن¹، ويقال له الأوسط
تميزا له عن الأخفش الأكبر أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، والأخفش
الأصغر أبو الحسن علي بن سليمان، من تلامذة المبرد وثلعب، وإذا أطلق لقب الأخفش فالمراد به
الأوسط²، وقد سكن البصرة ودخل بغداد، وكان أسن من شيوخه سيبويه، ومات بعده³.

وبعد المناظرة المشهورة بين سيبويه والكسائي توجه الأخفش إلى بغداد، ودخل على الكسائي
في مسجده، وبين يديه تلاميذه، فناظره في مائة مسألة خطأ فيها جميعها، فأراد أصحاب الكسائي
الوثوب عليه، فمنعهم الكسائي من ذلك، وقال للأخفش: "بأنه أنت أبو الحسن سعيد ابن مسعدة
الأخفش؟ قال: نعم، فقام إليه الكسائي، وعانقه وأجلسه إلى جانبه، وجعله مؤدبا لأولاده⁴. قال: "فلما
اتصلت الأيام بالاجتماع، سألتني أن أولف له كتابا في معاني القرآن، فألفت كتابي في المعاني،
فجعله إماما، وعمل عليه كتابا في المعاني، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما⁵.

1- السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد
المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1/ 1966، ص: 40؛ والحموي، معجم الأدباء
(ج3/1374)؛ والقفطي، إنباه الرواة (ج2/36)؛ والأنباري، نزهة الألباء (ج1/107)؛ وابن خلكان، وفیات
الأعيان (ج2/380).

2- السيوطي، بغية الوعاة (ج1/590).

3- وياقوت الحموي، معجم الأدباء (ج3/1376).

4- الحموي، معجم الأدباء (ج3/1374)، والقفطي، إنباه الرواة (ج2/36)؛ والسيوطي، بغية الوعاة (ج1/590).

5- المراجع السابقة.

قال عنه السيرافي: "أحذق أصحاب سيبويه، وهو أسن منه فيما يُروى، ولقي من لقيه سيبويه من العلماء، والطريق إلى كتاب سيبويه الأخفش، وذلك أن كتاب سيبويه لا نعلم أحداً قرأه على سيبويه، ولا قرأه عليه سيبويه، ولكنه لما مات سيبويه قرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش"¹. وقال هو عن نفسه: "ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه علي وهو يرى أنني أعلم منه، وكان أعلم به مني، وأنا اليوم أعلم به منه"². وكان ثعلب يفضلته، ويقول: هو أوسع الناس علماً، وقال أبو عثمان المازني: كان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل³.

أخذ عن كبار علماء العربية والقراءة، ومنهم:

1- عيسى بن عمر الثقفي البصري (ت 149هـ)، من أئمة العربية والنحو والقراءة، أخذ عن أخذ عن الخليل وسيبويه⁴، وصرّح الأخفش بالسماع منه في معانيه⁵، وقد يروي عنه بواسطة⁶.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت 175هـ) الإمام الكبير تلميذ أبي عمرو بن العلاء وشيخ سيبويه⁷.

-
- 1 - السيرافي، أخبار النحويين البصريين ص: 40.
 - 2 - الحموي، معجم الأدباء (ج3/ 1374-1375).
 - 3 - الحموي، معجم الأدباء (ج3/ 1347)؛ والداودي، طبقات المفسرين (ج1/ 192).
 - 4 - السيرافي، أخبار النحويين البصريين ص: 26؛ والحموي، معجم الأدباء (5/ 2141)؛ والقفطي، إنباء الرواة (ج2/ 364).
 - 5 - الأخفش، معاني القرآن (1/ 126).
 - 6 - المصدر السابق (1/ 91) و (2/ 508) و (2/ 582).
 - 7 - السيرافي، أخبار النحويين البصريين ص: 31؛ وابن الأنباري، نزهة الألباء ص: 45.

3- يونس بن حبيب (ت 183 هـ) وهو من أصحاب أبي عمرو بن العلاء، وكانت حلقة بالبحرنة ينتابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية، وهو من المعمرين، لم يتزوج ولم يتسرّ، ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال، وأخذ عنه سيبويه والكسائي والفرّاء وأبو عبيدة¹، وصرّح الأخفش بالسماع منه²، وكثيراً ما يذكر الأخفش آراءه دون تصريح بالسماع³.

4- يعقوب بن إسحاق بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ)، كان أعلم الناس في زمانه بالقراءات والعربية وهو من القراء العشرة⁴.

5- أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت 210 هـ)، من مصنفاته مجاز القرآن⁵، وروى عنه الأخفش في كتابه⁶.

ومن تلاميذه: علي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ) وهو من القراء السبعة، ومن أئمة الكوفيين⁷، وأبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي النحوي (ت 225 هـ)⁸، والمازني: هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقيه المازني (ت 230 هـ)⁹، وسهل بن محمد (ت 225 هـ)¹⁰.

-
- 1- ابن النديم، الفهرست ص: 62، وانظر: ابن ابن الأنباري، نزهة الألباء ص: 47، وابن خلكان (ج 7/ 244)، والسيوطي، بغية الوعاة (ج 2/ 365).
 - 2- الأخفش، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى قراة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1/ 1990، (1/ 202)، (2/ 511) و (2/ 561).
 - 3- المصدر السابق (1/ 62) و (1/ 103) و (1/ 123) و (1/ 130) و (1/ 157) و (1/ 162) و (1/ 174) و (1/ 202) و (2/ 512).
 - 4- السيوطي، بغية الوعاة (2/ 348).
 - 5- القفطي، إنباه الرواة (3/ 267).
 - 6- الأخفش، معاني القرآن (1/ 131).
 - 7- الأنباري، نزهة الألباء ص: 58، والسيوطي، بغية الوعاة (ج 2/ 162).
 - 8- الأنباري، نزهة الألباء ص: 114، والسيوطي، بغية الوعاة (ج 2/ 8).
 - 9- السيوطي، بغية الوعاة (1/ 463 - 466).
 - 10- المرجع السابق (94).

مصنفاته: تذكر كتب التراجم كتباً كثيرة لها منها كتاب الأوسط في النحو، وكتاب المقاييس في النحو، والاشتقاق، والعروض، والمسائل الكبير، غير أن الذي وصلنا من كتبه القوافي¹ ومعاني القرآن.

وقد اختلف في سنة وفاته، فقيل: سنة عشر، وقيل إحدى عشرة، وقيل اثني عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين².

الزجاج:

هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج³، قال عنه الخطيب البغدادي: "كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب"⁴، وقال عنه الذهبي: "الإمام نحوي زمانه"⁵.

-
- 1- قام بتحقيقه الأستاذ أحمد راتب النفاخ (1974م) وصدر عن دار الأمانة في بيروت.
 - 2- الحموي، معجم الأدباء (ج3/ 1376)؛ والذهبي، تاريخ الإسلام (ج5/ 323)؛ والداوودي، طبقات المفسرين (ج1/ 193).
 - 3- وانظر في ترجمته: ابن النديم، الفهرست ص: 90؛ والخطيب، تاريخ بغداد: (ج6 / 613)؛ والسمعاني، الأنساب: (ج3/ 141)؛ والأنباري، نزهة الألباء، ص: 244؛ والحموي، معجم الأدباء (ج1/ 51)؛ والقفطي، إنباء الرواة (ج1/ 194)؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان: (ج1/ 49)؛ والصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، ط1/ 2000، (ج2/ 212)، والسيوطي، بغية الوعاة (ج1/ 411).
 - 4- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (ج6/ 613).
 - 5- الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج14/ 360).

ومن أهمّ شيوخه:

- أبو العباس أحمد بن يحيى المشهور بثعلب (ت291 هـ) من كبار الكوفيين، وكان يحفظ

كتب الفراء¹.

- وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد²، أخذ عنه كثيرون، وكان الزجاج أقدم أصحابه قراءة

عليه، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه³، ومن الواضح تأثر

الزجاج الكبير بشيخه المبرد في كتابه معاني القرآن، فهو دائم النقل عنه، مع التعويل على رأيه.

- إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت282هـ)، وهو عالم مشهور بالقراءة والحديث والفقه⁴،

ومن الواضح تأثر الزجاج به، فهو ينقل عنه في مواضع كثيرة من كتابه⁵.

وتتلمذ عليه كثيرون منهم:

1. الزّجّاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزّجّاجي صاحب الجمل، والإيضاح في علل

النحو والأماشي وغيرها، لازم أستاذه ونسب إليه⁶، والزّجّاجي نسبة إلى شيخه الزّجّاج.

1- أخذ عن محمد بن سلام الجمحي وابن الأعرابي وسلمة بن عاصم وعبيد الله بن عمر القواريري والزبير بن

بكار وغيرهم، وكان يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة وعلى سلمة في النحو. انظر: الزبيدي، طبقات النحويين

واللغويين ص: 163، وابن خلكان، وفیات الأعيان (ج1/185).

2 - انظر ترجمته في الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (ج3/380)؛ ابن الأنباري، نزهة الألباء ص: 148؛ وابن

خلكان، وفیات الأعيان (ج3/441).

3 - ابن النديم، الفهرست ص: 90.

4- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (ج6/284)؛ و ياقوت الحموي، معجم الأديباء (ج2/258).

5 - انظر على سبيل المثال (ج1/126) و (ج1/181)، (ج1/216) و (ج2/6) و (ج2/16).

6- السيوطي، بغية الوعاة (ج2/77).

2. أبو علي الفارسي: الإمام المشهور أخذ النحو عن الزَّجَّاج وروى عنه كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد¹.

3. أبو جعفر النحاس: وسيأتي الحديث عنه.

مؤلفاته:

من مؤلفاته التي تذكرها كتب التراجم²: الرد على ثعلب في الفصيح، وفعلت وافتعلت، والاشتقاق، وخلق الفرس، وشرح أبيات سيبويه، والعروض، وما فسرته من جامع النطق، مختصر النحو، والمقصود والممدود، والنوادر.

ومن كتبه المطبوعة: خلق الإنسان، وهو مطبوع حققه الدكتور إبراهيم السامرائي، وكتاب معاني القرآن الذي هو محلّ دراستنا.

والأكثر على أنّ وفاته كانت في سنة وفاته 310 هـ ذكر ذلك ابن النديم³ وياقوت⁴ وابن الجوزي⁵ وغيرهم.

وقال ابن خلكان: "توفي يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل سنة إحدى عشرة"⁶.

1 - الحموي، معجم الأدباء (ج3/10).

2 - ابن النديم، الفهرست ص: 61؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء (ج59/1)؛ القفطي، إنباء الرواة (ج65/1)؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان (ج32/1).

3 - ابن النديم، الفهرست ص: 61.

4 - ياقوت الحموي، معجم الأدباء (ج47/1).

5 - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، ط2/ 1987 (ج176/6).

6 - ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج33/1).

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النحوي، من أهل مصر، رحل إلى بغداد فأخذ عن المبرد والأخفش علي بن سليمان، ونفطويه والزجاج وغيرهم، ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات في آخر سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة¹.

قال عنه ياقوت: "صاحب الفضل الشائع، والعلم المتعارف الذائع، يستغني شهرته عن الإطناب في صفته"².

ومن العرض الموجز السابق تبرز السمات الآتية لأصحاب المعاني:

1- تقدمهم الزمني:

فهم يمثلون حلقة لها سبقها الزمني، وهذا مما يُضفي أهمية بالغة لمؤلفاتهم، لأنها تتصل بمرحلة ذات أهمية كبيرة في تاريخ الأمة الثقافي.

2- المكانة العلمية الرفيعة التي حظي بها أصحاب المعاني:

يشهد لذلك كل من ترجم لهم، ويدلّ عليه مؤلفاتهم بما احتوت عليه من ثقافة لغوية واسعة.

1 - انظر في ترجمته: الحموي، معجم الأدباء (ج1/ 468)، والقفطي، إنباء الرواة (ج1/ 101)، وابن خلكان، وفيات الأعيان (ج1/ 99)، والصفدي، الوافي في الوفيات (ج7/ 237)، والذهبي، سير أعلام النبلاء (ج16/ 368).

2 - الحموي، معجم الأدباء (ج1/ 468).

3- التنوع الذي يمثله أصحاب المعاني:

يتضح من اللوحات التي ذكرناها عن أصحاب المعاني اتساع المساحة التي يمثلونها، وهذا الاتساع يتمثل في نواحي عدة:

فمن حيث الزمان يمثلون حلقات متصلة تبدأ بالفراء تلميذ الكسائي والأخفش تلميذ سيبويه، وتستمرّ بالزجاج تلميذ المبرّد، وشيخ أبي علي الفارسي والنحاس.

ومن حيث المدارس اللغوية: تتنوع المدارس التي ينتمون إليها، فالأخفش والزجاج من أئمة البصريين، والفراء من أئمة الكوفيين.

ومن حيث المدارس الفكرية: فالأخفش ينتمي للمعتزلة، وإليها ميل الفراء، بينما يعبر الزجاج والنحاس عن فكر أهل السنة ومنهجهم.

المطلب الثاني: المنهج في كتب معاني القرآن

ومن المقطوع به أنه لا يوجد كتاب على ظهر الأرض لقي من العناية والدرس ما لقيه القرآن الكريم، والجهود التي بذلها العلماء في خدمته شملت جوانب كثيرة، كان من أبرزها العناية بلغته، وشمل ذلك معاني المفردات، وبنيتها الصرفية، والنحو والبلاغة والقراءات وتوجيهها في ضوء قواعد البيان العربي.

وهذه الوجوه كلّها كانت محل عناية بالغة من أصحاب المعاني: الفراء والأخفش والزجاج والنحاس، ولا عجب في ذلك، فهم من كبار علماء اللغة والنحو، وما نشأت علوم اللغة إلا لخدمة القرآن وتيسير فهمه ومنع اللحن فيه.

وكانت الجوانب البيانية المرتبطة بالمفردة أو بالتركيب محطّ اهتمام كبير منهم، فقد اهتمّوا اهتماماً بالغاً باشتقاق الكلمة وتصريفها، وملاحظة السياق في تفسيرها، كما عنوا وهم يتناولون تفسير الآيات الكريمة ببيان ما فيها من تقديم أو تأخير، وشرح ما فيها من حذف أو إضمار، كما أسسوا لقواعد مهمة في فهم الخطاب وتفسيره.

ومن السمات المهمة في كتب المعاني:

1- أن البحث اللغوي أو البياني كان أداة للوصول إلى المعنى وتوضيحه، فالمعنى هو القبلية التي قصدها أصحاب المعاني في كلّ ما كتبوه وبيّنوه. وهم يستعينون بالعلوم اللغوية، ويوظفون المأثور من كلام العرب من أجل بيان أسرار النصّ القرآني، ومعرفة دلالات ألفاظه وتراكيبه¹.

2- أن المؤلفات في معاني القرآن تربطها وشائج عميقة في المنهج، اتبع فيها اللاحق آثار السابق ونسج على منواله، حتى صارت أشبه ما تكون بمدرسة متكاملة في تفسير القرآن.

3- من السمات التي تشترك فيها كتب المعاني أن التفسير فيها لا يشمل القرآن كلّّه، فأصحابها كانوا يختارون الآيات التي يريدون تفسيرها، وربّما وقفوا عند جزء من الآية، واختارهم هذا يتحدّد وفق ما يجدونه في الآيات من مسائل لغوية أو بيانية يختارون توضيحها وشرحها.

4- رغم ما تشترك فيه المؤلفات السابقة من سمات فلقد كان لكلّ من أصحاب المعاني ما يميّزه ويختصّ به.

1 - شهيد، الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن ص: 318-319.

فالأخفش بحكم تقدّمه في الزمن وسبقه إلى التأليف كان أكثر الكتب الأربعة إيجازاً، وأكثرها إغراقاً في الجانب النحوي، وهي سمات يشاركها فيه الفراء.

أما الزجاج فقد ميّزه اتساع مساحة التفسير عنده على نحو أكبر ممّا نجده عند الأخفش والفراء، وكان أكثر اهتماماً بالمفردة، وبذل عناية مميّزة فيما يتعلّق بالاشتقاق.

وتميّز النحاس بتأثّره الواضح بالطبري، وهو ما جعل مساحة التفسير تتسع في كتابه، فهو يُعنى بالأنثر، وأقوال السلف، وبيان الناسخ والمنسوخ، فكتابه يجمع بين المنهج اللغوي الذي غلب على بقية أصحاب المعاني وبين التفسير بالمأثور والرأي.

5- يتميّز الفراء بالمصطلحات التي يستعملها في كتابه، فهو يستعمل مصطلحات الكوفيّين التي تخالف في كثير من الأحيان مصطلحات البصريّين.

سمات البحث البلاغي عند أصحاب المعاني:

يمكن أن نبرز السمات الآتية للبحث البلاغي في كتب معاني القرآن:

1- ارتبط البحث البلاغي في كتب معاني القرآن بالتفسير، وكان أداة للوصول إلى المعنى، كما ارتبط في غالب الأحيان بالبحث النحوي، وقُلّ أن يتجاوز ذلك إلى الإشارة إلى الأسرار البلاغيّة والنكات الجماليّة.

وهذا لا يلغي قيمة الإشارات والمباحث البلاغيّة عند أصحاب المعاني، باعتبارها النواة والمقدمة لجهود الذين تبعوهم مثل الزمخشري والرازي وابن عاشور.

والأمثلة على ذلك كثيرة في فصول الرسالة التي ستأتي، حيث يشير أصحاب المعاني إلى الظاهرة الأسلوبية أو البلاغية، ونجد التوسّع في تفسيرها عند المفسرين من بعدهم.

2- كان من السمات المشتركة بينهم - وعلى نحو أوضح عند الأخفش والفراء - أنهم لا يجمعون الآيات التي يربطها نسق أسلوبى، أو تشترك في ظاهرة لغوية، ويدرسونها على نحو يكشف عن سرّ هذه الظاهرة ويبين جوانبها.

ولذا يتكرّر في كتب المعاني أن تكون معالجة الآية في غير مكانها من السورة، وذلك بأن ترد في شرح آية أخرى تشترك معها في قضية لغوية أو أسلوبية.

ولذا نجد عند أصحاب المعاني نواة للتفسير الموضوعي، ولكن الموضوعات التي يجعلونها محورا للمعالجة هي موضوعات لغوية أو بيانية.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما نجده عند الأخفش الذين كان يضع أبوابا في ثنايا كتابه مثل باب في المجاز وباب الاستثناء، وباب الفاء، وباب الإضافة، وباب المجازاة، وباب الواو، وباب اسم الفاعل، وباب الفعل¹.

والفراء يقترب من هذا المنهج فهو يجمع بعض الآيات المتعلقة بالفصل والوصل، ويتناولها بالتحليل، ثم يقول: "ففي هذا كفاية عما نترك من ذلك فقس عليه"².

كما جمع بعض الآيات المتعلقة بالحذف، وتوسّع في مناقشتها في مواضع مختلفة من كتابه³

وقد يتكرّر معالجة المسألة اللغوية أو البيانية الواحدة في مواضع مختلفة من الكتاب، وربما

يُذكر في كلّ موضع زيادة أو توضيح لم يرد في المكان الآخر.

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 61-101).

2 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 69).

3 - انظر: الفراء (ج1/ 204) و(ج1/ 425) و(ج2/ 247).

ومن أمثلة ذلك ما نجده عند الأخفش، فقد ذكر عددا من الآيات المتعلقة بموضوع الحذف

وصلة ذلك بالمجاز، وناقش القضية على نحو فيه توسع¹، وسيأتي تفصيل القول فيما ذكره.

المصطلح البلاغي عند أصحاب المعاني:

لا ريب في أن بذور التقسيمات والتعريفات التي نضجت عند المتأخرين موجودة في كتب المتقدمين على نحو عام يعوزه التنظيم والتحديد.

ومن أدلة ذلك أننا نجد كثيرا من المصطلحات البلاغية تنتشر في كتب أصحاب المعاني، فالأخفش سَمَّى أحد أبواب كتابه بباب المجاز². ومصطلحات الحذف والتقديم والتأخير مستعملة عند أصحاب المعاني وسيأتي شواهد ذلك وأمثله في أبواب الرسالة.

غير أن بعض المصطلحات البلاغية لم تتبلور في كتب المعاني، وكان يُعبّر عنها بما يدلّ عليها أو يرتبط بها، فموضوعات الفصل والوصل جاءت مرتبطة بالبحث النحوي المتعلق بالعطف، وموضوعات القصر جاءت مرتبطة بأسلوب الاستفهام³.

ومن المباحث البلاغية التي أشارت منيرة فاعور إلى أن الفراء عرفها وأدرك استعمال القرآن لها، ولكنه لم يسمّها: أسلوب الالتفات⁴ والقلب⁵ والتغليب⁶ وأسلوب الحكيم⁷.

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/52-53).

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/61).

3 - انظر على سبيل المثال (ج1/122-124) فقد عرض لموضوع الاستثناء المنقطع بشيء من التوسع، وكذلك (ج1/162) (ج1/190).

4 - فاعور، جهود المفسرين في البحث البلاغي ص: 140.

5 - المرجع السابق ص: 138.

6 - المرجع السابق ص: 142.

7 - المرجع السابق ص: 145.

ومن النماذج للإشارات البلاغية الكثيرة التي ترد عند أصحاب المعاني دون أن يُعبّر عنها

بالمصطلح الخاص بها أذكر ما يلي على سبيل المثال:

1- في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

وَرَزَقَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾¹ يقول الزجاج: "وهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون ولكنهم لم

يستعملوا هذه الحواس استعمالاً يجزي عنهم فصاروا كمن - لا يسمع ولا يبصر"².

2- يشير الزجاج إلى أسلوب المشاكلة، ويذكر الآيات التي تدل عليه دون أن يسميه في

مواضع مختلفة من كتابه³.

3- أشار أصحاب المعاني إلى المجاز العقلي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا رِبِّحْتَ بِتِجَارَتِهِمْ وَمَا

كَانُوا مُتَتَدِّبِينَ﴾⁴ فالأخفش يقول في تفسيرها: فهذا على قول العرب: "خاب سعيتك" وإنما هو الذي

خاب، وإنما يريد "فما ربحوا في تجارتهم" ومثله ﴿بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ﴾⁵ ⁶. ويقول الفراء: "ربما

قال القائل: كيف تربح التجارة وإنما يربح الرجل التاجر؟ وذلك من كلام العرب: ربح بيعك وخسر

بيعك، فحسن القول بذلك؛ لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة، فعلم معناه. ومثله من كلام

العرب: هذا ليل نائم"⁷.

1 - سورة البقرة: الآية 17.

2 - الزجاج، معاني القرآن (ج1/ 80).

3 - انظر على سبيل المثال: (ج1/ 86).

4 - سورة البقرة: الآية 16 .

5 - سورة سبأ: الآية 33.

6 - الأخفش ، معاني القرآن (ج1/ 52).

7 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 14).

أثر أصحاب المعاني في كتب التفسير وعلوم القرآن:

لا ريب في أنّ أصحاب المعاني قد تركوا أثرا كبيرا في كتب التفسير وعلوم القرآن، فأسماءهم وآراؤهم تتكرر في غالبها.

ودراسة هذا الأثر يحتاج إلى دراسات مستقلة كاملة تبرزه وتفصل القول فيه، غير أنني أشير هنا إلى ما يدل على عميق الأثر الذي تركه أصحاب المعاني:

1- كثيرا ما يذكر الإمام الطبري آراء الأخفش دون أن يسميه باسمه، وإنما يشير إليه بقوله:

"بعض نحوي البصرة" أو "بعض أهل النحو من أهل البصرة" أو نحو ذلك.

وقد أوردت الدكتورة هدى قراعة التي حققت كتاب معاني القرآن للأخفش مائتين وسبعاً

وأربعين مقابلة بين الأخفش والطبري يظهر منها اهتمام الطبري بآراء الأخفش، حتى إنه يمكننا

القول بأن مجموع هذه النقول يشكل ما يشبه نسخة أخرى من كتاب الأخفش.

كما يشير الطبري على نحو متكرر إلى آراء الفراء، ويشير إليه بقوله "بعض المتقدمين في

العلم بالعربية من الكوفيين"¹ أو بقوله: "بعض أهل العربية"²، أو "بعض نحوي الكوفة"³.

1 - الطبري، جامع البيان (ج1/ 231)،

2 - المصدر السابق (ج1/ 405).

3 - المصدر السابق (ج1/ 360).

2- يتكرر عند الزمخشري ذكر آراء الأخفش¹، كما يذكر آراء الفراء في عشرات

المواضع من الكشف²، ويذكر آراء الزجاج في مواضع كثيرة³.

3- باستعمال المكتبة الشاملة نجد أن ذكر آراء الأخفش جاء عند الزركشي في البرهان في

سبع وعشرين موضعاً، وعند السيوطي في الإتيان في خمس وعشرين موضعاً، وذكر آراء الفراء

جاء في اثنين وأربعين موضعاً عند الزركشي وعشرين موضعاً عند السيوطي، وذكر آراء الزجاج

في ثمانية وعشرين موضعاً عند الزركشي واثنين عشر موضعاً عند السيوطي، وآراء النحاس في

تسعة عشر موضعاً عند الزركشي وستة عشر موضعاً عند السيوطي.

4- وجاء ذكر الفراء في روح المعاني أربع مائة وعشر مرات، وذكر الأخفش في مائتين

وثمان وثلاثين موضعاً، وذكر الزجاج خمس ثمانية عشر مرة، والنحاس في ثمانية وسبعين

موضعاً.

والخلاصة أن آراء أصحاب المعاني كان لها حضورها الكبير في كتب التفسير وعلوم

القرآن.

1 - انظر على سبيل المثال (ج1/13)، (ج1/371)، (ج1/601)، (ج2/235)، (ج2/343)، و (ج2/667)،

و (ج3/62)، (ج3/229)، و (ج4/42)، و (ج4/71)، و (ج4/285).

2 - انظر على سبيل المثال في الكشف 102/1 و 240/1 و 335/2 و 530/2 و 598/2 و 698/2 و 728/2 و

12/3 و 34/3 و 32/293 و 339/3 و 434/3 و 142/4 و 249/4 و 255/4 و 527/4 و 719/4 و 747/4.

3 - انظر على سبيل المثال في الكشف: 6/1 و 514/1 و 638/1 و 87/2 و 93/2 و 314/2 و 532/2 و

628/2 و 705/2 و 723/2 و 26/3 و 169/3 و 187/3 و 204/3 و 297/3 و 307/3 و 362/3 و

422/3 و 477/3 و 576/3 و 583/3 و 592/3 و 600/3 و 17/4 و 22/4 و 23/4 و 149/4 و

164/4 و 184/4 و 188/4 و 227/4 و 263/4 و 268/4 و 313/4 و 322/4 و 519/4 و 580/4 و

669/4 و 672/4 و 723/4 و 756/4. (طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1407 هـ).

الفصل الأول

المفردة القرآنية عند أصحاب المعاني

وفيه مبحثان

الأول: بنية المفردة القرآنية ودلالاتها عند أصحاب المعاني.

الثاني: التضمنين.

المبحث الأول

بنية المفردة القرآنية ودلالاتها عند أصحاب المعاني

وفيه المطالب الآتية:

- **المطلب الأول:** خصائص المفردة القرآنية.
- **المطلب الثاني:** الاشتقاق والتفسير المطلب الثالث: معاني الأبنية.
- **المطلب الرابع:** بنية الكلمة واتساع الدلالة.
- **المطلب الخامس:** الفروق بين دلالة الأبنية.
- **المطلب السادس:** التناوب بين الصيغ الصرفية.
- **المطلب السابع:** معاني زيادات الأفعال.
- **المطلب الثامن:** الفروق بين ما يُظنّ ترادفه.

المطلب الأول: خصائص المفردة القرآنية:

القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي تتحدى البشرية في كل زمان ومكان، والمفردة القرآنية لها مكانتها في إعجاز القرآن البياني، ولها جوانبها المتعددة الثرية، وإذا كان البحث في الإعجاز قد تركّز عند عبد القاهر في النظم، فإنه ممّا لا شكّ فيه أنّ للمفردة القرآنية دوراً كبيراً في جمال التعبير القرآني، بما تدلّ عليه من معنى دقيق، وبما تحمله من طاقة إيحائية لها وظيفتها في النسق الأدبي¹.

والمفردة القرآنية بكونها وحدة أوليّة في تكوين نظم الجملة، تتجاوز كونها كائناً معجمياً بما تكتسبه من وظيفة تعبيرية بعد دخولها في نسق الكلام وسياقه².

وإحياء الكلمة وانسجامها في السياق الذي وردت فيه ينبثق من عناصر مختلفة، منها جرسها وإيقاعها الصوتي، فكلمة "أناقلتم" في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالُكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾³ تصوّر بإيقاعها ظلال المعنى، وتشي بالحالة النفسية التي تصوّرها الآية الكريمة.

ولقد وقف الأخفش والفراء عند حدود التحليل الصرفي لكلمة "أناقلتم"، فهي من تناقلتم، وأدغمت التاء في الثاء، وجيء بهمزة الوصل لأنّ الثاء صارت ساكنة⁴، أمّا الزجاج فتجاوز التحليل

1 - انظر: ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2/ 1999، ص: 20.

2 - انظر: الجاجي، محمد ديب، النسق القرآني، دار القبة، جدة، ط1/ 2010، ص: 216.

3 - سورة التوبة: الآية 38.

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 358)، والفراء، معاني القرآن (ج1/ 437).

الصرفي لبيّن وجوه التثاقل، فالآية عنده فيها غير وجه، منها: أن معناه تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم، ومنها: أثاقلتم إلى شهوات الدنيا¹.

وللمفردة القرآنية خصائصها التي تجعل منها منبعاً يفيض منه الجمال والجلال، ومن سماتها:

1- ما تتسم به من سموّ في التعبير، ولذا نجد القرآن يكتفي عن المعاني التي يقبح التصريح بها فيما يتعلّق بالعلاقة بين الرجل والمرأة، فيعبّر عن ذلك بالمرسّ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾² قال الفراء: "تماسوهن وتمسوهن واحد، وهو الجماع المماسّة والمرسّ"³.

ومن الأمثلة على التعبير السامي في هذا المجال قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾⁴ وقد أحسن الزجاج في تفسيره للآية الكريمة بقوله: "كل فريق منكم يسكن إلى صاحبه ويلابسه"⁵، فهذا التعبير القرآني فيه ما فيه من اللطافة والأدب وسمو التصوير لما بين الرجل وزوجه من شدة الاتصال والمودة واستتار كل واحد منهما بصاحبه⁶.

- تتسم المفردة القرآنية بسعة الدلالة ممّا يكسب الجملة التي ترد فيها قوّة وجمالاً، وسعة الدلالة قد تنبثق من كون الكلمة من المشترك الذي يدلّ على معان مختلفة، وقد يكون سبب اتساع المفردة راجعاً إلى صيغتها الصرفيّة.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 361).

2 - سورة الأحزاب: الآية 49.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 155).

4 - سورة البقرة: الآية 187.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 256).

6 - طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1/ 1997، (ج1/ 395).

ومن الأمثلة على اتساع دلالة المفردة بما تدلّ عليه من معانٍ متنوعة كلمة "أمة"، فالزجاج يرجع معانيها المختلفة إلى أصل واحد وهو القصد، فيقال: أمت الشيء إذا قصدته، ثم جاء استعمالها في معانٍ مختلفة، فمن معانيها الدين كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾¹، فالزجاج يفسّر الآية بأنّ الناس كانوا على دين واحد، ومن معانيها القرن من الناس، يقولون: قد مضت أمة أي قرون، والأمة الرجل الذي لا نظير له، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾²، قال الزجاج: "وأصل هذا كله من القصد، يقال أمت الشيء إذا قصدته، فمعنى الأمة في الدين أن مقصدهم مقصد واحد، ومعنى الأمة في الرجل المنفرد الذي لا نظير له، أن قصده منفرد من قصد سائر الناس"³.

ومن الأمثلة على اتساع دلالة المفردة لأمر يرجع إلى الصيغة قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾⁴ فبناء الفعل "زَيْنَ" للمجهول يوسّع من المعاني التي تحتلها الآية، وهو ما عبّر عنه الزجاج بقوله: "قال بعضهم زينها لهم إبليس، لأن الله عز وجل قد زهد فيها وأعلم أنها متاع الغرور. وقال بعضهم: معناه أن الله عز وجل خلق فيها الأشياء المعجبة فنظر إليها الذين كفروا بأكثر من مقدارها"⁵.

1 - سورة البقرة: الآية 213.

2 - سورة النحل: الآية 120.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 243).

4 - سورة البقرة: الآية 212.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 242).

المطلب الثاني: الاشتقاق والتفسير عند أصحاب المعاني:

يمتزج التفسير بالبحث اللغوي في مستوياته المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية، وأساس ذلك أن القرآن نزل بلسان عربيّ على ما يعرف العرب من معاني لغتهم وأساليبها، ولذا ينطلق المفسرون من مباحث اللغة يستمدّون من معرفتهم بقواعدها وفنون تصريف القول فيها ما يعينهم على فهم كتاب الله سبحانه، وفي هذا يقول الشافعي: "لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها"¹.

فالعلم بالكتاب والسنة موقوف على العلم باللغة العربية، وفي ذلك يقول الرازي: "اللغة والنحو يجريان مجرى الأصل للاستدلال بالنصوص"². ونقل الزركشي في البرهان عن مالك قوله: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا"، وقول مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"³.

ومن جوانب المعرفة اللغوية الضرورية للمفسر معرفته بالتصريف والاشتقاق، لأن معرفة تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها يسهم في الكشف عن معناها وبيان الراجح في تفسيرها.

وعلم الصرف هو "العلم الذي يبحث في طرائق بناء الكلمة، وما يطرأ على هذا البناء من تغيرات لفظية"⁴. فهو العلم الذي يكشف عن الطرق التي تنمّي اللغة، وبالمباني التي يندرج تحتها ما

1 - الشافعي، الرسالة ص: 50.

2 - الرازي، المحصول (ج1/ 289).

3 - الزركشي، البرهان (ج1/ 292)،

4 - استيتية، سمير شريف، اللسانيات، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1/ 2005، ص: 105.

لا حصر له من الكلمات، وهو علم توليدي إذ يولّد من الأصول القليلة فروعاً كثيرة، هي مادّة اللغة التي تجري على الألسنة، ولذا فهو يكشف عن الجانب الإبداعي من اللغة¹.

وهذا الجانب التوليدي الإبداعي من اللغة يرتبط بالاشتقاق أشد الارتباط، ولذا نبدأ بتناوله.

تعريف الاشتقاق:

الاشتقاق في اللغة من الفعل "شَقَّ"، وشَقَّ الشيء: صدّعه، قال ابن فارس: "الشين والقاف أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على انصداعٍ في الشيء"²، والشق الصدع في عود أو حائط أو زجاجة، ويُقال: بيده شقوق، والشقّة: شَطِيئةٌ تُشَطَّى من لوح أو خشبة، ويُقال لنصف الشيء الشقّ.

والمعاني الأخرى للفعل "شَقَّ" تتصل بهذا المعنى وترجع إليه، فالشقاق هو الخلاف الذي يُصدّع الجماعة ويُفرّقها، ومنه يُقال: شَقَّ عصا المسلمين.

ويقال أصاب فلاناً شِقٌّ ومَشَقّة، وذلك الأمر الشديد كأنه من شدّته يشقُّ الإنسان شقاً، والشقّة البعد، والناحية يقصدها المسافر، والسفر البعيد³.

والاشتقاق اصطلاحاً:

عرّفه الرازي بقوله: "أن تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فتزد أحدهما إلى

1 - المرجع السابق، نفس الصفحة.

2 - ابن فارس، مقاييس اللغة (ج1/ 131-132)

3 - انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8/ 2005، (ج1/ 898)؛ وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3/ 1997، (ج10/ 181) مادة (شَقَّ).

الآخر¹، وقال الجرجاني بأنه "نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة"². وفي المزهري أن "الاشتقاق: أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى، ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافا حروفا أو هيئة"³.

ومعرفة الاشتقاق عند الزركشي داخل في تحقيق الألفاظ المفردة، وهو أول ما ينبغي على المفسر البداءة به؛ لأن المركب لا يُعلم إلا بعد العلم بمفرداته⁴. ولمعرفة أصل اشتقاق الكلمة دوره في تحديد المراد منها، بل إن الاختلاف فيه قد ينسب عليه اختلاف في معرفة أصل معناها، ويعلل السيوطي ذلك بأن "الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمرسح هل هو من السياحة أو المسح"⁵. ولذا عدّ السيوطي الاشتقاق من الأدوات التي تمكن المفسر من مطابقة المفسر، وتعينه على التحرر من النقص فيما يحتاج إليه إيضاح المعنى، وتعينه على تجنب الزيغ عن المعنى والعدول عن طريقه⁶.

وجاء في شرح الكوكب المنير عن الاشتقاق أنه من أشرف علوم العربية وأدقها وأنفعها، وأكثرها ردا إلى أبوابها، لأن مدار علم التصريف في معرفة الزائد من الأصلي عليه، ولو ارتفع

1 - الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، المحصول في علم الأصول، تحقيق: طه جابر العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط1/ 1980، (ج1/ 325).

2 - الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1/ 1985، ص: 43.

3 - نقله السيوطي في المزهري عن شرح التسهيل لأبي حيان، انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهري في علوم اللغة، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1998، (ج1/ 275).

4 - الزركشي، البرهان (ج3/ 453).

5 - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (ج4/ 214).

6 - المرجع السابق (ج4/ 227).

الاشتقاق من كل كلام لم توجد صفة لموصوف، ولا فعل لفاعل، وجميع النحاة إذا أرادوا أن يعلموا الزائد من الأصلي في الكلام، نظروا في الاشتقاق¹.

وذهب الرازي إلى أن أركان الاشتقاق أربعة، الأول: اسم موضوع لمعنى، والثاني: شيء آخر له نسبة إلى ذلك المعنى، والثالث: مشاركة بين هذين الاسمين في الحروف الأصلية، والرابع: تغيير يلحق الاسم في حرف فقط أو حركة فقط أو فيهما معا².

وفي ضوء ما تقدّم يتضح أن معنى الكلمة يحدده تقاطع معنى جذرها الثلاثي مع معنى الصيغة، أو تقاطع المعنى المعجمي مع المعنى الصرفي³.

ولاحظ الدكتور سمير استيتية أن مفهوم الاشتقاق في البحث الصرفي أوسع منه في البحث النحوي، فالمشتقّ عند النحاة يقتصر على ما دلّ على ذات وصفة، وهذا يشمل المشتقات الخمسة فقط، وهي: اسم الفاعل واسم المفعول وصيغة المبالغة والصفة المشبهة واسم التفضيل. أمّا المشتقّ عند الصرفيين فيشمل كل ما له جذر، ولذا يدخل فيه بالإضافة إلى ما سبق اسمي الزمان والمكان واسم الآلة، واسم المرة والهيئة والمصدر الميمي والأفعال غير الجامدة⁴.

الاشتقاق والمعنى عند أصحاب المعاني:

لقد كان لملاحظة اشتقاق الكلمة أثره الواضح في التفسير عند أصحاب المعاني، ومن ذلك أنهم قد يضعفون قولاً ويرجحون غيره على أساس الاشتقاق، فالحّاس يستبعد القول المرويّ عن

1 - ابن النجار، شرح الكوكب المنير (ج1/ 204).

2 - الرازي، المحصول (ج1/ 326).

3 - انظر: حسان، تمام، الأصول، عالم الكتب، القاهرة، ط6/ 2009، ص: 115-116.

4 - استيتية، اللسانيات ص: 125.

سعيد بن جبير وابن زيد بأن التصدية في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾¹ بمعنى الصدّة عن سبيل الله؛ لأنّ الفعل من هذا صددت، إلا أن تقلب أحد داليه ياء مثل تظنّيت من ظننت².

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾³ يرفض أبو عبيدة والزجاج والنحاس أن يكون أصل (يتسنّه) من "أسن" بمعنى تغيّر، وذلك لأنّه لو كان من "أسن" لكان المضارع منه "يتأسن"، كما رفض الزجاج والنحاس أن يكون من "يتسنن" وأبدل من النون ياء، لأنّ معنى مسنون مصبوب⁴.

وأجاز الفراء والزجاج أن تكون الهاء من أصل الكلمة أو أن تكون زائدة لبيان الحركة، وذلك أن قوله (لَمْ يَتَسَنَّهْ) معناه: لم يتغيّر بمرور السنين، مأخوذ من السنة، "وتكون الهاء من أصله من قولك: بعته مسانهة، تثبت وصلاً ووقفاً. ومن وصله بغير هاء جعله من المساناة لأن لام سنة تعتقب عليها الهاء والواو"⁵.

ويأخذ البحث في الاشتقاق عند أصحاب المعاني مناحي مختلفة، منها البحث في أصل الكلمة وما ترجع إليه، وهم يستعينون على معرفة ذلك بملاحظة صيغها المختلفة في ضوء قواعد الصرف، ومن أمثلة ذلك ما نراه عند الزجاج في بحثه لكلمة "اسم" حيث يرى أنه "مشتق من السمو،

1 - سورة الأنفال: الآية 35.

2 - النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، معاني القرآن، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ط1/ 2004، (ج1/ 425).

3 - سورة البقرة: الآية 259.

4 - أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت (ج1/ 80)، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 293)، والنحاس، معاني القرآن (ج1/ 99).

5 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 172)، وانظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 293).

والسمو الرفعة، والأصل فيه "سَمَو" - بالواو - على وزن جمل، وجمعه أسماء، مثل قنو وأقناء، وحنو وأحناء، وإنما جعل الاسم تنويها باسم الله على المعنى؛ لأن المعنى تحت الاسم¹.

وهو يضعف رأي من يقول: إن اسما مأخوذ من "وسمت"، لأننا لا نعرف شيء دخلته ألف الوصل وحذفت فاؤه، ولأنه لو كان كما يقولون لكان تصغيره "وسيم".

وأشار الزجاج إلى سبقه في هذا التحليل الصرفي فقال: "وما قلناه في اشتقاق 'اسم' قول لا نعلم أحدا فسره قبلنا"².

وقال النحاس: "وفي اشتقاق 'اسم' قولان، أحدهما: من سمو وهو العلو والارتفاع، فقل اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به، وقيل وهو من وسمت، فقل اسم لأنه لصاحبه بمنزلة السمة، أي يعرف به، والقول الثاني خطأ لأن الساقط منه لامة فصح انه من سما يسمو"³.

ولقد كان البحث في اشتقاق الكلمة وملاحظة المعاني المختلفة لكل صيغ من صيغها محط اهتمام كبير عند أصحاب المعاني، ولقد تميّز الزجاج في هذا المجال ببصره النافذ الذي كان يمكنه من الربط بين دلالات الصيغ المختلفة على نحو يكشف عن عميق معنى المفردة القرآنية.

ومن أمثلة ذلك ما نجده عنده في تفسير كلمة "حصر" ومشتقاتها فقد قال: "معنى 'حصورا' أي لا يأتي النساء، وإنما قيل للذي لا يأتي النساء حُصْرَ لأنه حُبْسَ عما يكون من الرجال، كما يقال في الذي لا يتيسر له الكلام قد حُصِرَ في منطقه، والحصور الذي لا ينفق على الندامى، وهو ممن يُفْضَلُونَ عليه ... والحصور الذي يكتم السر، أي يحبس السر في نفسه ... والحصير هذا المرمول

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 46).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 48).

3 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 19).

الذي يُجلّس عليه، إنما سمي حصيراً لأنه دُخل بعضه في بعض في النسيج أي حبس بعضه على بعض، ويقال للسجن الحسير لأنّ الناس يُحصرون فيه، ويقال حصرت الرجل إذا حبسته، وأحصره المرض إذا منعه من السير ... وقول الله - جل وعلا: ﴿وَحَمَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾¹ أي حبساً، ويقال أصاب فلاناً حصراً: إذا احتبس عليه بطنه، ويقال في البول أصابه أسر إذا احتبس عليه بوله².

وهذا المسلك الذي برع الزجاج فيه يقوم على الربط بين دلالات المفردة المختلفة والوصول إلى أصل معناها، وهو في ذلك يقول: "وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض، وأخذ بعضه برقاب بعض"³.

ومن الأمثلة على عنايته بملاحظة المعنى الجامع بين المشتقات المختلفة ما نجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ بِهِ أَرِي﴾⁴ أزرت فلاناً على فلان إذا أعنته عليه وقويته، ومثله: ﴿وَمَثَلُ فِي الْإِنجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ سَطْعَهُ، فَتَازَرَهُ، فَاسْتَفَلَّظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ﴾⁵ فتأويله أقوى به واستعين به على أمري. فأما الوزير في اللغة فاشتقاقه من الوزر، والوزر الجبل الذي يعتصم به لينجي من الهلكة، وكذلك

1 - سورة الإسراء: الآية 8.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 343).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 177).

4 - سورة طه: الآية 31.

5 - سورة الفتح: الآية 29.

وزير الخليفة معناه الذي يعتمد عليه في أموره ويلتجئ إلى رأيه، وقوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾¹ معناه لا شيء يعتصم به من أمر الله².

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾³ يقول الزجاج: "معنى الحدود ما منع الله عز وجل من مخالفتها، ومعنى الحدّاد في اللغة الحاجب، وكل من منع شيئاً فهو حدّاد. وقولهم أهدت المرأة على زوجها معناه قطعت الزينة وامتنعت منها، والحديد إنما سمي حديداً لأنه يمتنع به من الأعداء، وحد الدار هو ما يمنع غيرها أن تدخل فيها"⁴.

المطلب الثالث: معاني الأبنية عند أصحاب المعاني:

من مجالات البحث الصرفي المتصلة بالدلالة أشدّ الاتصال دراسة معاني الأبنية، إذ إنّ معنى الكلمة يحدده أمران، أولهما: الجذر الذي اشتقت منه، وثانيهما: الصيغة التي تتركب منها، فعلى سبيل المثال نجد أنّ الكلمات "قاتل" و"قتال" و"مقتول" اختلفت معانيها، مع أنّها ترجع إلى جذر واحد، وما هذا الاختلاف إلا لاختلاف أبنيتها، ولذا نجد في كتب معاني القرآن اهتماماً ببيان معاني الصيغ المختلفة، ومن أمثلة ذلك:

- 1- دلالة صيغة فعّال على الامتلاء، قال الزجاج: "ولا يجوز أن يقال "الرحمن" إلا لله، وإنما كان ذلك لأن بناء فعّال من أبنية ما يبالغ في وصفه، ألا ترى أنك إذا قلت غضبان

1 - سورة القيامة: الآية 11.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 290).

3 - سورة البقرة: الآية 187.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 222).

فمعناه الممثل غضباً، فرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فلا يجوز أن يقال لغير الله
رحمن¹.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾² قال الزجاج: "والرحمن
اسم من أسماء الله مذكور في الكتب الأول، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله ... ومعناه عند أهل
اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة، لأن إعلان بناء من أبنية المبالغة، تقول: رجل
عطشان وريان إذا كان في النهاية في الري والعطش، وكذلك فرحان وجذلان وخزيان، إذا كان في
غاية الفرح أو في نهاية الخزي"³.

وقال النحاس في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: "فعلان فيه معنى المبالغة، فكأنه والله
اعلم الرحمن بجميع خلقه، ولهذا لم يقع إلا الله تعالى؛ لأن معناه الذي وسعت رحمته كل شيء، ولهذا
قدم قبل الرحيم"⁴.

2- دلالة صيغة (فعالة) على الاحتواء والاشتمال، قال الزجاج: "كل ما كان مشتملاً على الشيء
فهو في كلام العرب مبني على "فعالة"، نحو الغشاوة والعمامة والقلادة والعصابة، وكذلك
أسماء الصناعات لأن معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها نحو الخياطة والقصارة،
وكذلك على كل من استولى على شيء ما ... نحو الحلاقة والإمارة"⁵.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 49).

2 - سورة الفرقان: الآية 60.

3 - المصدر السابق (ج4/ 58).

4 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 21).

5 - الزجاج، معاني القرآن (ج1/ 83-84).

3- دلالة فعالة على القلة، قال الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ

طِينٍ﴾¹: "وسلالة: القليل فيما ينسل، وكل مبني على فعالة، يراد به القليل، فمن ذلك

الفضالة والنخالة والقلامة، فعلى هذا قياسه"²، وقال النحاس: "قيل لآدم سلالة لأنه سل من

كل تربة، ويقال للولد سلالة أبيه وهو فعالة من انسل، وفعالة تأتي للقليل من الشيء"³.

4- دلالة فعول على الآلة: وتتكرر الإشارة إلى ذلك عند أصحاب المعاني، ففي تفسير قوله

تعالى: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارُ﴾⁴ يميز الزجاج بين ما

كان على فعول مثل وقود، وما كان على فعول مثل وقود، فالوقود هو الحطب، وكل ما

أوقد به فهو وقود، ووقود مصدر، وقال: "وقد روي وقدت النار وقوداً وقبلت الشيء

قبولاً، فقد جاء في المصدر فعول والباب الضم"⁵.

5- دلالة اسم الفاعل على النسب: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعْ فِيهَا لَغِيَةً﴾⁶، فالأخفش أن

المراد بقوله تعالى (لاغية) أي كلمة لغو، كما تقول "فارس" لصاحب الفرس، و"دارع"

لصاحب الدرع، و"شاعر" لصاحب الشعر، ولابن لصاحب اللبن، وتامر لصاحب التمر⁷.

1 - سورة المؤمنون: الآية 12.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 8).

3 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 775).

4 - سورة البقرة: الآية 24.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 95).

6 - سورة الغاشية: الآية 11.

7 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 577).

6- دلالة زيادة الألف والنون في الاسم على المبالغة، كما في كلمة "ربانيين" في قوله تعالى: ﴿

وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾¹ قال الزجاج: " وإنما زِيدت

الألف والنون للمبالغة في النسب، كما قالوا للكبير اللحية لحياني ولذي الجمة الوافرة

جُماني"².

7- دلالة "فَعَّال" على المبالغة، فأَوَّاب معناه كثير الرجوع إلى الله³.

8- دلالة "فَعَّال" على الأصوات والأدواء، قال الزجاج: " والمصادر على فُعَال تَقُل في غير

الأصوات والأدواء، فأَما في الأصوات فنحو الدعاء والبكاء والصراخ، وأَما في الأدواء

فنحو: الزكام والسعال وما أشبه ذلك، وإنما جاء في السؤال لأن السؤال لا يكون إلا

بصوت"⁴.

9- دلالة فَعَّالَة على الصفات: قال الزجاج: "وفعالة في الخصال مثل القَبَاحَة والمَلَاحَة والفَخَامَة،

وهذا يكثر جدا"⁵.

10- دلالة "فَعِل" على الصفة الثابتة: وهو ما نجده عند الفراء في التفريق بين الحَذِرِ

والحَازِرِ، فهو يقول: "وَكأنَّ الحَازِرِ: الَّذِي يَحذرك الآن، وكأنَّ الحَذِرِ: المخلوق حَذِرًا لا

تلقاه إلَّا حذرا"⁶.

1 - سورة آل عمران: الآية 79.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 367).

3 - الزجاج، معاني القرآن (ج4/ 252).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 176).

5 - الزجاج، معاني القرآن (ج4/ 23).

6 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 280).

المطلب الرابع: بنية الكلمة واتساع الدلالة

من مظاهر إعجاز القرآن الكريم البياني اتساع الطاقة الدلالية لآياته، وهذا ينبثق من أصول

عدّة، منها ما يرتبط بالمفردة القرآنيّة ومن أهمّها:

أولاً: احتمال المفردة لمعان مختلفة بسبب اختلاف بنيتها بتنوّع القراءات الواردة فيها، ويتكرّر في كتب معاني القرآن إشارات لهذا، منها:

1- في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾¹ قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام في لفظ

المخلصين حيث ورد في القرآن، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام²، وقد بيّن الفراء

الفرق بين الصيغتين فقال: " فمن كسر اللام جعل الفعل لهم ... ومن فتح فאלله أخلصهم"³.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾⁴ اختلف القراء

في كلمة (مخلصاً)، فقرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف (مُخْلِصاً) بفتح اللام على أنها اسم مفعول،

وقرأ الباقر (مُخْلِصاً) بكسرها على أنها اسم فاعل⁵.

وبيّن الزجاج الفرق بين القراءتين فقال: " والمخلص - بفتح اللام الذي أخلصه الله جلّ

وعزّ، أي جعله مختاراً خالصاً من الدنس. والمخلص - بكسر اللام - الذي وَحَّدَ الله - عزّ وجلّ -

وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دنسة"⁶.

1 - سورة الحجر: الآية 40.

2 - انظر: القاضي، الوافي شرح الشاطبية ص: 295.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 89).

4 - سورة مريم: الآية 51.

5 - انظر: ابن مجاهد، أبو بكر، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2/ 2002، ص: 410، والجزري، النشر (ج2/ 295)، والمعصراوي، الكامل المفصل ص: 308.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 272).

2- ومن أمثلة ذلك أيضا الاختلاف في القراءة في قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾¹ فقد قرأ

عاصم والكسائي (مالك) بالالف، وقرأ بقية السبعة بلا ألف². وقد لخص النحاس الفرق بين القرائتين والاحتجاج لهما بقوله: " اختار أبو حاتم مالك قال وهو اجمع من ملك لأنك تقول إن الله مالك الناس ومالك الطير ومالك الريح ومالك كل شيء من الأشياء ونوع من الأنواع، ولا يقال الله ملك الطير ولا ملك الريح ونحو ذلك، وإنما يحسن ملك الناس وحدهم، خالفه في ذلك جلة أهل اللغة منهم أبو عبيد وأبو العباس محمد بن يزيد، واحتجوا بقوله تعالى ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾³ والمُلك مصدر المَلِك، ومصدر المالك مَلِك بالكسر، وهذا احتجاج حسن وأيضا فان حجة أبي حاتم لا تلزم لأنه إنما لم يستعمل ملك الطير والرياح لأنه ليس فيه معنى مدح⁴.

وقد كان الترجيح بين القرائتين محل بحث طويل بين العلماء، فالطبري يرجح قراءة (ملك) لأنها أبعد عن التكرار في السورة، لأن قوله سبحانه (رب العالمين) يتضمن أنه المالك؛ لأن ذلك من مقتضيات ربوبيته، ولذا "فأولى الصفات من صفاته جل ذكره أن يتبع ذلك ما لم يخوّه قوله (رب العالمين الرحمن الرحيم)، مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة"⁵. وناقش أبو علي الفارسي هذا الاستدلال بأن ذكر الخاص بعد العام كثير في القرآن⁶. ونسب أبو علي الفارسي لأبي عمرو ابن العلاء القول بأن ملك يجمع مالكا، أي ملك ذلك اليوم بما فيه، ومالك لا يجمع ملكا لأنه

1 - سورة الفاتحة: الآية 4.

2 - انظر: القاضي، الوافي شرح الشاطبية ص: 50.

3 - سورة غافر: الآية 16.

4 - النحاس، معاني القرآن (ج1/24).

5 - الطبري، جامع البيان (1/51).

6 الفارسي، الحجة في القراءات السبع (ج1/15).

إنما يكون للشيء الواحد¹.

والذي نراه أنه لا معنى لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى، فالقراءتان متواترتان، ومعنى كل منهما مراد، وتعدد القراءات يوسع من معنى الآية الكريمة، فالمالك من الملك، ويدل على كمال الاختصاص، والملك من الملك ويدل على شمول ملكه سبحانه للأشياء كلها، وما أحسن ما قاله أبو شامة في ذلك: "والقراءتان صحيحتان ثابتتان، وكلا اللفظين من مالك وملك صفة لله تعالى، وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الكلام في الترجيح بين هاتين القراءتين، حتى إن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين، وصحة اتصاف الرب سبحانه وتعالى بهما، فهما صفتان لله تعالى يتبين وجه الكمال له فيهما فقط ولا ينبغي أن يتجاوز ذلك"².

3- في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرْآنُ أَهْلَكَتَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾³ قراءات، فقد

قرأ شعبة "مهلك" بفتح الميم واللام، وقرأ حفص "مهلك" بفتح الميم وكسر اللام، وقرأ الباقر "مهلك" بضم الميم وفتح اللام⁴.

1 - المصدر السابق (ج 1 / 9).

2 - أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم: إبراز المعاني من حرز المعاني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ص: 70.

3 - سورة الكهف: الآية 59.

4 - انظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2/2002، (ج 2 / 311)؛ والقاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني، الوافي في شرح الشاطبية، مكتبة السوادبي، جدة، ط 1/1999، ص: 313؛ والمعصراوي، أحمد عيسى، الكامل المفصل في القراءات الأربع عشرة، دار الإمام الشاطبي، القاهرة، ط 1/2009 ص: 300.

و"مَهْلَك" تحتل أن تكون مصدراً للفعل أهْلَك، كما تحتل أن تكون اسم زمان، وذلك أن "كل" فعل ماضٍ على أفعل فالمصدر منه مُفْعَل، أو إِفْعَال، واسمُ الزمانِ منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان، تقول أدخَلْتَه مُدْخَلًا، وهذا مُدْخَلُه أي المكان الذي يدخل زيد منه، وهذا مُدْخَلُه أي وقت إدخاله¹.

وأما القراءة "مَهْلَك" فهي المصدر من الفعل "هَلَك" الثلاثي، والقراءة "مَهْلِك" هي اسم الزمان منه، قال الزجاج: "ويجوز أن يُقرأ 'لَمَهْلِكِهِمْ' على أن يكون 'مَهْلِك' اسماً للزمانِ على معنى هَلَك يَهْلِكُ، وهذا زمن مَهْلِكِهِ مثل جلس يجلس، إذا أردت المكان أو الزمان، فإذا أردت المَصْدَرَ قلت 'مَهْلَك' بفتح اللام مثل مجلس، يقال: أتت الناقةُ على مَضْرِبِها أي على زمانِ ضَرْبِها، وتقول جلس مجلساً - بفتح اللام - ومثله هَلَك مَهْلَكاً أي هَلُكاً².

وقوله تعالى: (مَهْلِكُ أَهْلِهِ) من إضافة المصدر إلى مفعوله، أما (مَهْلِكُ أَهْلِهِ) على قراءة شعبية فهي من إضافة المصدر إلى فاعله لأن الفعل لازم، وجوز أبو علي أن يكون متعدياً، وعليه يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى مفعوله³.

4- قال تعالى: ﴿وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بَحْرِنَهَا وَمُرْسَنَهَا﴾⁴ قرأ حفص وحزمة والكسائي وخلف بفتح الميم في كلمة ﴿بَحْرِنَهَا﴾، وقرأ الباقر بضمها، وقرأ المطويعي (مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا) بفتح

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 243).

2 - المصدر السابق نفس الصفحة، وانظر: الزمخشري، الكشاف (ج2/ 730)؛ والرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3/ 1999، (ج2/ 477)، والتحرير والتنوير (ج15/ 358).

3 - انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1/ 2001، (ج7/ 196)؛ والسمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف، الدر المصون، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1/ 1986، (ج7/ 514-515)، وقد خلط أبو حيان بين توجيه قراءة حفص وقراءة شعبية، ونَبّه على ذلك السمين.

4 - سورة هود، الآية 41.

الميمين، وقرأ الحسن (مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا) بياء فيهما بدل الألف على أنهما من أسماء الفاعلين من أجرى وأرسي بدلان من اسم الله تعالى¹.

وقال الأخفش: " (مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) إِذَا جُعِلَتْ مِنْ "أَجْرَيْتُ" و"أَرْسَيْتُ" وقال بعضهم (مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا) إِذَا جُعِلَتْ مِنْ "جَرَيْتُ" وقال بعضهم (مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا) لأنه أراد أن يجعل ذلك صفة لله عز وجل².

وذكر الزجاج هذه القراءات، وحمل القراءة بفتح الميم على المصدر، والمراد أن جريها وإرساؤها يقع بالله، أو على اسم الزمان والمعنى أن الله جلَّ وعزَّ أمرهم أن يُسمَّوا في وقت جريها ووقت استقرارها.

وحمل قراءة (مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) على أن ذلك مصدر الرباعي: أجرى وأرسي، "ومعنى ذلك بالله إجراؤها وبالله إرساؤها، يقال: أجرته مجرى وإجراء في معنى واحد".

والقراءة بذلك كله عنده صواب حسن، وأما القراءة (باسم الله مجريها ومرسيها) فلا يجوز عنده القراءة بها، لأنَّ القراءة سنة متبعة، ويحملها على وجهين: أحدهما الحال، والمعنى مجرياً لها ومرسياً لها، أو أن يكون منصوباً على المدح، ويجوز أن يكون مجريها ومرسيها في موضع رفع على إضمار هو مجريها ومرسيها³.

1 - الجزري، النشر (ج2/ 288)، والمعصراوي، الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشرة ص: 226.

2 - الأخفش، معاني القرآن (1/ 382).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 173).

ومعنى الآية عند الزمخشري اركبوا فيها قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها، إما لأن المجرى والمرسى للوقت، وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء، حذف منهما الوقت المضاف، كقولهم خفوق النجم، ومقدم الحاج، ويجوز أن يراد مكانا الإجراء والإرساء¹.

وحمل ابن عطية قراءة الضم في الميمين على المصدر من الرباعي، على معنى إجرائها وإرسائها، والقراءة بفتح الميم على أن ذلك من الجري والرسو، وهذه ظرفية مكان، وأما على قراءة (مُجْريها ومُرسِيها) فهما صفتان لله تعالى عائدتان على ذكره في قوله بِسْمِ اللَّهِ².

ثانياً: قد يكون السبب في اتساع المعنى أن اختلاف بنية الكلمة بتعدد القراءات فيها يسمح بردها إلى أفعال مختلفة في معناها، مما يوسع من المعاني التي تدل عليها الآية للكرامة، ومن أمثلة ذلك:

- 1- في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾³ يذكر أصحاب المعاني قراءة عائشة "تَلَقَّوْنَهُ" بكسر اللام وضم القاف⁴، وهو من الولق بمعنى الكذب والإسراع فيه، قال في الصحاح: "الولق: الإسراع ... والولقُ أيضاً: الاستمرار في السير وفي الكذب"⁵، وجاء في لسان العرب: "الولق والألُق: الاستمرار في الكذب ... وولق ولقا: كذب"⁶.

1 - الزمخشري، الكشاف (ج2/ 394).

2 - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2000، (ج3/ 173).

3 - سورة النور: الآية 15.

4 - انظر: ابن جني، المحتسب (ج2/ 104).

5 - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4/ 1987، (ج4/ 1568) (ولق).

6 - ابن منظور، لسان العرب (ج10/ 348) (ولق).

وجاء في تاج العروس: "وَلَقَ يَلِقُ وَلَقًا: أَسْرَعَ ... يُقَالُ: جَاءَتْ الْإِبِلُ تَلِقُ أَي: تُسْرِع ... وولق في السَّيْرِ، أو في الكَذِبِ يَلِقُ وَلَقًا: إِذَا اسْتَمَرَ فِيهِمَا"¹.

وقال الفراء: "والولق في السير والولق في الكذب بمنزلة إذا استمر في السير والكذب فقد ولق"²، وقال الزجاج: "ومعناه إذ تسرعون بالكذب، يقال ولق يلق إذا أسرع في الكذب وغيره"³.

2- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ﴾⁴ يذكر أصحاب المعاني قولين في معنى الآية مرجعهما الاختلاف في اشتقاق كلمة "يأتل"، والقول الأول أن معنى ﴿يَأْتِلِ﴾ يقسم من الإيلاء الذي هو الحلف، قال الفراء: "الاقتلاء: الحلف، وقرأ بعض أهل المدينة (ولا يَتَالٍ) وهي مخالفة للكتاب"⁵، قال الزجاج: "وَمَعْنَى تَأْتِلِي تَحْلِفُ وكذلك يَتَالِي يحلف"⁶. وقال النحاس: "فيه قولان، أحدهما: رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لا يقسموا ألا ينفعوا أحدا، والآخر: أن المعنى لا يقصروا من قولهم ما ألوت أن أفعل"⁷.

1 - الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس، دار الفكر، بيروت، ط1/ 1994، (ج26/

482) (ولق).

2 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 248)، وانظر: النحاس، معاني القرآن (ج2/ 799).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 31).

4 - سورة النور: الآية 22.

5 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 248).

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 29).

7 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 799-800).

وقال في مختار الصحاح: "ألا: من باب عدا أي قَصَّرَ، وَقَلَّانَ لَا يَأْلُوكَ نُصْحًا فَهُوَ آلٍ ...

وَأَلَى يُؤَلِّي إِيلَاءَ حَلَفَ وَتَأَلَّى وَاتَّلَى مِثْلُهُ ... ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ﴾¹، والقولان

ذكرهما ابن منظور في لسان العرب².

وذكر الطبري أن قراءة الجمهور "ولا يأتل" بمعنى: يفتعل من الألية - وهي القراءة التي

رجحها واختارها - وأن قراءة أبي جعفر "ولا يتأل" بمعنى يتفعّل من الألية، وردّها لأنها مخالفة

للمصحف³.

وجاء في الكشف: "وهو من اتلّى إذا حلف: افتعل من الألية، وقيل: من قولهم ما ألوت

جهدا، إذا لم تدخر منه شيئا. ويشهد للأول قراءة الحسن: "ولا يتأل"، والمعنى: لا يحلفوا على أن لا

يحسنوا إلى المستحقين للإحسان، أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم"⁴.

قال الراغب: "وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ قيل: هو يفتعل من ألوت، وقيل: هو

من آليت: حلفت ... وردّ هذا بعضهم بأنّ افتعل قلما يبني من "أفعل"، إنما يبني من "فعل"، وذلك

مثل: كسبت واكتسبت، وصنعت واصطنعت، ورأيت وارتأيت"⁵.

ثالثا: وقد يكون السبب في اتساع دلالة لمفردة القرآنية احتمالها لمعانٍ مختلفة تدلّ عليها على

سبيل الاشتراك، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ

1 - الرازي، مختار الصحاح (ج1/ 21) (ألا).

2 - ابن منظور، لسان العرب (ج 14/ 41) (ألا).

3 - الطبري، جامع البيان (ج 19/ 135).

4 - الزمخشري، الكشف (ج3/ 222).

5 - الراغب، مفردات القرآن ص: 84.

يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا¹، فكلمة "مسحور" في الآية تحتل معنيين: الأول: أن يُراد بها أنه ذو سحر، والسحر الرئة، والمعنى: إن تتبعون إلا بشرا مثلكم له سحر، والثاني: أن يكون من السحر².

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِطْرِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾³ فقوله سبحانه (المسومة) يحتل أن يراد به المُعلَّمة، أي عليها السومة وهي العلامة، كما يحتل أن يُراد به السائمة التي ترعى⁴.

المطلب الخامس: الفروق بين دلالة الأبنية عند أصحاب المعاني:

نجد عند أصحاب المعاني إشارات متكررة إلى الفروق بين الأبنية، وهم يوظفون توضيح هذه

الفروق في الوصول إلى المعنى وتحديده، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها:

1- الفرق بين مَفْعَل ومُفْعَل: جاء في القرآن الكريم صيغتا مَفْعَل ومُفْعَل للدلالة على

المصدر، ومَفْعَل بفتح الميم مصدر الثلاثي، ويمكن أن تكون اسم الزمان أو مكان منه، ومُفْعَل بضمها مصدر الرباعي، أو اسم زمان أو مكان منه.

1 - سورة الإسراء: الآية 47.

2 - انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 199).

3 - سورة آل عمران: الآية 14.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 324).

قال سيبويه: "إذا أردت المصدر بنيته على وزن مَفْعَل"¹، وقال المبرد: "اعلم أن المصادر تلحقها الميم في أولها زائدة"².

وقال الميداني: "المَفْعَل من الثلاثي الصحيح يكون بمعنى المصدر، وبمعنى الموضع، نحو هَرَبَ هَرَبًا ومَهَرَبًا، وهذا مَهَرَبٌ، وَقَعَدَ قُعُودًا ومَقْعَدًا، وهذا مَقْعَدُ فلان"³.

وقال الدكتور فاضل السامرائي: "المصدر الميمي يصاغ من الفعل الثلاثي على وزن (مَفْعَل) ... أمّا من غير الثلاثي فإنه يُصاغ على وزن اسم المفعول كالمُنْطَلَق والمُسْتَخَرَج والمُنْقَلَب"⁴.

والفرق بين الصيغتين نجده عند الأخفش في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَنَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾⁵ فهو يبين أن كلمة "مُدْخَل" جاءت مضمومة الميم لأنها من الرباعي أَدْخَلَ يُدْخِلُ، ويقول: "والموضع من هذا مضموم الميم لأنه مشبه ببنات الأربعة "دحرج" ونحوها، ألا ترى أنك تقول: "هذا مُدْخَرَجُنَا"، فالميم إذا جاوز الفعل الثلاثة مضمومة ... وقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾⁶، وتكون الميم مفتوحة إن شئت إذا جعلته من "دَخَلَ" و"خَرَجَ". وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾⁷ إذا جعلته من: "قام" "يقوم"، فإن جعلته من "أقام" "يقيم" قلت: "مقام أمين"⁸.

1 - سيبويه، الكتاب (ج1/ 354).

2 - المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ط1/ 1994، (ج2/ 118).

3 - الميداني، أحمد بن محمد، نزهة الطرف في علم الصرف، تحقيق: يسرية محمد إبراهيم حسن، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1/ 2000، ص: 173.

4 - السامرائي، فاضل، معاني الأبنية، دار عمار، عمان، ط1/ 2005، ص: 31.

5 - سورة النساء: الآية 31.

6 - سورة الإسراء: الآية 80.

7 - سورة الدخان: الآية 51.

8 - الأخفش، معاني القرآن (ج3/ 10).

وقال الفراء: "ومن قال: مَدَخَلًا ومَخْرَجًا فكأنه بناه على: أدخلني دخول صدق وأخرجني خروج صدق، وقد يكون إذا كان مفتوحا أن يراد به المنزل بعينه كالدار والبيت"¹.

وقال الزجاج: "فمن قال مُدْخَلٌ - بضم الميم - فهو مصدر أدخلته مُدْخَلًا، ومن قال مَدْخَلٌ صدق فهو على أدخلته فدخل مُدْخَلٌ صدق"².

فالنصوص السابقة عرضت لدلالة الصيغة في قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا﴾، وقد قرأ نافع وأبو جعفر (مَدْخَلًا) بفتح الميم، وقرأ الباقر بضمها³.

قال ابن خالويه: "قوله تعالى: مُدْخَلًا كَرِيمًا: يقرأ بضم الميم وفتحها، فالحجة لمن ضم: أنه جعله مصدرا من أدخل يدخل، والحجة لمن فتح: أنه جعله مصدرا من دخل يدخل مَدْخَلًا ودخولا، ويجوز أن يكون الفتح اسما للمكان، وربما جاء بالضم"⁴.

وقد وجّه الزمخشري القراءتين بقوله: "و"مَدْخَلًا" بضم الميم وفتحها، بمعنى المكان والمصدر فيهما"⁵.

وقراءة نافع "مَدْخَلًا" فيها عدول عن استعمال مصدر الفعل الرباعي المذكور "يُدْخِلُ" إلى مصدر الثلاثي دخل، ويلزم عن ذلك تقدير فعل محذوف في الآية كأنه قال: يُدْخِلْكُمْ فَتَدْخُلُونَ مَدْخَلًا، وفي هذا يقول ابن زنجلة: "قرأ نافع وندخلكم مَدْخَلًا كريما بنصب الميم، جعله مصدرا من دَخَلَ يدخل مَدْخَلًا، فإن سأل سائل فقال: قد تقدم ما يدل على أنه من أدخل؟ فالجواب في ذلك: أن المدخل

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 263) بتصرف.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (3/ 210).

3 - انظر: الجزري، النشر (ج2/ 249)، وابن مجاهد، السبعة في القراءات ص: 232، والمعصراوي، الكامل

المفصل في القراءات الأربعة عشر ص: 83.

4- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت،

ط4/ 1991، ص: 122، بتصرف.

5 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 503).

مصدر صدر عن غير لفظه، كأنه قال ويدخلكم فتدخلون مدخلا، وكذلك قوله والله أنبتكم من الأرض نباتا ولم يقل إنباتا قال الخليل تقديره فنبتم نباتا¹.

وقال أبو علي: "قوله تعالى: "مَدْخَلًا بعد يُدْخِلُكُمْ يحتمل وجهين: يحتمل أن يكون مصدرا، ويجوز أن يكون مكانا، فإن حملته على المصدر أضمرت له فعلا دلّ عليه الفعل المذكور، والتقدير: ويدخلكم فتدخلون مدخلا، ويجوز أن يكون مكانا، كأنه قال: يدخلكم مكانا، ويكون على هذا التقدير منتصبا بهذا الفعل المذكور، والمكان أشبه هاهنا، لأننا رأينا المكان وصف بالكريم، وهو قوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾² 3.

والعدول عن مصدر الفعل المذكور إلى استعمال غيره له أسرارُه البَيَانِيَّةُ التي سيأتي بحثها. وقريب من المثال السابق ما ذكره الزجاج في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾⁴ فقد قرأ شعبة (مُنْزَلًا) بفتح الميم وكسر الزاي، وقرأ بَقِيَّةُ السبعة (مُنْزَلًا) بضم الميم وفتح الزاي⁵، وبين الزجاج الفرق بين مَنَزَلٍ ومُنْزَلٍ، فالْمَنْزِلُ من الثلاثي، والمَنْزَلُ من الرباعي، و"الْمَنْزَلُ اسم لكل ما نزلت فيه، والمَنْزَلُ المصدر بمعنى الإنزال، يَقُولُ: أَنْزَلْتُهُ إِنْزَالًا وَمَنْزَلًا"⁶.

1 - ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، حَجَّةُ القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2/ 1982، ص: 199.

2 - سورة الدخان: الآيتان 25-26.

3 - الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجايفي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2/ 1993، (ج3/ 153) بتصرف.

4 - سورة المؤمنون: الآية 29.

5 - القاضي، الوافي شرح الشاطبية ص: 326.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 11).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ فَلَا تَحْزَنُ ۚ إِنَّمَا لَكُمْ الْيَوْمَ الْحَسَنُ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِ الْحَافِظُ﴾¹ قرأ حفص بضم الميم

الأولى، وقرأ الباقر بفتحها²، قال الزجاج: "فمن ضم الميم فالمعنى لا إقامة لكم، تقول: أقمت في

البلد إقامة ومقاماً، ومن قرأ لا مقام لكم "بفتح الميم، فالمعنى لا مكان لكم تقيمون فيه"³.

2- الفرق بين فاعل وفاعلة فيما يكون للأنثى:

من الصفات ما تختص به الإناث مثل: مرضع وحائض وطالق وحامل، ومثل هذه الصفات لا

يلحقها تاء التأنيث إذا أريد بها الصفة، وإذا أضيف لها تاء التأنيث دل ذلك على التلبس بالفعل، ولذا

قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَبُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾⁴.

وقد بين الأخفش دلالة تاء التأنيث فقال: "وذلك انه أراد - والله أعلم - الفعل، ولو أراد

الصفة فيما نرى لقال: "مرضع". وكذلك كل "مفعِل" و"فَاعِل" يكون للأنثى ولا يكون للذكر فهو بغير

هاء⁵.

وفائدة التعبير بقوله تعالى (مرضعة) أن فيه مزيد تصوير لهول يوم القيامة، وقد بين

الزمخشري ذلك بقوله: "فإن قلت: لم قيل مرضعة دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال

الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشِر الإرضاع في حال

1 - سورة الأحزاب: الآية 13.

2 - انظر: ابن الجوزي، النشر (ج2/348)، وابن القاصح، علي بن عثمان، سراج القارئ، تحقيق: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1/1954، ص: 326، والمعصراوي، الكامل المفصل ص: 419.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/166).

4 - سورة الحج: الآية 2.

5 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/450).

وصفها به، فقيل: مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعتة عن فيه لما يلحقها من الدهشة¹.

وقال ابن عطية: "وأحق الهاء في «مرضع» لأنه أراد فاعلات ذلك في ذلك اليوم، فأجراه على الفعل. وأما إذا أخبرت عن المرأة بأن لها طفلا ترضعه فإنما نقول: مرضع، مثل حامل². وذكر الفراء والزجاج فرقا آخر بين المرضع والمرضعة، فالمرضعة الأم التي تُرضع ولدها، أما المرضع فيقصد بها: ذات إرضاع، سواء أرضعت ولدها أم أرضعت غيره³. وهذا الرأي منسجم أيضا مع الدلالة على هول يوم القيامة، لأنّ ذهول الأم عن ولدها الذي ترضعه أبلغ في الدلالة على هول يوم القيامة من ذهول المرأة المستأجرة لترضع غير ولدها.

المطلب السادس: التناوب بين الصيغ الصرفية:

يشير أصحاب المعاني إلى أنّ صيغ الصرفية قد تتناوب، ومن صور التناوب التي ذكروها:

- أ- التناوب بين المصادر: وذلك بأن يأتي الفعل ومعه مصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق، ومن أمثلة ذلك أنّ الفعل "أنبت" مصدره "إنبات"، والفعل نبت مصدره "نبات"، وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾⁴، ناب مصدر الفعل الثلاثي عن الرباعي، ولو جاء الكلام على أصله لكان: "والله أنبتكم من الأرض إنباتا"، قال الأخفش: "جعل النّباتَ المصدر، والمصدر "الإنبات" لأن هذا يدل على المعنى⁵.

1 - الزمخشري، الكشاف (ج 3/ 142)، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج 23/ 201).

2 - ابن عطية المحرر الوجيز (ج 4/ 106).

3 - الفراء، معاني القرآن (ج 2/ 214) والزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 3/ 332).

4 - سورة نوح: الآية 17.

5 - الأخفش، معاني القرآن (ج 2/ 550).

ومن أمثلة التناوب بين المصادر ما جاء في قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبَيِّنْ لَهُ بَيِّنَاتٍ﴾¹ فقد جاء بالفعل "تَبَيَّنَ" غير أنه لم يأت بمصدره، وإنما جاء بمصدر فعل آخر هو "بَيَّنَّ"، وذلك أن مصدر "تَفَعَّلَ" يكون على التَفَعُّلِ، مثل: تَعَلَّمَ تَعَلُّماً، وتَقَدَّمَ تَقَدُّماً. وأمَّا التَّبَيُّنُ فهو مصدر "بَيَّنَّ" لأنَّ فعل مصدره "تَفَعَّلَ"، مثل: عِلْمٌ تَعْلِيماً وعِظَمٌ تَعْظِيماً².

قال الأخفش في تفسير الآية: "فلم يجيء بمصدره، ومصدره "التَّبَيَّنَّ"، كما قال ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتُكَ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾"³.

وقال الزجاج: "والأصل في المصدر في تبَيَّنَ تَبَيَّنْتُ تَبَيُّلاً، وَبَيَّنْتُ تَبَيُّلاً، فتَبَيُّلاً محمول على معنى تَبَيَّنَ إِلَيْهِ تَبَيُّلاً"⁴.

ومن أسرار الآية الكريمة أنها جاءت بهذا الأسلوب المعجز لتجمع بين معنيي التَّبَيَّنَ والتَّبَيُّنِ، وذلك أن وزن "تَفَعَّلَ" يدل على ما فيه تدرُّج أو تكَلُّفٌ مثل: تَعَلَّمَ وتَسَمَّعَ، ووزن "فَعَّلَ" يفيد التكثير والمبالغة مثل: قَطَعَ وكَسَّرَ، والآية جاءت بالفعل لتدل على معنى التدرُّج، وبالمصدر لتدل على معنى التكثير، وجمعت المعنيين في عبارة واحدة موجزة⁵.

وقد بيّن ابن القيم هذا السرّ البلاغي فقال: "ومصدر تبَيَّنَ إليه تَبَيُّلاً كالتَّعَلَّمَ والتَّفَهَّمَ، ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعل لسر لطيف، فإن في هذا الفعل إيذاناً بالتدرّج والتكلف والتعمل والتكثر والمبالغة، فأتى بالفعل الدال على أحدهما، وبالمصدر الدال على الآخر، فكانه قيل: بَيَّنَّ

1 - سورة المزمل: الآية 8.

2 - انظر: السامرائي، التعبير القرآني ص: 34.

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 552).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 186)، والعبارة في المطبوع غير مستقيمة، وما ذكرناه تصويبها.

5 - انظر: السامرائي، التعبير القرآني ص: 34.

نفسك إلى الله تبتلًا، وتبتل إليه تبتلًا، ففهم المعنيان من الفعل ومصدره، وهذا كثير في القرآن، وهو من حسن الاختصار والإيجاز¹.

وجوز الألوסי أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتم نباتا، فحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء بما ذكر في الأخرى على أنه من الاحتباك². ويرى السامرائي أن تقديم التبتل على التبتيل في الآية يدل على غرض تربوي، وهو أنه قدّم ما يدل على التدرّج أولا، ثم أتبعه بما يدل على الكثرة، والمعنى: احمل نفسك على التبتل والانقطاع إلى الله في العبادة شيئا فشيئا حتى تصل إلى الكثرة³.

والإمامان الرازي وابن عاشور تلمّح عبارتهما إلى رأي مغاير في تفسير الآية، فهما يريان أن ما كان من المصادر على وزن "تفعيل" فهو دالّ على تصرف الفاعل، وما كان على تفعّل فيدلّ على حصول الفعل، وعليه فقد قدّم في الآية التبتل الدال على حصول الانقطاع لله، لأنه هو المقصود، وذكر بعده الوسيلة إليه، وهو التبتيل.

قال الرازي: "الواجب أن يقال: وتبتل إليه تبتلًا أو يقال: بتل نفسك إليه تبتلًا، لكنه تعالى لم يذكرهما واختار هذه العبارة الدقيقة وهي أن المقصود بالذات إنما هو التبتل، فأما التبتيل فهو تصرف، والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا إلى الله لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً إلى الله، إلا أنه لا بد أولا من التبتيل حتى يحصل التبتل كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁴.

1 - ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، التفسير القيم، دار الهلال، بيروت، ط1/ 1991، ص: 555.

2 - الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1998، (ج15/ 84).

3 - انظر: السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط3/ 2005، ص: 35.

4 - سورة العنكبوت: الآية 69.

فذكر التبتل أولاً إشعاراً بأنه المقصود بالذات وذكر التبتل ثانياً إشعاراً بأنه لا بد منه ولكنه مقصود بالغرض¹.

وقال ابن عاشور فقال: "وجيء بهذا المصدر عوضاً عن التبتل للإشارة إلى أن حصول التبتل، أي الانقطاع يقتضي التبتل أي القطع ... والجمع بين تبتل وتبتلاً مشير إلى إرضاء النفس على ذلك التبتل"².

ب- أن ينوب اسم الفاعل عن اسم المفعول: كما في قوله تعالى: (قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ)³ فالأخفش يُجَوِّزُ أن يكون معنى عاصم: معصوم⁴، والفراء يجعل "العاصم في تأويل معصوم كأنك قلت: لا معصوم اليوم من أمر الله"، ويقول: "ولا تتكرن أن يخرج المفعول على فاعل، ألا ترى قوله ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾⁵ فمعناه والله أعلم: مدفوق، وقوله ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾⁶ معناها مَرْضِيَّة⁷.

أمّا الزجاج فيرى أن "المعنى لكن مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، فإنه مَعْصُوم، ويكون (لَا عَاصِمَ) معناه لا ذا عِصْمَةٍ، كما قالوا: (عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ)، معناه مَرْضِيَّة، وجاز راضية على جهة النسب أي في عيشة ذات رضا، وتكون "من" على هذا التفسير في موضع رفع، ويكون المعنى لا مَعْصُومَ إلا المرحوم"⁸.

1 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج30/ 687).

2 - ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج29/ 266).

3 - سورة هود: الآية 43.

4 - الأخفش، معاني القرآن 383/1.

5 - سورة الطارق: الآية 6.

6 - سورة الحاقة الآية 21، و سورة القارعة: الآية 7.

7 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 15-16).

8 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 45).

والنصوص السابقة عند أصحاب المعاني تضعنا أمام عدد من الآيات الكريمة رأى أصحاب

المعاني أن فيها تناوبا في صيغ المشتقات.

والآية الأولى منها هي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾¹ وقد بين الرازي

موضع الإشكال في الآية الموجب للتأويل، وهو أن الذي رحمه الله معصوم، فكيف يحسن استثناء المعصوم من العاصم؟²

وقد تعددت تأويلات العلماء للآية، فمنهم من يرى الاستثناء منقطعاً، كأنه قيل: ولكن من رحمه الله فهو المعصوم، وحسن هذا من جهة المعنى أن نفي العاصم يقتضي نفي المعصوم³، ويكون قوله تعالى (من رحم) مراداً من قدر الله له النجاة من الغرق برحمته⁴.

ومنهم من يراه متصلاً ويجعل الكلام على إضمار المكان أي لا عاصم إلا مكان من رحمه الله من المؤمنين وهو السفينة، وقيل لا عاصم، بمعنى: لا ذا عصمة أي معصوم إلا من رحمه الله⁵.

وجوز ابن عطية أن يكون قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ معناه إلا الراحم⁶، وعلى هذا القول

يكون تقدير الآية: لا عاصم اليوم من عذاب الله إلا الله الرحيم، وإنما قيل: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ) تفخيماً

1 - سورة هود: الآية 43.

2 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج 17 / 352).

3 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج 3 / 175).

4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج 12 / 77).

5 - انظر: الزمخشري، الكشاف (ج 2 / 397)، والأوسى، روح المعاني (ج 6 / 258)، السمين الحلبي، الدر

المصون (ج 6 / 332).

6 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج 3 / 175).

لشأنه الجليل جل شأنه وإشعاراً بعليّة رحمته، وهذا التأويل قال عنه الرازي: " في غاية الحسن"¹،
وعده الألويسي أقوى الأقوال².

وأما قوله تعالى ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾³ فقد ذكر الزمخشري احتمالين في معنى "راضية" أولهما:
أن تكون منسوبة إلى الرضا كالدارع والنايل، والثاني: أن يكون جعل الفعل لها مجازاً وهو
لصاحبها⁴.

وجاء في تفسير القرطبي: " راضية أي مرضية، كقولك: ماء دافق، أي مدفوق، وقيل: ذات
رضا، أي يرضى بها صاحبها، مثل لابن وتامر، أي صاحب اللبن والتمر"⁵.

وتعقب الألويسي رأي القائلين بأنّ راضية أي ذات رضا بقوله: " أورد عليه أن ما أريد به
النسبة لا يؤنث - كما صرح به الرضي وغيره - وهو هنا مؤنث فلا يصح هذا التأويل، إلّا أن يقال
النّاء فيه للمبالغة"، ثمّ قال: " والمشهور حمل ما ذكر على أنه مجاز في الإسناد والأصل في عيشة
راض صاحبها فأسند الرضا إليها لجعلها لخلوصها دائماً عن الشوائب كأنّها نفسها راضية"⁶.

وعلى ذلك فوصف العيشة بأنها راضية مجاز عقلي لملازمة العيشة لصاحبها ملازمة الصفة
لموصوفها، والراضي: هو صاحب العيشة لا العيشة، فوصف العيشة براضية من إسناد الوصف إلى

1 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج 17 / 352).

2 - الألويسي، روح المعاني (ج 6 / 258).

3 - سورة الحاقة الآية 21، و سورة القارعة: الآية 7.

4 - الزمخشري، الكشاف (ج 4 / 603).

5 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم طيفيش، دار

الكتب المصرية، القاهرة، ط 2 / 1964، (ج 18 / 270)، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج 30 / 629).

6 - الألويسي، روح المعاني (15 / 54).

غير ما هو له، وهو من المبالغة لأنه يدل على شدة الرضى بسببها حتى سرى إليها، وفي للظرفية المجازية وهي الملايسة¹.

أما قوله سبحانه «خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ»² فينطبق عليه ما ذكرنا عن الآيات السابقة من احتمال أن يكون اسم الفاعل جاء للدلالة على النسبة أو أن يكون من باب المجاز العقلي، قال في الكشف: "والدفق: صبّ فيه دفع، ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق، كاللبن والتامر، أو الإسناد المجازي، والدفق في الحقيقة لصاحبه"³.

وجاء عند الألويسي: "والدفق صبب فيه دفع وسيلان بسرعة، وأريد بالماء الدافق المني، ودافق قيل بمعنى مدفوق على تأويل اسم الفاعل بالمفعول ... وقال الخليل وسيبويه هو على النسب كلابن وتامر أي ذي دفق وهو صادق على الفاعل والمفعول، وقيل: هو اسم فاعل وإسناده إلى الماء مجاز وأسند إليه ما لصاحبه مبالغة، أو هو استعارة مكنية وتخيلية⁴ كما ذهب إليه السكاكي أو مصرحة بجعله دافقا لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفع أي يدفع بعضه بعضا"⁵.

1 - انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج29/ 133).

2 - سورة الطارق: الآية 6.

3 - الزمخشري، الكشف (ج4/ 735) ..

4 - الاستعارة المكنية هي مكنية، وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه. أما الاستعارة التخيلية فقال عنها في الإيضاح: "قد يضمّر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسا أو عقلا أجري عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية. (القزويني، الإيضاح ص: 290).

5 - الألويسي، روح المعاني (ج15/ 308).

ومن العلماء من أبقي الصيغة على ظاهرها، ولم يلجأ إلى التأويل، فابن عطية يقول: "والدفع: دفع الماء بعضه إلى بعض، تدفق الوادي والسيول، إذا جاء يركب بعضه بعضا، ويصح أن يكون الماء دافقا، لأن بعضه يدفع بعضا، فمنه دافق ومنه مدفوق"¹.

وتعقب أو حيان هذا القول بأنه مركب على الفعل "تدفع"، وتدفع لازم دفعته فتدفع، نحو: كسرتة فتكسر، وقال: "ودفع ليس في اللغة معناه ما فسر من قوله: والدفع دفع الماء بعضه ببعض، بل المحفوظ أنه الصب"².

ج- أن ينوب ما كان على صيغة "فعل" عن اسم المفعول: ومن أمثلة قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّيَّةُ وَالَّذِينَ وَلَعُمُ الْخَنَازِيرُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَّةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾³ فالنطيحة بمعنى المنطوحة، والتاء فيها لنقل الكلمة كم الوصف إلى الاسم، قال الأخفش: "فيها الهاء لأنها جعلت كالاسم مثل "أكيلة الأسد"، وإنما تقول: "هي أكيل" و"هي نطيح" "لأن كل ما فيه "مفعولة" فـ"الفعل" فيه بغير الهاء نحو "القتيل" و"الصريع" إذا عنيت المرأة"⁴.

فالنطيحة هي "التي تنطحها أخرى فتموت، وهاء التانيث تدخل في الفعل إذا كان بمعنى الفاعل، فإذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث، نحو عين كحيل وكف خضيب، فإذا حذفت الاسم وأفردت الصفة، أدخلوا الهاء فقالوا: رأينا كحيلة وخضيبية، وهنا أدخل الهاء لأنه لم

1 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 465).

2 - أو حيان، البحر المحيط (ج10/ 451).

3 - سورة المائدة: الآية 3.

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج/ 273).

يتقدمها الاسم، فلو أسقط الهاء لم يدر أنها صفة مؤنث أم مذكر، ومثله الذبيحة والنسيكة¹.

والزجاج يجعل "النطيحة" محتملة للتي تَنْطَحُ أو تَنْطَحُ فتموت²، وهذا قريب مما ذكره ابن عطية في قوله: "وَالنَّطِيحَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، وَهِيَ الشَّاةُ تَنْطَحُهَا أُخْرَى أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ فَتَمُوتُ، وَتَأْوِلُ قَوْمُ النَّطِيحَةِ بِمَعْنَى النَّاطِحَةِ لِأَنَّ الشَّاتَيْنِ قَدْ تَتَنَاطَحَانِ فَتَمُوتَانِ ... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسَّدي وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: النَّطِيحَةُ الشَّاةُ تَتَنَاطَحُ الشَّاةُ فَتَمُوتَانِ أَوْ الشَّاةُ تَنْطَحُهَا الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ"³.

ومما جاء على وزن "فعليل" للدلالة على اسم المفعول كلمة "ربيبة" ففي قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْتُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾⁴ الربائب جمع ربيبة، ومعناها مربوبة لأن الرجل هو الذي يربها ويتولى تربيتها، وقد قال الزجاج بعد أن أوضح ذلك: "والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه، فيقولون: هذا مقتول وهذا ذبيح، أي قد وقع بهم ذلك. وهذا قاتل أي قد قتل"⁵.

د- أن يُستعمل ما يدلّ على العاقل في الحديث عن غير العاقل إذا اقتضى السياق ذلك، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾⁶، الآية الكريمة لما نسبت إلى الشمس والقمر والكواكب فعل السجود - وهو من فعل من يعقل - جاءت الصيغة (ساجدين) في التعبير عنهم، والجمع السالم يُستعمل في الحديث عن العقلاء، وفي هذا يقول الفراء: "إن النون والواو إنما تكونان في جمع ذكران الجن والإنس وما أشبههم،

1 - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر ورفاقه، دار طيبة، الرياض، ط4/ 1997، (ج3/ 10).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 117).

3 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج2/ 151).

4 - سورة النساء: الآية 23.

5 - الزجاج معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 28).

6 - سورة يوسف: الآية 4.

فيقال: الناس ساجدون، والملائكة والجن ساجدون. فإذا عدوت هذا صار المؤنث والمذكر إلى التأنيث، فيقال: الكباش قد ذبحن وذبحت ومذبحت، ولا يجوز مذبحون. وإنما جاز في الشمس والقمر والكواكب بالنون والياء لأنهم وصفوا بأفاعيل الآدميين، ألا ترى أن السجود والركوع لا يكون إلا من الآدميين فأخرج فعلهم على فعال الآدميين، ومثله: ﴿وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا¹﴾ فكأنهم خاطبوا رجالا إذ كلمتهم وكلموها. وكذلك ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ²﴾ فما أتاك موقعا لفعل الآدميين من غيرهم أجريته على هذا³.

وقال الزجاج: " فإذا وصف غير الناس والملائكة بأنه يعبد ويتكلم فقد دخل في المميزين وصار الإخبار عنه كالإخبار عنهم، فمن ذلك قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَنَّاوَهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ⁴﴾ وقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ⁵﴾، فالواو والنون دخلتا لما وصفنا من دخولهم في التمييز⁶.

1 - سورة فصلت: الآية 21.

2 - سورة النمل: الآية 18.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج 2/ 34 - 35).

4 - سورة هود: الآية 63.

5 - سورة يس: الآية 40.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 3/ 73).

المطلب السابع: معاني زيادات الأفعال عند أصحاب المعاني

من المباحث المهمة المرتبطة بدلالة المفردة القرآنية معرفة معاني زيادات الأفعال، وهو جانب من الدرس اللغوي والبياني اعتنى به أصحاب المعاني لما له من اتصال بمعرفة معاني الآيات الكريمة والكشف عن أسرار التعبير فيها.

ومن أمثلة ذلك:

1- دلالات ما جاء على وزن أفعِل:

من دلالات زيادة الهمزة الدلالة على الدخول في الوقت أو المكان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾¹، قال الزجاج: "يقال أشرقنا فنحن مشرقون، إذا صادفوا شروق الشمس، وهو طلوعها، كما نقول أصبحنا إذا صادفوا الصبح، يقال شَرَقَتِ الشمس إذا طلعت وأشرقَت بمعنى واحد، إلا أن معنى "مُشْرِقِينَ" في معنى مصادفين لطلوع الشمس"²، ويفسر النحاس الآية الكريمة بقوله: "فأخذتهم الصيحة بالعذاب وقت إشراق الشمس"³.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾⁴ يقول الزجاج: "أي في وقت شروق الشمس، يقال أشرقنا أي دخلنا في وقت طلوع الشمس، ويقال شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقَت إذا أضاءت وصفت، وأشرقنا نحن دخلنا في الشروق"⁵، وقال النحاس: "أكثر أهل التفسير على أن المعنى وقت

1 - سورة الحجر: الآية 73.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 151).

3 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 608).

4 - سورة الشعراء: الآية 60.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (4/ 71).

الشروق ... يقال أشرقنا أي دخلنا في الشروق، كما يقال أصبحنا أي دخلنا في الصباح¹.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَى أَحَدٍ﴾² يقول الفراء: "الإصعاد

في ابتداء الأسفار والمخارج، تقول: أصعدنا من مكة ومن بغداد إلى خراسان، وشبيه ذلك، فإذا

صعدت على السلم أو الدرجة ونحوهما قلت: صعدت، ولم تقل أصعدت³.

ومن دلالات وزن "أفعل" الصيرورة، وقد أوضح الزجاج ذلك في تفسيره لقوله تعالى:

﴿فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ﴾⁴ فقد قرأ حمزة بضم الياء، وقرأ الباقر بفتحها، وأصله من زفيف النعام، وهو

ابتداء عذوها، يقال زف النعام يرف، والقراءة (يرفون) معناها: يصيرون إلى الزفيف، مثل "أقهر"

صار إلى القهر⁵.

2- دلالات ما جاء على وزن فعل: من دلالات التضعيف في الفعل التعدي، فيصير الفعل

المضعف متعدياً بعد أن كان لازماً، ويصير المتعدي إلى مفعول متعدياً إلى مفعولين، ونجد الإشارة

إلى ذلك في الفعل "كذب" و"كذب"، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾⁶ فيه قراءتان: فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح الياء

وسكون الكاف، وقرأ بقية العشرة بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الدال (يُكذِّبون)⁷، قال الأخفش:

"(يُكذِّبون) يجحدون وهو الكفر، وقال بعضهم: (يُكذِّبون) خفيفة وبها نقرأ، يعني "يُكذِّبون على الله"

1 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 423).

2 - سورة آل عمران: الآية 153.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 168).

4 - سورة الصافات: الآية 94.

5 - الزجاج، معاني القرآن (ج4/ 233).

6 - سورة البقرة: الآية 10.

7 - انظر: الجزري، النشر (ج2/ 207)، وابن القاصح، سراج القارئ ص: 148، والمعصراوي، الكامل المفصل

في القراءات الأربعة عشر ص: 3.

وعلى الرسل¹. وقال الزجاج: " فمن قرأ يكذبون بالتخفيف فإنّ كذبهم قولهم أنهم مؤمنون ... أما (يُكْذِبُونَ) بالثقل فمعناه بتكذيبهم النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ومن دلالة "فعل" التكرير، وقد جاء ذلك في كلام الزجاج عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾² فقد بين الفرق بين "يُذَبِّحُونَ" و "يُذَبِّحُونَ" ، فالتضعيف أفاد التكرير، ويذبحون يصلح أن يكون للقليل ولل كثير، ومعنى التكرير هنا أبلغ³.

ويشير الزجاج إلى السرّ في استعمال الفعل " وصّى " في الآية الكريمة: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾⁴ فالفعل "وصّى" أبلغ من "أوصى" لأنّ "أوصى" يجوز أن يُراد به أنّه قال لهم ذلك مرة واحدة، و"وصّى" لا يكون إلا لمرات كثيرة⁵.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا عِبُدُونَ﴾⁶ يرى الفراء أنّ قوله ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ليست من زلّت إنما هي من زلّت ذا من ذا: إذا فرقت ذا من ذا، قال: "وقال ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ لكثرة الفعل. ولو قلّ لقلت: زلّ ذا من ذا"⁷. وقال الزجاج عن الفعل ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ أنّه "من قولك زلّت الشيء عن مكانه أزيله، وزيلت للكثرة"⁸.

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 42).

2 - سورة البقرة: الآية 49.

3 - انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 119).

4 - سورة البقرة: الآية 132.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 185).

6 - سورة يونس: الآية 28.

7 - الفراء معاني القرآن (ج1 / 462).

8 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 16).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾¹ يذكر الزجاج القراءة (فَرَضْنَاهَا) بالتشديد وهي

قراءة ابن كثير وأبي عمرو²، ويوجهها الزجاج على معنى التكثير، بمعنى فرضنا فيها فروضا

كثيرة، أو على معنى فصلنا وبيّنا ما فيها من الحلال والحرام³.

ويشير الزجاج إلى أن "فَعَلَ" يمكن أن تدلّ على معنى الاتخاذ، فيقال: عبّدت الرجل وأعبدته

أي اتخذته عبدا⁴، وعلى هذا يفسّر قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾⁵

3- دلالة الوزن "افْعَوْعَلْ" على المبالغة: ففي تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ

لِيَسْتَخَفُّوا مِنْهُ﴾⁶ يذكر ما ورد عن ابن عباس أنه قرأها "تَتَنُونِي" صدورهم على مثال تَفْعَوْعَلْ

ومعناها المبالغة في الشيء، ومثل ذلك قد احتلّوا الشيء إذا بلغ الغاية في الحلاوة⁷.

4- دلالة "استفعل" على الطلب: قال الزجاج: "ومعنى استسقى استدعى أن يسقى قومه،

وكذلك استنصرت استدعيت للنصرة"⁸.

1 - سورة النور: الآية 1.

2 - الجزري، النشر في القراءات العشر (2/ 330)، والقاضي، الوافي في شرح الشاطبية ص: 328، والمعصراني، الكامل المفصل ص: 350.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 22).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 67).

5 - سورة الشعراء: الآية 22.

6 - سورة هود: الآية 5.

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 32)، وانظر: الفراء، معاني القرآن (ج2/ 4).

8 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 128).

المطلب الثامن: الفروق بين ما يُظنّ ترادفه عند أصحاب المعاني:

لا شكّ في أنّ تحديد المعنى الدقيق للمفردة القرآنيّة من الأمور المهمّة في التفسير، فذلك مقدّمة لا بدّ منها لدراسة المعاني القريبة والبعيدة التي تشملها الآيات الكريمة، والغوص على أسرار البيان فيها.

من المباحث الدقيقة المتعلقة بدلالة المفردة القرآنيّة ما نجده عند أصحاب المعاني من فروق دقيقة بين بعض المفردات، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها:

1- الفرق بين الحمد والشكر: ذكر النحاس الفرق بين الحمد والشكر فقال: " الفرق بين الحمد والشكر أنّ الحمد أعمّ لأنّه يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر والجزاء، والشكر مخصوص بما يكون مكافأة لمن أولاك معروفًا، فصار الحمد أثبت في الآية لأنّه يزيد على الشكر"¹.

2- الفرق بين القوام والقوام: بيّن الفراء والنحاس الفرق بين الكلمتين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾² فالقوام بالفتح الوسط بين الشيّئين، ويُقال للمرأة: إنّها لحسنة القوام في اعتدالها. أمّا قوام الشيء فما يدوم به ويستمرّ، ويُقال: أنت قوام أهلِكَ أي بك يقوم أمرهم وشأنهم، وقيام وقيم في معنى قوام³.

3- الفرق بين السدّ والسدّ، فقد قال الزجاج: "ما كان مسدودا خلقة فهو سدّ، وما كان من عمل الناس فهو سدّ"⁴.

1 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 57).

2 - سورة الفرقان: الآية 67.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 273)، والنحاس، معاني القرآن (ج2/ 839).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 253).

4- الفرق بين عجمي وأعجمي: فرّق الزجاج والنحاس بين العجمي والأعجمي، فالأعجمي

الذي لا يفصح وإن كان عربياً، والعجمي الذي أصله من العجم وإن كان فصيحاً¹.

5- الفرق بين العدل والعدل: فرّق الفراء بين الكلمتين فقال: "والعدل: ما عادل الشيء من

غير جنسه، والعدل المثل، وذلك أن تقول: عندي عدل غلامك وعدل شاتك إذا كان غلاماً يعدل غلاماً أو شاة تعدل شاة، فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين"².

6- الفرق بين القرح والقرح، قال الفراء: "وكان القرح ألم الجراحات، وكان القرح الجراحات

نفسها"³.

7- الفرق بين حسّ وأحسّ، قال الفراء: "والإحساس الوجود، تقول في الكلام: هل أحسست

أحداً، وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يُحِصُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾⁴، وإذا قلت: حسست بغير ألف

فهي بمعنى الإفناء والقتل، من ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾⁵، والحسّ أيضاً

العطف والرقّة"⁶.

8- الفرق بين الكره والكره: ينقل النحاس عن الكسائي أنّ "الكره" من نفسك و"الكره" بالفتح

ما أكرهت عليه⁷، وخالف الزجاج في ذلك فقال: "وكلّ ما في كتاب الله - عزّ وجلّ - من الكره

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 389) ش، والنحاس، معاني القرآن (2/ 864).

2 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 218).

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 165).

4 - سورة مريم: الآية 98.

5 - سورة آل عمران: الآية 152.

6 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 154).

7 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 65).

فالفتح فيه جائز، تقول: الكره والكره"، ونقل عن أبي عبيدة الاتفاق على ضمّ الكره في قوله تعالى: (وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ ¹) .

وقد جاءت كلمة "كره" في القرآن الكريم في سياقين، الأول فيما يتعلق بالفعل الإنساني، والثاني في مقام تصوير خضوع السموات والأرض للإرادة الإلهية.

وفي المجال الأول جاءت كرها (كرها) بالنصب في ثلاث آيات في القرآن الكريم، وجاءت (كره) في آية واحدة في سورة البقرة، والآيات الكريمة هي:

أ- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ² .

ب- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ³ .

وفي هاتين الآيتين اختلف القراء، فقرأ حمزة والكسائي وخلف (كرها) بضم الكاف، وقرأ الباقر (كرها) بفتحها ⁴ .

ج- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا ⁵ .

وهذه الآية الكريمة اختلف فيها القراء، فقرأ ابن ذكوان وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب وهشام بخلف عنه (كرها) بضم الكاف فيهما، وقرأ الباقر بفتح الكاف ⁶ .

1 - سورة البقرة: الآية 216.

2 - سورة النساء: الآية 19.

3 - سورة التوبة: الآية 53.

4 - انظر: ابن الجزري، النشر (ج2/ 248)، والصفافسي، علي بت محمد بن سالم، غيث النفع في القراءات السبع، تحقيق: أحمد الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2004، ص: 540؛ والمعصراوي، الكامل المفصل ص: 80، وص: 195.

5 - سورة الأحقاف: الآية 15.

6 - انظر: القاضي، الوافي في شرح الشاطبية ص: 201، والمعصراوي، الكامل المفصل ص: 504.

وبين الشاطبي الخلاف في السور الثلاث فقال:

وضمّ هنا كرها وعند براءة شهاب وفي الأحقاف ثبت معقلا

وبين ابن القاصح في شرح البيت السابق: أن قراءة المشار إليهما بالشين من شهاب وهما حمزة والكسائي بضم الكاف في آيتي النساء والتوبة، وأن المشار إليهم بالثاء والميم في قوله ثبت معقلا وهم الكوفيون وابن ذكوان قرؤوا (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) في الأحقاف بضم الكاف فيهما، فتعين لمن لم يذكره في الترجمتين القراءة بفتح الكاف¹.

د- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾²، وهذه الآية الكريمة اتفق القراء على قراءتها بالضم.

وجاء استعمال كلمة "كره" في سياق الحديث عن بيان خضوع السموات والأرض للإرادة الإلهية في ثلاث آيات:

أ- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾³.

ب- قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾⁴

ج- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾⁵

وهذه الآيات الكريمة اتفق القراء على قراءتها بالفتح.

1 - ابن القاصح، سراج القارئ ص: 190.

2 - سورة البقرة: الآية 216.

3 - سورة فصلت: الآية 11.

4 - سورة آل عمران: الآية 83.

5 - سورة الرعد: الآية 15.

وقد تعددت أقوال العلماء في الفرق بين الكره والكراه، فالراغب يذكر اختلاف العلماء في المسألة، وأنّ منهم من يقول: الكره والكراه واحد، نحو: الضّعف والضعف، ومنهم من يقول الكره: المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكره: ما يناله من ذاته وهو يعاقبه¹.

ويذهب أبو علي الفارسي إلى أنّ الكره: المصدر، والكره: الاسم، كأنه الشيء المكروه، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ فهذا بالضمّ، وقال: ﴿أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ فهذا في موضع حال، ولم يقرأ - زعموا - بغير الفتح، فعلى هذا ما كان مصدرا أو في موضع حال الفتح فيه أحسن، وما كان اسما نحو: ذهب به على كره، كان الضمّ فيه أحسن، قال: "وقد قيل: إنهما لغتان، فمن ذهب إلى ذلك جعلهما مثل الشرب والشرب، والضعف والضعف، والفقر والفقر"².

ومما يؤخذ على أبي علي فيما ذكره أنّه نقل اتفاق القراء على قراءة الآية من سورة النساء بالفتح، مع أنّها من الآيات التي وقع الخلاف بين القراء فيها. ولعلّ ما ذهب إليه الكسائي من التفريق بين الكره والكراه يكون اصحّ وأصوب، وذلك أنّ الآيات التي تحتمل المعنيين: الإكراه والكراهية، جاء في قراءتها الوجهان، وما لا يحتمل إلا وجهها واحدا اتفق القراء على قراءته على الوجه الذي ينسجم مع المعنى.

وتوضيح ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ يصحّ أن يراد به مكرهات وكرهات، وإلى هذا ذهب الزمخشري³، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾

1 - الراغب، مفردات القرآن (ج1/ 707).

2 - الفارسي، الحجة للقراء السبع (ج6/ 184).

3 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 490).

يفسّره أبو السعود بقوله "طائعين أو كارهين، ويفسّر ابن عاشور الكره في الآية بأنه أشدّ الإلزام¹، ومزج أبو حيان بين التفسيرين فقال: "والطوع أن يكون من غير إلزام الله ورسوله، والكره إلزام ذلك، وسمي الإلزام كرها لأنهم منافقون، فصار الإلزام شاقا عليهم كالإكراه، أو يكون من غير إلزام من رؤسائكم"².

وقوله تعالى عن الجهاد ﴿وَهُوَ كَرٌّ لَكُمْ﴾ جاء بضمّ الكاف، لأنّ المجاهدين من المسلمين لا يكرههم أحد على خوض غمار القتال في سبيل الله، فهم يخرطون في ذلك بإرادتهم واختيارهم، ومقصود الآية أن تصوّر ثقل الجهاد على النفوس، لأنّه أشقّ التكاليف التي فيها بذل الروح والمال.

أما الآيات التي جاءت في بيان خضوع السموات والأرض للمشیئة الإلهیة النافذة³ فاتفق القراء العشرة على قراءتها بالفتح، إذ ليس من مقصود الآيات أن تتسبب للسموات والأرض أنهما تكرهان أو تحبان، ولذا لم يقرأ أحد بضمّ الكاف، وقرأ الجميع بفتحها لأنّ ذلك المنسجم مع تصوير الخضوع والانقياد.

ومما يتعلّق بالفروق بين المفردات أنّ أصحاب المعاني يتعقّبون بعض آراء اللغويين في الفروق المتعلقة ببعض المفردات، ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾⁴ فقد ذهب إلى التفريق بين "النُصْب" و

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج10/ 226).

2 - أبو حيان، البحر المحيط (ج5/ 434).

3 - انظر: الألويسي، روح المعاني (ج12/ 355).

4 - سورة ص: الآية 41.

و"النَّصَب" فقال: "والنَّصَب إذا فُتِحَتْ وحَرِّكَتْ حروفها كانت من الإِعياء، والنَّصَب إذا فُتِحَ أولها وأُسْكِنَ ثانيها واحدة أنصاب الحرم، وكل شيء نصبتَه وجعلته علما يقال: لأنصبَكَ نصب العود"¹.

وقد اختلف القراء في كلمة (نَصَب) فقرأ أبو جعفر بضمّ النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتح النون والصاد، وقرأ الباقر بضمّ النون وسكون الصاد²، وكلّها بمعنى الإِعياء، أمّا النَّصَب بإسكان الصاد فيرى أبو عبيدة أنّه من قولك: نصبت الشيء إذا جعلته علما.

وقد خالف الزجاج في ذلك، فهو يرى أنّ "النَّصَب" بفتح النون والصاد بمنزلة "النَّصَب" بضمّ النون، كالرُّشْد والرَّشْد، والبُخْل والبَخْل، وأنّ "النَّصَب" بفتح النون وإسكان الصاد على أصل المصدر³.

ومما وقع الخلاف فيه بين أصحاب المعاني اختلافهم في الفرق بين كلمتي (سُخْرِيًّا) و(سُخْرِيًّا)، وهي مسألة كانت محلّ جدل وبحث بين أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والكسائي والفراء والمبرد والزجاج والنحاس، وقد ترك خلافهم أثرا كبيرا في كتب التفسير، فالمفسّرون ينقلون أقوالهم، يتجاذبهم في ذلك وجهات النظر المختلفة، ولذا فقد رأيت أن أفصل القول في هذه المسألة.

1 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج2/ 184).

2 - المعصراوي، الكامل المفصل ص: 455.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 251).

فرّق بعض العلماء بين "سَخْرِيًّا" و"سُخْرِيًّا"، وقالوا أنّها بكسر السين تدلّ على الاستهزاء، وبضمّها تدلّ على التسخير، نقل ذلك النحاس عن أبي عمرو بن العلاء¹، وحكاها أبو عبيدة²، وجاء في معاني القرآن للفراء: "قال الذين كسروا ما كَانَ من السُّخْرَةِ فهو مرفوع، وما كَانَ من الهَزْوِ³ فهو مكسور"⁴.

وخالف في ذلك الفراء والزجاج، فالفراء يرى أنّ "سُخْرِيًّا" و"سَخْرِيًّا" واحد حيث جاءت في القرآن، وهما لغتان⁵. ويقول الزجاج: "وقوله (سَخْرِيًّا) يُقرأ بالضم والكسر، وكلاهما جيد ... وكلاهما عند سيبويه والخليل واحد"⁶. وهذا ما نسبته النحاس لأكثر أهل اللغة⁷.

وكلمة (سخرى) جاءت في ثلاث آيات في القرآن الكريم، فقد قال سبحانه: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَتَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾⁸، وقال تعالى: ﴿أَتَّخَذْتَهُمْ سُخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾⁹، وقال سبحانه: ﴿لَنَحْنُ قَسَمًا لِّبَنِيهِمْ مَّعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾¹⁰.

1 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 1065).

2 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج2/ 187)، قال: من كسر «سخرى» جعله من الهزء ... ومن ضمّ أولها جعله من السُّخْرَةِ.

3 - قال في مختار الصحاح: هَزِيٌّ منه وبه بكسر الزاي، يَهْزَأُ هَزْءًا وَهَزْوًا بسكون الزاي وبضمّها أي سخر (هزي).

4 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 243).

5 - الفراء، معاني القرآن (ج3/ 31).

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 21)، و (ج4/ 340).

7 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 1065).

8 - سورة المؤمنون: الآية 110.

9 - سورة ص: الآية 63.

10 - سورة الزخرف: الآية 32.

وقد اختلف القراء في كلمة (سخرى) ففي سورتي "المؤمنون" و "ص" قرأ نافع وحزمة والكسائي وأبو جعفر وخلف بضم السين، وقرأ بقية العشرة بكسرها¹، وفي سورة الزخرف اتفق العشرة على قراءتها بالضم، وقرأها ابن محيصن بكسر السين².

وقد ذكر الطبري اختلاف القراءات في الآية، وألمح إلى صلة ذلك بالمعنى فقال: "اختلفت القراء في قراءة قوله: (سُخْرِيًّا) فقرأ بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا) بكسر السين، ويتأولون في كسرها أن معنى ذلك الهزاء، ويقولون: إنها إذا ضُمت فمعنى الكلمة: السُّخْرَةُ والاستعباد. فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء: فاتخذتم أهل الإيمان بي في الدنيا هُزُؤًا ولعبًا، تهزءون بهم، حتى أنسوكم ذكرى. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة: (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا) بضم السين، وقالوا: معنى الكلمة في الضم والكسر واحد"³.

وقال في تفسير الآية من سورة ص: "وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول: من كسر السين من السُّخْرِيّ، فإنه يريد به الهُزء، يريد يسخر به، ومن ضمها فإنه يجعله من السُّخْرَةِ، يستسخرونهم: يستذلونهم"⁴.

والطبري وجّه معنى الآيتين في سورتي المؤمنون وص إلى السخرية والاستهزاء، وفي سورة الزخرف إلى الاستخدام والتسخير⁵، ونقل عن السلف ما يدلّ على ذلك.

1 - المعصراوي، الكامل المفصل ص: 349 و ص: 457.

2 - المعصراوي، الكامل المفصل ص: 491.

3 - الطبري، جامع البيان (ج19/ 80).

4 - المصدر السابق (ج21/ 233).

5 - انظر بالإضافة إلى ما سبق المصدر نفسه (ج21/ 596).

ومن يطالع تفسير الآيات الثلاث في كتب التفسير المختلفة يخلص إلى ما يلي:

1- الراجح في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَسَمْنَا بِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رِبَّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾¹ أن المراد بقوله تعالى: (سخرية) التسخير والاستخدام، وهذا المنسجم مع سياق الآية، وما ذكرته من قسمة الأرزاق، ورفع بعض الناس على بعض في الدرجات، ولذا قال ابن عطية: "ولا مدخل لمعنى الهزاء في هذه الآية"²، وقال أبو حيان: "ويبعد أن يكون سخرية هنا من الهزاء"³، وقال السمين: "يبعد قول بعضهم: إنه استهزاء الغني بالفقير"⁴.

والاقتصار على التسخير في تفسير الآية هو ما ذهب إليه الزمخشري والبغوي والرازي والبيضاوي وأبو السعود⁵، ونقل الألويسي استبعاد أبي حيان والسمين للقول بأن المراد بالآية الهزاء والسخرية ولم يتعقبه بشيء⁶.

وخالف في ذلك القرطبي وابن عاشور، أما القرطبي فذكر أن قتادة والضحاك وابن زيد والسدي فسروا الآية بالتسخير والاستخدام، ثم قال: "وقيل هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء"، ولم ينسبه إلى أحد⁷. وأما ابن عاشور فجوز أن يُراد بالآية السخرية والاستهزاء، وتكون اللام في

1 - سورة الزخرف: الآية 32.

2 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/53).

3 - أبو حيان، البحر المحيط (ج9/370).

4 - السمين، الدر المصون (ج9/584).

5 - الزمخشري، الكشاف (ج4/248)، والبغوي، معالم التنزيل (ج7/212)، الرازي، مفاتيح الغيب (ج27/630)، والبيضاوي، أنوار التنزيل (ج5/90)، والرازي، مفاتيح الغيب (ج27/630)، وأبو السعود، إرشاد

العقل السليم (ج8/46).

6 - الألويسي، روح المعاني (ج13/78).

7 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج16/83).

الآية لام العاقبة، وتكون الآية تعريضاً بالمشركين الذين سخرُوا من المؤمنين¹، ولا يخفى بُعد هذا القول ومنافاته للسياق كما تقدّم.

وهذه الآية الكريمة اتفق العشرة على قراءتها بضم السين، وقرأها ابن محيصن بالكسر كما تقدّم.

2- يذكر المفسرون قولين في معنى (سخرتاً) في الآية الكريمة:

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾² الأول: أن يُراد بها السخرية والاستهزاء، والثاني: أن يُراد بها التسخير والاستخدام، ومن الذين نقلوا القولين الزمخشري وابن عطية والرازي وأبو حيان والسمين والألوسي³.

ويقوي أن المقصود بها السخرية والاستهزاء مناسبة ذلك لسياق الآية، إذ جاء فيها قوله

تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، وهذه الآية اختلف القراء في قراءتها بضم السين وكسرها كما تقدّم.

ويقوي أن المقصود بها التسخير أن الآية الكريمة ذكرت (سخرتاً) وعطفت عليه الضحك

منهم، والعطف يقتضي المغايرة.

1 - ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج 25 / 202).

2 - سورة المؤمنون: الآية 110.

3 - الزمخشري، الكشاف (ج 3 / 205)، وابن عطية، المحرر الوجيز (ج 4 / 158)، و الرازي، مفاتيح الغيب (ج 23 / 298)، وأبو حيان، البحر المحيط (ج 7 / 587)، والسمين، الدر المصون (ج 8 / 371)، والألوسي، روح المعاني (ج 9 / 268).

3- قوله تعالى: ﴿أَتُخَذَتِ لَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ رَافَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾¹ يحتمل أن يُراد به المعنيان السخرية

والاستهزاء والتسخير، وممن نقل المعنيين ابن عطية² والرازي³ وأبو حيان⁴.

والملاحظ أن آية الزخرف التي يترجح في معناها أن المراد فيها بقوله (سخرية) التسخير

والاستخدام قد اتفق القراء العشرة على قراءتها بضم السين، بينما اختلف القراء في الآيتين من سورتي المؤمنون وص، ومعنى كلمة (سخرية) فيهما يحتمل المعنيين.

وهذا ينسجم مع ما ذهب إليه يونس بن حبيب من أنه إذا أريد الترخيم فضم السين لا غير،

وإذا أريد الاستهزاء فالضم والكسر، نقل ذلك عنه ابن عطية⁵ وأبو حيان⁶. وهذا يتفق مع ما نسبته

ابن منظور إلى الزجاج من أن كلمة "سخرية" إذا أريد بها التسخير لم تكن إلا بضم السين، وإذا أريد بها السخرية والاستهزاء جاز فيها الوجهان: ضم السين وكسرها⁷،

واستدل ابن عطية على تأييد هذا الرأي بإجماع القراء على ضم السين في آية الزخرف لما

كان معناها الترخيم، وقال السمين: "ولم يختلف السبعة في ضم ما في الزخرف؛ لأن المراد الاستخدام وهو يقوي قول من فرق بينهما"⁸.

1 - سورة ص: الآية 63.

2 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج4 / 512).

3 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج26 / 405).

4 - أبو حيان، البحر المحيط (ج9 / 171).

5 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج4 / 158).

6 - أبو حيان، البحر المحيط (ج7 / 587).

7 - ابن منظور، لسان العرب (ج4 / 353) (سخر).

8 - السمين الحلبي، الدر المصون (ج8 / 371)، وتعب ذلك بأن ابن محيصن وغيره قرأها بالكسر، قال: "وهي

مقوية لمن جعلها بمعنى".

غير أنّ هذا الرأي يعارضه قراءة ابن محيصن لآية الزخرف بكسر السين، ولذا نقل أبو حيان كلام ابن عطية السابق وتعقبه بقوله: "وليس ما ذكره من إجماع القراء على ضم السين في الزخرف صحيحاً؛ لأنّ ابن محيصن وابن مسلم كسرا في الزخرف"¹.

والقول بأنّ "سُخْرِيّاً" و "سُخْرِيّاً" بمعنى واحد هو قول المبرد، فقد جاء في تفسير القرطبي: "قال المبرد: إنّما يؤخذ التفريق بين المعاني عن العرب، وأما التأويل فلا يكون، والكسر في سُخْرِي في المعنيين جميعاً، لأنّ الضمة تستثقل في مثل هذا"².

1 - أبو حيان، البحر المحيط (7/ 578)، ولاحظ ما قاله السمين في الحاشية السابقة.

2 - القرطبي، الجامع في أحكام القرآن (12/ 155).

المبحث الثاني

التضمين

التضمين من الأساليب التي ترتبط ببديع الإيجاز في القرآن الكريم، فهو من الأساليب التي توسع من دلالة المفردة القرآنية، حيث تدل الكلمة الواحدة على معان مختلفة.

والفعل ضمن معناه جعل الشيء في شيء يحويه، ومن ذلك قولهم: ضمنت الشيء: إذا جعلته في وعائه، والكفالة تسمى ضمنا من هذا؛ لأنه كأنه إذا ضمنه فقد استوعب ذمته. والمضامين: ما في بطون الحوامل، ومنه النهى عن الملاحيق والمضامين، وذلك أنهم كانوا يبيعون الحبل¹.

والتضمين مفتاح لفهم أسرار التعبير القرآني، وذلك أن الفعل الواحد في القرآن الكريم تنتوع معانيه، وتراه يتعدى بحروف مختلفة يرسم كل منها إضافة إلى أصل معناه، تتسجم مع السياق الذي ورد فيه.

فالفعل "عَجَلَ" على سبيل المثال، تعدى بنفسه في قوله تعالى ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾² كما تعدى بـ "إلى" في قوله تعالى: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾³، وتعدى بـ "على" في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾⁴، وتعدى بالباء في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾⁵، وتعدى باللام في قوله: ﴿لَعَجَلًا هُمْ الْعَذَابَ﴾⁶، وتعدى بـ "عن" في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ

1 - ابن فارس، مقاييس اللغة (ج3/ 372) (ضمن).

2 - سورة الأعراف: الآية 150.

3 - سورة طه: الآية 84.

4 - سورة مريم : الآية 84.

5 - سورة طه: الآية 114.

6 - سورة الكهف: الآية 58.

يَمْوَسِي¹، ويتعدى بـ "في" فقال تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾²، وتعدى بـ "من" في قوله تعالى: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾³.

ومن لم يسبر غور كل استعمال للفعل يقول إن حروف الجرّ ينوب بعضها عن بعض، والحقيقة أن كل حرف في كتاب الله له معناه وأسراره التي لا يمكن أن يعبر عنها غيره، ولعلّ هذا ما دفع ابن العربي إلى الهجوم القاسي على القائلين بالتناوب، فقال: "عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا فقال كثير منهم: إن حروف الجرّ يبدل بعضها من بعض ... فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس، ولجّوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال"⁴.

ولذا كان التضمين من أشرف الفصول في العربية، لأنك تعرف منه وبه ما لحروف المعاني من أسرار، فإنك ترى الحرف مع فعل أو مشتق لم يألفه، فيعتاص عليك سر ذلك، فإذا حملته على التضمين انكشف لك سره، وظهر لك شريف معناه⁵.

وقد بيّن ابن جنّي المراد منه فقال: "إنّ العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيدانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه"⁶.

1 - سورة طه: الآية 83.

2 - سورة البقرة: الآية 203.

3 - سورة يونس: الآية 50.

4 - ابن العربي، أحكام القرآن (ج1/ 243).

5 - انظر: فاضل، محمد نديم، التضمين النحوي في القرآن الكريم، دار الزمان، المدينة المنورة، ط1/ 2005، (ج1/ 10).

6 - ابن جنّي، الخصائص (ج2/ 310).

وقال ابن هشام بقوله: "قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضمينا وفائدته

أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين"¹.

وعرفه الزركشي بأنه "إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي

الحروف. فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسما معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعا وأما

الأفعال فإن تضمن فعلا معنى فعل آخر ويكون فيه معنى الفعلين جميعا وذلك بأن يكون الفعل

يتعدى بحرف فيأتي متعديا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل

الفعل ليصح تعديه به"².

وقد وقف أصحاب المعاني عند أسلوب التضمين، وأشاروا إلى شيء من أسرارهم، ومن أوسع

ذلك وأوضحه ما جاء عند الأخفش في موضعين في كتابه درس فيهما تعدي الفعل بحروف المعاني

بشيء من التوسع، وقام فيهما بدراسة عدد من الآيات التي يظهر فيها هذا الأسلوب، وهو متأرجح

في موقفه بين القول بالنيابة والقول بالتضمين.

والنص الأول ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ

وَيَاؤُلَافِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾³، فقد وقف عند أسلوب الالتفات في الآية، فقد بدأت

بالحديث عن بني إسرائيل بأسلوب الغائب ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ثم انتقلت إلى الخطاب فقال

1 - ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك

ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط6/ 1985، ص: 798.

2 - الزركشي، البرهان (ج3/ 338)، وانظر: الإتيان في علوم القرآن (ج3/ 136).

3 - سورة البقرة: الآية 83.

سبحانه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ "فكانه خاطبهم من بعد ما حدث عنهم، وذا في الكلام والشعر كثير"¹، وبعد أن توسّع الأخفش في الحديث عن الالتفات ومثّل على أنواعه بالقرآن الكريم والشعر قال: "وهذا يشبه قول المفسرين ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ أَرْفَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾"² قال: إنما دخلت "إلى" لأن معنى "الرفث" و"الإفضاء" واحد، فكانه قال: "الإفضاء إلى نسائك"، وإنما يقال: "رفث بامرأته" ولا يقال: "إلى امرأته"³.

واللافت أن الأخفش ربط بين أسلوب الالتفات والتضمين، وجعل بينهما شبهة، استدعى منه أن يأتي على ذكر التضمين والتمثيل عليه، مع أن الآية التي يفسرها تخلو منه. والرابط بين الأسلوبين أن في كل منهما عدولا بلاغيا عن المتبادر أو الظاهر إلى غيره لغرض يتصل بجمال التعبير واتساع مساحته.

ثم قال الأخفش: "وذا عندي كنحو ما يجوز من "الباء" في مكان "إلى" في إقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بَإِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾"⁴ وإنما هو "أحسن إلي"، فلم يذكر⁵ "إلى" ووضع "الباء" مكانها⁶ وفي مكان "على" في قوله ﴿فَأَتَّبَعَكُمْ عَمَّا بُغِمَ﴾"⁷ إنما هو "غما على غم"، وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 137).

2 - سورة البقرة: الآية 187.

3 - الأخفش/ معاني القرآن (ج1/ 139-140).

4 - سورة يوسف: الآية 100.

5 - سقطت كلمة يذكر من طبعة دار الكتب العلمية.

6 - ما بين المعقوفين غير موجود في طبعة مكتبة الخانجي التي حققتها الدكتورة هدى قراعة، وموجودة في طبعة

دار الكتب العلمية بتحقيق: إبراهيم شمس الدين ص: 102.

7 - سورة آل عمران الآية 153.

مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْنَطَارِ¹ أي: "على قنطار" كما نقول: "مررتُ به" و"مررتُ عليه" ... وذا يشبه ﴿وَإِذَا خَلَوْا
إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾² لانك نقول: "خلوتُ إليه وصنعنا كذا وكذا" و"خلوتُ به"، وإن شئت جعلتها في معنى
قوله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾³ أي: "مع الله"، وكما قال ﴿وَصَرَّتْهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾⁴ أي:
"على القوم"⁵.

والآية الكريمة الأولى التي مثل بها الأخفش على أسلوب التضمنين وهي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ
لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ تتابع العلماء من بعده على التمثيل بها على الموضوع نفسه،
منهم ابن هشام في مغني اللبيب⁶، والزرکشي في البرهان⁷، والسيوطي في الإتيان⁸.

وقال الزمخشري: "فإن قلت: لم عدى الرفث بإلى؟ قلت: لتضمنينه معنى الإفضاء"⁹، وقال ابن
هشام: "ضمن الرفث معنى الإفضاء فعدي بإلى مثل ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾"¹⁰ وإنما أصل
الرفث أن يتعدى بالباء يقال أرفث فلان بامرأته"¹¹. وقال ابن عاشور: "والرفث حقيقته الكلام مع

-
- 1 - سورة آل عمران: الآية 75.
 - 2 - سورة البقرة: الآية 14.
 - 3 - سورة آل عمران: الآية 52، وسورة الصف: الآية 14.
 - 4 - سورة الأنبياء: الآية 77.
 - 5 - الأخفش، معاني القرآن (ج 1/ 140).
 - 6 - ابن هشام، مغني اللبيب ص: 897.
 - 7 - الزرکشي، البرهان في علوم القرآن (ج 3/ 338).
 - 8 - السيوطي، الإتيان (ج 3/ 136).
 - 9 - الزمخشري، (ج 1/ 230)، وانظر: الألوسي، روح المعاني (ج 1/ 461).
 - 10 - سورة النساء: الآية 21.
 - 11 - ابن هشام، مغني اللبيب ص: 897.

النساء في شؤون الالتذاذ بهن، ثم أطلق على الجماع كناية، وقيل هو حقيقة فيهما، وهو الظاهر، وتعديته بالي ليتعين المعنى المقصود وهو الإفضاء¹.

ويظهر من عبارات الأخفش في تفسيره لبقية الآيات في النص السابق ميله إلى القول بالتناوب بين حروف المعاني، ولكن بعض المحققين من أهل التفسير يحملونها على التضمين، لأن ذلك أكثر انسجاماً مع دقة الأسلوب القرآني وإعجازه، فكل حرف في كتاب الله سبحانه في محله الذي لا يسد غيره عنه.

وحمل الآيات التي تتقارب فيها حروف المعاني على التضمين أولى من حملها على النيباء، لأن في أسلوب التضمين من زيادة المعنى وتوسعة الدلالة ما لا يوجد مثله عند حملها على التناوب، وكتاب الله سبحانه لا يجوز حمله إلا على أصح الوجوه وأبلغها.

والآيات التي جاءت في النص السابق عند الأخفش هي:

1- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾² فلم يقل "أحسن الي" بل وضع "الباء"

مكانها، ويرى ابن عاشور أن الآية ضمنت أحسن معنى لطف، وأن الباء فيها للملابسة أي جعل إحسانه ملابساً لي³.

2- قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتَكُمْ عَمَّا يَغْمِرُ﴾⁴ ولم يقل "غمًا على غم"، فجاء بالباء مكان

"على"، وبيّن الزمخشري أن الباء في الآية يصح أن تكون للسببية، أي ابتلاكم بسبب الغم الذي

1 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج2/ 182).

2 - سورة يوسف: الآية 100.

3 - ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج13/ 57).

4 - سورة آل عمران الآية 153.

أَذَقْتُمُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، أو أن يكون المعنى: غمًا متصلًا بغمٍّ ومضاعفًا له¹. ويرى ابن عاشور أصل الإثابة إعطاء الثواب، وهو شيء يكون جزاء على عطاء أو فعل، والغم ليس بخير، فيكون أثابكم: إما استعارة تهكمية والمراد أنه عاقبكم بغم، وإما مشاكلة ونكتة هذه المشاكلة أن يتوصل بها إلى الكلام على ما نشأ عن هذا الغم من عبرة، ومن توجه عناية الله تعالى إليهم بعده. والباء في قوله: بغم للمصاحبة أي غما مع غم، ويجوز كون الباء للعوض، أي: جازاكم الله غما في نفوسكم عوضا عن الغم الذي تسببتم فيه للرسول².

3- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ﴾³ أي: "على قنطار" كما تقول: "مررت به" و"مررت عليه"، ويرى ابن عاشور أن تعدية الفعل بحرف الجر الباء مع أن مثله يتعدى بعلی كقوله: ﴿هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾⁴، لتضمنه معنى تعامله بقنطار ليشمل الأمانة بالوديعة، والأمانة بالمعاملة⁵.

4- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾⁶ ولم يقل "خلوا بشياطينهم"، وعلل الزمخشري ذلك بتضمنه معنى الإنهاء، أي أنها سخريتهم بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثهم بها، كما تقول: أحمد إليك فلانا، وأذمه إليك. وجوز أن يكون من "خلا" بمعنى مضى ومنه القرون الخالية، أو من خلوت به: إذا سخرت منه⁷.

1 - الومخشري، الكشف (ج1/ 427).

2 - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج4/ 132).

3 - سورة آل عمران: الآية 75.

4 - سورة يوسف: الآية 64.

5 - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج3/ 286).

6 - سورة البقرة: الآية 14.

7 - الزمخشري، الكشف (ج1/ 65).

وما ذهب إليه الزمخشري رده أبو السعود والأوسي، فأبو السعود يرى أن تفسير الآية بإنهاء السخرية إلى الشياطين مما لا وجه له¹، والأوسي يرى أن تفسير "خلا" بمعنى سخر: "مما لا ينبغي أن يخرج عليه كلام رب العزة إذ لم يقع صريحا في كلام من يوثق به"².

ويرد على الأوسي زعمه ما صرح به الأخفش من أن قولنا: "خلوت بفلان" يصح أن يراد به سخرت منه³.

ويرى أبو حيان أنه لم يعد الفعل بحرف الجر الباء لأنه عندها يحتمل معنيين، أولهما: الانفراد، والثاني: السخرية كما يقال: خلوت به أي سخرت منه، وتعدية الفعل بإلى لا تحتل إلا معنى واحدا هو المراد. وقال: "وإلى هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم"⁴.

وقال ابن عاشور أن تعدية الفعل بإلى على تضمين معنى أب أو خلص⁵.

5- قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾⁶ أي "مع الله"، وتعدية الفعل بإلى تحتل أمرين، أولهما: تضمين صفة أنصار معنى الإضافة والضم، أي ينصرونني كما نصرني الله، ويضمون

1 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج1/ 46).

2 - الأوسي، روح المعاني (ج1/ 159).

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 51) وسأتي نص عبارته في النص الثاني المنقول عنه قريبا.

4 - أبو حيان، البحر المحيط (ج1/ 113).

5 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، (ج1/ 291).

6 - سورة آل عمران: الآية 52، وسورة الصف: الآية 14.

نصرهم إلى نصره، على نحو ما في الآية ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾¹، وثانيهما: أن يكون المعنى من أنصاري في حال ذهابي إلى الله، أي إلى تبليغ شريعته².

وقد قبل الفراء القول بأنّ إلى في الآية بمعنى "مع" وقال: "المفسّرون يقولون: من أنصاري مع الله، وهو وجه حسن، وإنما يجوز أن تجعل "إلى" موضع "مع" إذا ضمنت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه... فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان "مع" "إلى"، ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير، ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير، وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم"³.

أمّا الزجاج فإنه وإن صرح بما بين الحرفين من قرب في الدلالة، إلا أنه يرى أنّ لكل منهما معناه الذي لا يؤدّيه غيره، وهو يرى أنّ القول بأنّ "إلى" في معنى "مع" ليس بشيء، فـ "إلى" وإن قاربت معنى "مع" إلا أنه لا يصحّ القول أنّها في معناها، "لأنّ" "إلى" غاية و "مع" تضم الشيء إلى الشيء فالمعنى: يضيف نصرته إياي إلى نصره الله، وقولهم إنّ "إلى" في معنى "مع" ليس بشيء، والحروف قد تقاربت في الفائدة"⁴.

والصواب أنّ في استعمال "إلى" في الآية من اتساع الدلالة ما لا يكون مع استعمال "مع" لأنّ استعمال "إلى" أفاد المعنيين اللذين ذكرهما الزمخشري، ولو جاءت الآية باستعمال حرف الجرّ "مع" لما أفاد ذلك إلا معنى الضمّ.

1 - سورة النساء: الآية 2.

2 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 366)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج3/ 255).

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 218).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 351).

ولقد كان النحاس موقفاً كل التوفيق عندما قال في تفسير الآية: " قال سفيان: أي مع الله، وقد قال هذا بعض أهل اللغة، وذهبوا إلى أن حروف الخفض يبدل بعضها من بعض، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَلَا قُطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾¹ قالوا معنى "في" معنى "على". وهذا القول عند أهل النظر لا يصح لأن لكل حرف معناه، وإنما يتفق الحرفان لتقارب المعنى، فقوله تعالى ﴿وَلَا صَلْبَيْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ كان الجذع مشتملاً على من صلب، ولهذا دخلت في لأنه قد صار بمنزلة الظرف، ومعنى من أنصاري إلى الله من يضم نصرته إياي إلى نصرة الله عز وجل"².

6- قوله تعالى: (وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا)³ أي: "على القوم"، ويرى الزمخشري أن تعديّة الفعل بمنّ لأنه بمعنى مطاوعه "اننصر"⁴، وتعقب أبو حيان ذلك بقوله: "وهذا معنى في نصر غير المتبادر إلى الذهن"⁵، وهو يرى أن تعديّة الفعل بمن لتضمنه معنى فنجيناه وعصمناه ومنعناه، وهو ما ذهب إليه ابن عاشور أيضاً⁶.

كما تعقب أبو السعود رأي الزمخشري بأن إسناد الانتصار إلى نوح يأباه السياق لأنّ قبله: ﴿إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾⁷، ومجيء الآية بعد ذكر استجابة الله لدعاء نوح يوجب ظاهره نسبة النصر إلى الله تعالى، وأشار إلى أنّ تعديّة الفعل بمن لما يستتبعه النصر من الانتقام⁸.

-
- 1 - سورة طه: الآية 71.
 - 2 - النحاس، معاني القرآن (ج 1 / 140).
 - 3 - سورة الأنبياء: الآية 77.
 - 4 - الزمخشري، الكشاف (ج 3 / 128).
 - 5 - أبو حيان، البحر المحيط (ج 7 / 454).
 - 6 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج 17 / 113).
 - 7 - سورة الأنبياء: الآية 76.
 - 8 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج 6 / 78).

والنصّ الثاني الذي نجده عند الأخفش في موضوع التضمين ما ذكره في تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾¹ ، والأخفش في

هذا النصّ أقرب إلى القول بالتناوب منه إلى القول بالتضمين، فقد قال: " وأما قوله ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ

شُيَاطِينِهِمْ﴾ فإنك تقول "خلوت إلى فلان في حاجة" كما تقول: "خلوت بفلان"، إلا أن "خلوت بفلان" له

معنيان أحدهما هذا والآخر سخرتُ به، وتكون "إلى" في موضع "مع" نحو ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾²

كما كانت "من" في معنى "على" في (وَنَصَرْتُهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا)³ أي: على القوم، وكما كانت

الباء في معنى "على" في قوله "مَرَرْتُ بِهِ" و "مَرَرْتُ عَلَيْهِ". وفي كتاب الله عز وجل ﴿وَمِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ﴾⁴ يقول "على دينار". وكما كانت "في" في معنى "على" نحو ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي

جُدُوعِ النَّخْلِ﴾⁵ يقول "على جُدُوعِ النَّخْلِ"، وزعم يونس أن العرب تقول: "نزلت في أبيك" تريد "عليه"

وتقول: "ظفرتُ عليه" أي "به" و"رضيتُ عليه" أي: "عنه"⁶.

وهذا النصّ يشبه إلى حدّ كبير النصّ الذي نقلناه سابقا من معاني القرآن للأخفش، غير أنه

يزيد عليه أمران، أولهما: ما جاء فيه من زيادات لها أهميتها. وثانيهما: الاستدلال بالآية الكريمة

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾⁷ عل تناوب "في" و"على".

1 - سورة البقرة الآية 14.

2 - سورة آل عمران: الآية 52، وسورة الصف: الآية 14.

3 - سورة الأنبياء: الآية 77.

4 - سورة آل عمران: الآية 75.

5 - سورة طه: الآية 71.

6 - الأخفش، معاني القرآن (1/ 51).

7 - سورة طه: الآية 71.

وما ذهب إليه الأخفش ذهب إلى قريب منه الفراء فقال: " يصلح "علَى" في موضع "في"، وإنما صلحت "في" لأنه يرفع في الخشبة في طولها فصلحت "في" وصلحت "علَى"، لأنه يرفع فيها فيصير عليها"¹.

أما الزجاج فقد بيّن الفرق بين دلالة الحرفين "في" و "على" فقال: " وأصل "في" إنما هو للوعاء، وأصل "على" لِمَا مع الشيء، كقولك: التمر في الجراب، ولو قلت التمر على الجراب لم يصلح في هذا المعنى، ولكن جازَ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ لأن الجذع يشتمل على المصلوب، لأنه قد أخذه من أقطاره، ولو قلت زيد على الجبل وفي الجبل يصلح، لأن الجبل قد اشتمل على زيد، فعلى هذا مجاز هذه الحروف"².

ولقد كان النحاس نافذ البصيرة عندما ذكر قول بعض العلماء بتناوب حروف الجرّ، واستدلّاهم بهذه الآية على ذلك، ثم ردّ عليهم وبيّن ضعف ما ذهبوا إليه فقال: " وهذا القول عند أهل النظر لا يصح لان لكل حرف معناه، وإنما يتفق الحرفان لتقارب المعنى، فقوله تعالى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ كان الجذع مشتملا على من صلب، ولهذا دخلت في لأنه قد صار بمنزلة الظرف"³.

ومن أمثلة التضمين الأخرى التي نجدها عند أصحاب المعاني:

1 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 168).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 299-300).

3 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 140).

1- قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾¹ فالأخفش يفسرها: مع أموالكم²، والفراء يفسرها:

"ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم"³، والزجاج يفسرها: "أي لا تُضيفُوا أموالهم في الأكل إلى أموالكم، أي إن احتجتم إليها، فليس لكم أن تأكلوها مع أموالكم"⁴.

وتفسير الآية بما ذهب إليه أصحاب المعاني نجد جذوره في تفسير السلف، فمجاهد يفسر الآية بقوله "لا تأكلوا أموالكم وأموالهم، تخلصوها فتأكلوها جميعاً"⁵.

ومن أسرار تعدية الفعل "تأكلوا" بحرف الجر "إلى" في الآية الكريمة أن فيه مزيد توبيخ وتقرع، وقد بين الزمخشري ذلك فقال: "فإن قلت: قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم، فلم ورد النهي عن أكله معها؟ قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال- وهم على ذلك يطمعون فيها- كان القبح أبلغ والذم أحق، ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم وسمع بهم ليكون أزر لهم"⁶.

2- قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيكَ إِلَىٰ نَعِيهِ﴾⁷ والأمر في هذه الآية قريب منه في الآية

السابقة، إذ تعدية الفعل "سأل" بحرف الجر "إلى" أفاد معنى الضم، ولذا فسّر الزجاج ما جاء في الآية أنه سأله نعيته ليضمها إلى نعاجه⁸، وقال النحاس: "ومعنى إلى نعاجه أي مضمومة إلى نعاجه"⁹.

1 - سورة النساء: الآية 2.

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 244).

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 218).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 7).

5 - الطبري، جامع البيان (ج7/ 528).

6 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 465)، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج9/ 484).

7 - سورة ص: الآية 24.

8 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 245).

9 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 1065).

فتعدية الفعل بحرف الجر "إلى" لتضمينه معنى الإضافة والضم¹، والمقصود من ذلك إنكار

فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعمة من ليس له غيرها، مع أن الطامع له قطيع منها².

3- قال تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾³، وقد وقف الفراء عند مجيء الفعل

"يشرب" في السورة متعديا بالباء ومن دونها فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَنْهَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

كَافُورًا﴾⁴، وقال يشرب بها. وفسر ذلك بقوله: "وقوله عز وجل: يشرب بها ويشربها سواء في

المعنى، وكأن يشرب بها: يروى بها وينقع، وأما يشربونها فبين⁵. فالفراء يشير إلى أن تعدية الفعل

بحرف الجر "بها" لتضمينه معنى الارتواء، وهو ما ذهب إليه الطبري⁶.

أما الزمخشري فذهب إلى أنه وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا لأن الكأس مبدأ شربهم

وأول غايته، ووصل بحرف الإلصاق آخرًا لأن العين بها يمزجون شرابهم، فكان المعنى: يشرب

عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل⁷.

4- قوله تعالى: (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ

عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)⁸، ومعنى عدا الشيء: جاوزه وتركه⁹، ولكن تعدية الفعل بحرف الجر

"عن" أكسبته معنى الانصراف عن الشيء استعلاء عنه، وقد ألمح أصحاب المعاني إلى هذا المعنى،

1 - انظر: أبو حيان: البحر المحيط (ج9/150).

2 - انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: (ج7/221).

3 - سورة الإنسان: الآية 6.

4 - سورة الإنسان: الآية 5.

5 - الفراء، معاني القرآن (ج3/215).

6 - الطبري، جامع البيان (ج24/29).

7 - الزمخشري، الكشاف (ج4/668)، وانظر الألويسي، روح المعاني (ج15/171).

8 - سورة الكهف: الآية 28.

9 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص: 1309 (عدو).

فالفراء يقول في تفسير الآية "لا تنصرف عيناك عنهم"¹، والنحاس يفسرها بقوله: "لا تتجاوزهم إلى المترفين"².

وقد جلى المفسرون ما أشار إليه أصحاب المعاني وبينوه، فالزمخشري يقول: "عداه: إذا جاوزه، ومنه قولهم عدا طوره ... وإنما عدى بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك: نبت عنه عينه وعلت عنه عينه: إذا اقتحمته ولم تعلق به. فإن قلت: أى غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو لا تل عيناك عنهم؟ قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم"³.

وقال أبو السعود: "واستعماله بعن لتضمينه معنى النبؤ، أولا تنصرف عيناك النظر عنهم إلى غيرهم، من عدوته عن الأمر أي صرفته عنه، على أن المفعول محذوف لظهوره"⁴.

5- قال تعالى: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾⁵، فالمراد بالآية "الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليهن لصغرهم"⁶، وقد فسرها مجاهد بقوله "لم يبدروا ما ثم"⁷. وقال ابن عاشور: "ومعنى: لم يظهروا على عورات النساء لم يطلعوا عليها. وهذا كناية عن خلو بالهم من شهوة النساء وذلك ما قبل سن المراهقة"⁸. فالظهور أصل معناه البروز

-
- 1 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 140).
 - 2 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 688).
 - 3 - الزمخشري، الكشاف (ج2/ 717).
 - 4 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج5/ 219).
 - 5 - سورة النور، الآية 31.
 - 6 - الطبري، جامع البيان (ج19/ 163).
 - 7 - المصدر السابق (ج19/ 164).
 - 8 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج18/ 212).

والوضوح، قال الراغب: " وَظَهَرَ الشَّيْءُ أَصْلُهُ: أَنْ يَحْصَلَ شَيْءٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَخْفَى ...
ثُمَّ صَارَ مُسْتَعْمَلًا فِي كُلِّ بَارِزٍ مُبْصَرٍ بِالْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ¹.

والاستعمال القرآني للفعل ظهر وما يُشتق منه واضح في هذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾²، وقال تعالى:

﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ﴾³ أي علانيته وسره⁴، وقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾⁵، وفسر

الطبري الظاهرة بأنها ظاهرة على الألسن قولاً وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملاً، والباطنة بأنها الباطنة في القلوب اعتقاداً ومعرفة⁶.

ولكن التعبير بحرف الجرّ "على" في الآية الكريمة وسّع من دلالتها، وأفاد معنى جديداً، لأنّ

تعدية الفعل "ظهر" بحرف الجرّ "على" تكسبه معنى القوة والطاقة، فالأطفال لا يدرون ما عورات

النساء، ولا يقدرّون على ذلك، وهذا المعنى لاحظته أصحاب المعاني، فقال الفراء: "وقوله ﴿لَمْ

يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لم يبلغوا أن يطبقوا النساء، ... كما تقول للرجل: صار ع فلان فلاناً

وظهر عليه أي أطاقه وغالبه"⁷. وقال الزجاج: "ومعنى لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ، لم يبلغوا

1 - الراغب، مفردات القرآن ص: 541.

2 - سورة الروم: الآية 41.

3 - سورة الأنعام: الآية 120.

4 - انظر: الطبري، جامع البيان (ج 12 / 72).

5 - سورة لقمان: الآية 20.

6 - الطبري، جامع البيان (ج 20 / 149).

7 - الفراء، معاني القرآن (2 / 250).

أَنْ يُطِيقُوا النِّسَاءَ، كما تقول: قد ظهر فلانٌ على فلان إذا قوي عليه، ويجوز أن يكون ﴿لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ لم يذروا ما قباحة عورات النساء من غيرها¹.

وما بيّنه أصحاب المعاني ذهب إليه الزمخشري في الكشف، فهو يرى أن الفعل "ظهر" في الآية إما أن يكون من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه، أي: لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها، وإما من ظهر على فلان إذا قوي عليه، وظهر على القرآن: أخذه وأطاقه، أي: لم يبلغوا أوان القدرة على الوطاء².

وصلاحية الفعل "ظهر" إذا عُذِّي بحرف الجرّ "على" للدلالة على المعنيين: الظهور والغلبة أمر متكرر في الاستعمال القرآني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾³، قال الراغب⁴: "يصح أن يكون من البروز، وأن يكون من المعاونة والغلبة، أي: ليغلبه على الدين كله، وعلى هذا قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مَلْتَمِهِمْ﴾⁵، قال الألوسي: "أي يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم أو يظفروا بكم، وأصل معنى ظهر صار على ظهر الأرض، ولما كان ما عليها يشاهد ويتمكن منه استعمل تارة في الإطلاع، وتارة في الظفر والغلبة وعدي بعلی⁶".

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 34). وانظر: النحاس، معاني القرآن (ج2/ 806).

2 - الزمخشري، الكشف (ج3/ 232).

3 - سورة الفتح: الآية 28.

4 - الراغب، مفردات القرآن ص: 541.

5 - سورة الكهف: الآية 20.

6 - الألوسي، روح المعاني (ج8/ 220).

واجتماع معنى الظهور مع الغلبة ينسجم مع ما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس من أن:
"الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً
فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار
وأضوؤها، والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة"¹.

6- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ
بِحَرْفٍ مِّنَ الْكَلِمِ مِّنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾² والأصل في الفعل "سمع" أن يتعدى إلى مفعوله بغير حرف،
فيقال: سمعه، ولكن تعدية الفعل بحرف الجر اللام جعلته محتملاً لأمرين:

أولهما: تضمينه معنى قبل، أي أنهم قابلون للكذب، لأن الإنسان يسمع الحق والباطل، ولكن
يقال: لا تسمع من فلان قوله أي لا تقبل منه، ومنه "سمع الله لمن حمده"، أي تقبل الله حمده، لأن
الله سامع لكل شيء.

وثانيهما: أنهم سماعون لأجل الكذب، كما تقول: أنا أكرم فلانا لك، أي من أجلك، فالمعنى
أنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم إذا جالسوه تهيؤوا أن يقولوا كذبا: سَمِعْنَا مِنْهُ كَذَا وَكَذَا³.

مما يؤخذ على أصحاب المعاني أنهم يحملون التعبير بحرف الجر أحيانا على التناوب، دون
أن يقفوا على سرّ البيان في استعماله دون غيره، ومن المقطوع به أن كلّ تعبير في القرآن له
أسراره ومزاياه التي لا يمكن أن توجد في غيره.

1 - ابن فارس، مقاييس اللغة (ج3/ 471).

2 - سورة المائدة: الآية 41.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (2/ 141)، والنحاس، معاني القرآن (ج1/ 285).

ومن الأمثلة على قبول أصحاب المعاني أحيانا للقول بالتناوب بين حروف الجر ما نجده عند

الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾¹ فقد قال في تفسيرها: "فأوصل الفعل بـ"على" كما قالوا "ضربوه في السيف"

يريدون "بالسيف". وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها"². وربما كان أبو عبيدة أنفذ بصرا عندما

فسر يستحبون بأنهم يختارون³، فتعدية الفعل بحرف الجرّ على ليدلّ على معنى الإيثار والتفضيل

والاختيار، ويبين ذلك أن الآية عبّرت بالفعل "يستحبون"، وما كان على زنة "يستعمل" يدلّ على

الطلب، فالمؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحبّ إليها وأفضل عندها من

غيره⁴.

ويرى ابن عاشور أن السين والتاء للتأكيد مثل استقدم واستأخر، وأن تعدية الفعل بـ "على"

لتضمينه معنى يؤثرون، لأنهم اختاروا خير الدنيا دون خير الآخرة⁵.

1 - سورة إبراهيم: الآية 3.

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 406).

3 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج1/ 335).

4 - الزمخشري، الكشاف (ج2/ 538)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج 5/ 31).

5 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج13/ 184).

الفصل الثاني

دلالات النظم عند أصحاب المعاني

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف بنظرية النظم.

المبحث الثاني: مباحث الخبر والإنشاء

المبحث الثالث: الذكر والحذف

المبحث الرابع: التقديم والتأخير

المبحث الأول

تعريف بنظرية النظم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لا يُذكر النظم إلا ويُذكر عبد القاهر الجرجاني معه، فهو الذي فصل نظرية النظم وشرحها، وقد انبثقت نظرية النظم عنده من جهوده في دراسة الإعجاز القرآني وتأصيله، فقد كانت قضية إعجاز القرآن المحرك القوي الذي يدفعه في بحثه البلاغي من أجل الكشف عن مكنى البلاغة، ليصل من ذلك إلى فهم أعمق لموضوع الإعجاز. وقد استفاد عبد القاهر من جهود العلماء الذين سبقوه، فقد كان يتردد على ألسنتهم أنّ الفن الرفيع من القول يرجع إلى بديع النظم وعجيب التأليف¹.

فالجاحظ يقول عن القرآن: "تحدّى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة، فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفه"². ويقول: "وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظم البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به"³.

والخطابي يقول: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظاماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمته"⁴.

1- انظر: عبد التواب، صلاح الدين محمد، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1/ 2003، ص: 136- 137.

2- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/ 1964، (ج3/ 251).

3- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1/ 1996، (ج4/ 90).

4- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص: 27.

ويقول الباقلاني عن القرآن: " بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحدّ يُعلم

عجز الخلق عنه"¹.

ولكنّ هذه الإشارات إلى النظم تختلف كل الاختلاف عمّا قدّمه عبد القاهر من شرح

وتوضيح لنظريّته التي جعلت من النظم أساساً تقوم عليه دراسة الإعجاز القرآني.

وهو يقول في ذلك: "فإذا كان النظم هو القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به

الاستقلال، وكان بالغاً هذا المحل من الشرف، وهذه المنزلة من الفضل، كان حريّاً بأن توقظ له

الهمم، وتوكل به النفوس، وتحرك له الأفكار"².

فكتاباً عبد القاهر - الدلائل والأسرار - بيان وتفصيل لمسألة النظم على نحو قصد منه

الكشف عن إعجاز القرآن الكريم، فالإعجاز البياني هو الذي أولاه عبد القادر عنايته واهتمامه لأنّه

الجهة التي قامت بها الحجّة³.

ولا يكاد الناظر في كتاب الدلائل يرى حديثاً إلا عن النظم، الأمر الذي يؤكد أنّ النظم وحده

هو الذي وضعه عبد القاهر موضع الاهتمام في الوقوف على حقيقة الإعجاز، فعبد القاهر درس

أسلوب تأليف الكلام وترتيب معانيه، وما يعرض لذلك من تقديم وتأخير وذكر وحذف ووصل

وفصل، محاولاً في ثنايا ذلك أن يثبت أنّ الفصيحة لا ترجع إلى الألفاظ من حيث هي كلم مفردة،

وإنّما ترجع إلى النظم الذي تقتفي فيه الألفاظ آثار المعاني، فالنظم معناه أنّ ترتيب الألفاظ يتبع

ترتيب المعاني في النفس، ولذلك كان عنده شبيهاً للنسج والصياغة والوشى والتحبير، إذ ذلك كلّ

1- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط5/ 1981، ص: 35.

2- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3/ 1992، ص: 80 بتصرف.

3- نظر دلائل الإعجاز ص: 8 وص: 39.

يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع الشيء في مكانه علة تقتضي كونه هناك¹.

وفصاحة الكلام عنده لا تتعلق بالألفاظ، فالكلمة قبل دخولها في دخولها في التأليف ليس لها ميزة على غيرها، إذ لا مزية للفظ إلا من جهة كشفه للمعنى وتعبيره عنه، وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟²

وقد عرّف الجرجاني النظم في مواضع متعددة من كتابه، فهو يقول: "ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"³، والكلمات في نظمها تقتفي آثار المعاني، وتترتب على حسب ترتب المعاني في النفس"⁴، ولذا فالنظم صنعة يُستعان عليها بالفكرة والروية لأنه يتعلق بالمعاني لا بالألفاظ⁵.

ومفهوم النظم يرتبط عند عبد القاهر بمعاني النحو غاية الارتباط، فهو يقول: "اعلم أن ليس النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله"⁶. إذ النحو - كما يراه عبد القاهر - يتجاوز حركة الأواخر وعلل الإعراب، وينفذ إلى المعنى والدلالة⁷.

1- انظر: عبد التواب: النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن 138-139.

2- دلائل الإعجاز ص: 44-45.

3- المدخل في دلائل الإعجاز ص: 4.

4- المدخل في دلائل الإعجاز ص: 49.

5- انظر: دلائل الإعجاز ص: 49-52.

6- دلائل الإعجاز ص: 82-83 بتصرف.

7- انظر: دلائل الإعجاز ص: 30-31.

وبهذا يتضح أنّ النظم الذي يقصده عبد القاهر هو صياغة الجمل بما تحمله من صور أدبيّة تعبر عن المعنى، وأنّ هذه الصياغة هي محور الفضيلة والمزيّة في الكلام، وذلك بأن يوضع الكلام وفق الوضع الذي تقتضيه قوانين النحو وأصوله¹.

وبهذا جعل عبد القاهر من المعنى محورا يدور حوله منهجه البلاغي، إذ امتزج بنظرية النظم عنده، لأنّه يرفض أن يكون النظم هو توالي الألفاظ في النطق بل في تناسق دلالتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل².

وفي دراسته للمعنى عني عبد القاهر كلّ العناية بما يسمّيه معنى المعنى أو المعاني الثواني، وهو يميّز بين المعنى ومعنى المعنى، فالمعنى هو ما يفهم من ظاهر اللفظ ويوصل إليه بغير واسطة، وأمّا "معنى المعنى" فهو أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر³. فالمعاني الأول هي المفهومة من نفس الألفاظ، والمعاني الثواني التي يوماً إليها بتلك المعاني⁴.

وإذا كان المعنى يُستفاد من الدلالة المباشرة للألفاظ، فإنّ معنى المعنى ينتج عن الصورة الفنية التي توظّف المجاز والكناية والتشبيه والتمثيل كما ينبثق عن فنية التركيب التي تقوم على التقديم والتأخير والفصل والوصل والتعريف. وعليه فالمعاني الثانوية تتناسل وتتوالد عن المعاني الأول، التي تتشكّل من المادّة اللغويّة ثمّ تفضي إلى إنتاج وخلق المعاني الثانوية⁵.

1- انظر دلائل الإعجاز ص: 85، والنقد الأدبي دراسات نقدية وأدبيّة حول إعجاز القرآن ص: 141-145.

2- انظر دلائل الإعجاز ص: 49-51.

3- انظر دلائل الإعجاز ص: 263.

4- انظر دلائل الإعجاز ص: 264.

5- انظر أبو الهيجاء، عطية أحمد، معنى المعنى عند عبد القاهر، رسالة دكتوراه في جامعة اليرموك، سنة

2005، ص: 17.

ومن الجليّ أنّ نظريّة معنى المعنى عند الجرجاني لم تقف عند فن بلاغي واحد، بل تغلّغت

في ثنايا فكره البلاغي كله حتى أصبحت صالحة لتفسير مشروعه البلاغي¹.

ونظريّة النظم بما امتزجت به من الاهتمام بالمعاني الثانية كانت أساس البحث في علم

المعاني في مجالاته المختلفة بعد عبد القاهر، فهو السلك الناظم الذي يربط بين الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، وغيرها من مباحث علم المعاني.

والذي أزعجه أنّ عبقرية عبد القاهر كانت في تأصيل وتقعيد النظرية التي كانت موجودة

ومستكنة في عقول اللغويين والنحاة ودرسهم. فما فعله عبد القاهر في علوم البلاغة يشبه إلى حد

كبير ما فعله الشافعي في علم أصول الفقه. فقواعد علم أصول الفقه يسلكها المجتهدون قبل

الشافعي، وكثير منها كان محلّ تطبيق الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الاجتهاد، غير

أنّ الإمام الشافعي هو الذي صاغها ووضع مصطلحها.

والأمر نفسه في نظرية النظم، فجهود المتقدمين من النحاة تبرز بشكل واضح أنّ النحو

عندهم ما كان ليقف عند حدود دراسة حركة أواخر الكلمات، ولم يكن جلّ همّهم الإعراب، بل كان

بحثهم منصباً على المعنى، باحثاً في دلالة التراكيب، وليس أدلّ على ذلك من أنّ معظم البارزين

منهم اتجهوا نحو خدمة القرآن الكريم، وكانوا عنوان مؤلفاتهم "معاني القرآن"، كما تقدّم عن أبي

جعفر الرّؤاسي ويونس بن حبيب والكسائي وقطرب والمبرد وثلعب وأبي بكر بن الأنباري

وغيرهم، فضلاً عن الأخفش والفراء والزجاج والنحاس الذين هم محل هذه الدراسة.

ومما يثبت هذه الرؤية أنّ أصول مباحث علم المعاني موجودة في كتب معاني القرآن،

ولكن على نحو يعوزه التأصيل والتنظيم، وهذا ما أعرض له في المباحث الآتية.

1- انظر أبو الهيجاء: معنى المعنى عند عبد القاهر ص: 95.

المبحث الثاني

مباحث الخبر والإنشاء عند أصحاب المعاني

المطلب الأول: تعريف الخبر

الخبر: العلم بالشيء. تقول: لي بفلان خبرٌ وخبرٌ. والله تعالى الخبير، أي العالم بكل شيء¹، وخبرْتُ بالأمر أي علمتُه، وخبرتُ الأمرَ أخبرُهُ إذا عرفته على حقيقته، والخبرُ: واحد الأخبار، والخبرُ: ما أتاك من نبا عمن تستخير، وخبرَه بكذا وأخبرَه: نبأه. واستخبرَه: سأله عن الخبر وطلب أن يخبره².

ويعرف علماء البلاغة الخبر بأنه "ما احتمل التصديق والتكذيب"، أي أن لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه³، قال المبرد: "الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب"⁴. ونقل القزويني اتفاق الجمهور على انحصار الخبر في الصادق والكاذب، وأن صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة له، وقال: "وهذا هو المشهور وعليه التعويل"⁵.

واحتمال الخبر للصدق والكذب إنما يكون بالنظر إلى الخبر ذاته، دون النظر إلى المخبر أو إلى الواقع، فالخبر يشمل ما كان مقطوعاً بصدقه أو كذبه لكونه بدهياً، مثل قولنا: "السماء فوقنا والأرض تحتنا"، فهذا لا يشك أحد في صدقه، ومع ذلك يدخل في مفهوم الخبر، وكذلك يدخل فيه خبر الله ورسوله، وإن كان مقطوعاً بصدقه.

1 - ابن فارس، مقاييس اللغة، (خبر)، (ج2/239).

2 - انظر: الرازي، مختار الصحاح، (خبر) (ص: 87). وابن منظور، لسان العرب، (خبر) (ج4/227). و القاموس المحيط (خبر) (ج3/382).

3 - القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4/1998، (ج1/17).

4 - المبرد، المقتضب (ج3/89).

5 - القزويني، الإيضاح (ج1/13).

المطلب الثاني: أغراض الخبر

حين يلقي المتكلم الخبر قد يقصد إفادة المخاطب بمضمون الخبر ومعناه، وهو ما يسميه علماء البلاغة "فائدة الخبر"، وقد يقصد إعلام المخاطب بمعرفته بالقضية التي يخبر عنها، وهو ما يسمونه "لازم الفائدة".

وقد يخرج الخبر عن أصل معناه ليدلّ على معانٍ مختلفة، وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله :
"إن قولك : رحمة الله عليه، فيه معنى الدعاء، كأنه قال: رحمه الله".

وأشار أبو عبيدة إلى خروج الخبر إلى معنى الاستفهام في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾² فقال : "هذا كلام هو إخبار خرج مخرج الاستفهام"³.

وقد بين أصحاب المعاني كثيرا من الأغراض التي قد يدلّ الخبر عليها، ومنها:

أولا: الأمر:

من الأمثلة على خروج الخبر إلى معنى الأمر قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁴، فقد فسرها الفراء بأنها أمر للنبي ﷺ وذلك " أن العرب كانوا قد أخذوا ينقضون

1- سيبويه، الكتاب : (ج1/314) .

2 - سورة البقرة: الآية 6.

3- أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج1/74).

4 - سورة براءة: الآية 1.

عهودا كانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت عليه آيات من أول براءة، أمر فيها بنبذ عهودهم إليهم، وأن يجعل الأجل بينه وبينهم أربعة أشهر¹.

ومن الأمثلة على دلالة الخبر على الأمر قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾² قال الزجاج: "اللفظ لفظ الخبر، والمعنى الأمر كما تقول: حسبك درهم، فلفظه لفظ الخبر، ومعناه اكتف بدرهم، وكذلك معنى الآية لترضع الوالدات"³.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾⁴ ذكر الزجاج أن القراءة بكسر النون، ويجوز فتحها لأنها نون جماعة، وتكون (وَلَا تَقْرَبُونِ) لفظه لفظ الخبر، ومعناه معنى الأمر⁵. وفي تفسير لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾⁶ يقول: "معناه وكفى الله وكيلاً، دخلت الباء بمعنى الأمر، وإن كان لفظه لفظ الخبر. ويقول رحمه الله: "فإن قال قائل كيف كان الخبر في معنى الأمر؟ قلنا هو كقولك: غفر الله لزيد، ورحم الله زيدا، فمعناه: اللهم ارحم زيدا"⁷.

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 420).

2 - سورة البقرة: الآية 233.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 267).

4 - سورة يوسف: الآية 60.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 95).

6 - سورة الأحزاب: الآية 3.

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 365).

ويقول: "وزعم بعض النحويين أن قوله: ﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ بُحْرَىٰ تَنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾¹ جوابه ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ﴾

﴿² وهذا خطأ لأنه ليست بالدلالة تجب المغفرة إنما تجب المغفرة بقبولهم ما يؤدي إليهم النبي ﷺ،

ولكن ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِأَنَّكُمْ تَبْعُونَ﴾³، فإنه أمرٌ في لفظ خبر، المعنى: آمنوا بالله

ورسوله واجاهدوا يغفر لكم⁴."

ويذكر الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُتَفَقُّوتَ﴾ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي

قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ⁵ قولين، أولهما: أن يكون الفعل (يحذر) لفظه لفظ

الخبر، ومعناه معنى الأمر، والمراد: فليحذر المنافقون، والثاني: أن يكون خبراً عنهم لأنهم يكفرون

حسداً وعناداً⁶."

ثانياً: النهي

من أمثلة خروج الخبر إلى معنى النهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا

اللَّهَ وَيَآلُوْلَدَيْنِ⁷﴾ فقوله تعالى ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ في صورة الخبر لثبوت النون فيه، ولكنه في معنى النهي،

ويعلل الفراء مجيء الفعل بالرفع بأنه مما يصلح أن تتدخل عليه "أن"، ولما حذف الناصب، جاء

الفعل مرفوعاً، ويستدل على أن معناه نهى وجزم بأن المعطوف عليه أمر، وهو قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا

1 - سورة الصف: الآية 10.

2 - سورة الصف: الآية 12.

3 - سورة الصف: الآية 11.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 129).

5 - سورة التوبة: الآية 64.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 370-371).

7 - سورة البقرة: الآية 83.

لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴿١﴾ فالآية الكريمة عنده من باب قول القائل: افعلوا ولا تفعلوا¹، وهذا المنحى في تفسير الآية الكريمة ذكره الزمخشري بعبارة أوضح، وذكر السر فيه، فقال: " لا تعبدون إخبار في معنى النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء"².

ومن الأمثلة أيضا على خروج الخبر إلى معنى النهي قوله تعالى: ﴿لَا تَضَارَّ وَلِدَهُ يُؤَلِّمُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولِّمُهَا﴾³، ذكر الزجاج أن كلمة "تضار" قرئت بضمّ الراء وفتحها، وعلى قراءة الرفع تكون الآية من الخبر الذي فيه معنى الأمر⁴. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵، فقد قال الزجاج في تفسيرها: "وهذا لفظه لفظ خير، ومعناه معنى الأمر"⁶، والأدقّ في العبارة أن نجعل الآيتين في معنى النهي لا الأمر، ولعلّ الذي جعل الزجاج يعبر عن المراد في الآيتين بالأمر أنّ النهي في الحقيقة إنما هو أمر بالكفّ عن الفعل.

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 53).

2 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 159).

3 - سورة البقرة: الآية 233.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 268).

5 - سورة النور: الآية 3.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 24).

ثالثاً: التوبيخ والتقريع

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾¹، فقد قال الفراء في تفسيرها:

"فمعناه - فيما نرى والله أعلم - أنه توبيخ أي ذق فإنك كريم كما زعمت، ولست كذلك"².

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَشْرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾³ فقد

قال الزجاج في تفسيرها: "وفي معرفة بعضهم بعضاً وعلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخ لهم وإثبات الحجة عليهم"⁴.

رابعاً: التعجب

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾⁵ يقول النحاس: "

أي كبرت من كلمة، وقيل فيه معنى التعجب، كما يقال لقاض قضى بالحق: ما أقضاه! فيكون المعنى ما أكبرها من كلمة"⁶.

وإفادة الآية للتعجب أشار إليه الأخفش بقوله: "وقال ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ لأنها في معنى: أكبر

بها كلمة"⁷.

1 - سورة التوبة: الآية 49.

2 - الفراء، معاني القرآن (ج3/ 44) .

3 - سورة يونس: الآية 45.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 19).

5 - سورة الكهف: الآية 5.

6 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 682).

7 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 427).

كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ

إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ⑩ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾¹ فرأى الفراء أن قوله تعالى:

﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ تعبير وتهديد لهم²، وذكر في تفسير الآية رأيين حكاها أيضا

الطبري والزمخشري وغيرهما من المفسرين، أولهما: أن يكون قوله (طاعة وقول معروف) حكاية

عن قول المنافقين قبل أن تنزل سورة يؤمرون فيها بالقتال، وأنهم إذا قيل لهم: إن الله مفترض

عليكم الجهاد، قالوا: سمع وطاعة، فإذا فرض القتال عليهم شق ذلك عليهم وكرهه.

والثاني رواه الفراء عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو إسناد قال عنه الطبري

بأنه غير مرتضى، ونقل مثله عن قتادة، وهو أن قوله تعالى (فأولى) على سبيل التهديد لمن كره

السورة التي يذكر فيها القتال، وأن تمام الوعيد عند قوله تعالى (فأولى)، ثم انقطع الكلام واستأنف

فقال: (طاعة وقول معروف)، وعليه تكون الطاعة مرفوعة بقوله (لهم)، وعقب الفراء بقوله:

"والأول عندنا كلام العرب، وقول الكلبي هذا غير مردود"³.

وقد بين الزمخشري القولين بعبارة أوضح فقال: "فأولى لهم: وعيد بمعنى فويل لهم، وهو

أفعل: من الولي وهو القرب، ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه. طاعة وقول معروف: كلام

1 - سورة محمد: الآيتان 20-21.

2 - الفراء، معاني القرآن (ج1/93).

3 - الفراء، معاني القرآن (ج3/62)، وانظر الطبري، جامع البيان (ج22/176).

مستأنف، أي طاعة وقول معروف خير لهم. وقيل: هي حكاية قولهم، أي قالوا: طاعة وقول معروف¹.

ورأي الماتريدي أن إفادة الآية للوعيد ليس من منطوقها، وإنما هو من لازم معناها، فقد نقل عن أهل التأويل أن الآية وعيد، وقال: "لكن ظاهره ليس بتوعد ولا تهديد، إنما ظاهره أي: أخرى لكم وأولى أن تطيعوه، وأن تقولوا معروفًا، فإذا تركوا ذلك يكون وعيدًا"².

وذكر ابن عطية قولين في تفسير كلمة "أولى"، أحدهما: أن يكون وزنه أفعل، من وليك الشيء يليك، والثاني: أن يكون وزنه: أفلع، وفيه قلب، لأنه مشتق من الويل، ثم قال: "وقد تستعمل "أولى" فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القول، فنقول على جهة الزجر والتوعد: أولى لك يا فلان، وهذه الآية من هذا الباب"³.

وقد أشار الفراء إلى دلالة الخبر على الوعيد في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾⁴ فمعنى الآية عنده أن مرجعهم إلى الله سبحانه فيجازيهم، وهو كقوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسِمٌ﴾⁵، وهي في المعنى كأن تقول أوعده: طريقك علي وأنا على طريقك⁶. وهذا

1 - الزمخشري، الكشاف (ج4/ 324).

2 - الماتريدي، أبو منصور، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2005، (ج9/ 278).

3 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 117).

4 - سورة الحجر: الآية 41.

5 - سورة الفجر: الآية 14.

6 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 89).

الرأي في تفسير الآية ذكره النحاس، ونسبه إلى مجاهد، وذكر رأيا آخر في تفسير الآية أن معناها: هذا صراط على أمري وتحت إرادتي¹.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾² يرى الفراء أن هذا من الله وعبد، لأنه عز وجل لا يشغله شيء عن شيء، والمعنى كما تقول للرجل الذي لا شغل له: قد فرغت لشئتي، أي: قد أخذت فيه، وأقبلت عليه³. وإلى هذا المعنى في تفسير الآية ذهب الزمخشري، فقوله تعالى ﴿سَنَفَعُ﴾ عنده "مستعار من قول الرجل لمن يتهدده: سأفرغ لك، يريد: سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنك، والمراد: التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، وذكر في الآية قولاً آخر، وهو أن يراد أن الدنيا ستنتهي وتبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق، ولا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم"⁴.

ومن الآيات التي حُملَ فيها الخبر على التهديد قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾⁵، فالآية تحتمل عند الزجاج والنحاس أن تكون تهديدا للمشركون إما بالعذاب يوم القيامة أو بالحرب⁶.

1 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 604).

2 - سورة الرحمن: الآية 31.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج3/ 116).

4 - الزمخشري، الكشاف (ج4/ 448)، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 360).

5 - سورة الأنعام: الآية 67.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 210) والنحاس، معاني القرآن (ج1/ 338)، وانظر: ابن عطية،

المحرر الوجيز (ج2/ 303).

فقد حمل الفراء والزجاج¹ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾² على أن ذلك استهزاء منهم بشعيب عليه السلام، وعو ما ذهب إليه الطبري، ونقله عن ابن جريج وابن زيد³، ونسبه ابن كثير أيضا إلى ابن عباس وميمون بن مهران⁴، وقال الزمخشري: "وأرادوا بقولهم إنك لأنت الحليم الرشيد نسبته إلى غاية السفه والغى، فعكسوا ليتهمكوا به"⁵، والقول الثاني في الآية أنهم قالوا بل قالوا ذلك على جهة الحقيقة وأنه اعتقادهم فيه، فكانهم قالوا: أنك حليم رشيد، فلا ينبغي لك أن تأمرنا بهذه الأوامر، وقيل: إن معناه: إنك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك⁶.

سابعا: التأديب

أشار الفراء إلى خروج الخبر إلى هذا المعنى في تفسيره للآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁷ فقال: "ليس هذا بخبر ماض يخبر عنه ... ولكنه: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذ دعوا أن يقولوا سمعنا، وهو أدب من الله"⁸. وهذا قريب مما ذكره الطبري في تفسيره للآية الكريمة فقال: "ولم يعن بـ (كان)

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 341)، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 61).

2 - سورة هود: الآية 87.

3 - الطبري، جمع البيان (ج15/ 483).

4 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ 388).

5 - الزمخشري، الكشاف (ج2/ 420)، وانظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج6/ 169).

6 - انظر: النحاس، معاني القرآن (ج1/ 581)، وابن عطية، المحرر الوجيز (ج3/ 201).

7 - سورة النور: الآية 51.

8 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 253).

في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى، ولكنه تأنيب من الله الذي أنزلت هذه الآية بسببهم، وتأديب منه آخرين غيرهم¹.

ثامنا: الدعاء

ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه في قصة يوسف: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ

الْجَاهِلِينَ﴾²، فلفظ الآية خبر، لكن الله سبحانه "جعله الله دعاء لأن فيه معنى الدعاء، فلذلك قال: (فاستجاب له)، ومثله في الكلام أن تقول لعبدك: إلا تطع تعاقب، فيقول: إذا أطيعك، كأنك قلت له أطع، فأجابه"³.

ومن أمثلة ذلك أيضا عند الفراء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ

يَرَبُّكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾⁴، فالفراء يرى أن قوله تعالى

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ دعاء عليهم⁵، خلافا للزجاج والنحاس اللذين يريان أنه خبر عنهم بأن الله

سبحانه أضلهم مجازاة على فعلهم⁶.

1 - الطبري، جامع البيان (ج206/19).

2- سورة يوسف: الآية 33.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج2/44).

4 - سورة التوبة: الآية 127.

5 - الفراء، معاني القرآن (ج3/270).

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/287)، والنحاس، معاني القرآن (ج1/470).

وكذلك يرى الفراء أن ما ذكرته الآية من سورة القصص من قول موسى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنَّمْتَ

عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾¹ يحتمل أن يكون دعاء مستدلاً بقراءة ذكرها عن ابن مسعود رضي الله عنه (فلا تجعلني ظهيرا)².

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾³ فسئل لك من أصحاب اليمين⁴ يرى الفراء

أن قوله تعالى ﴿ فَسَلِّمْ ﴾ دعاء⁴، وهذا قريب مما ذهب إليه الزجاج في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَايَتِنَا فَقُلْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾⁵ فهو يرى أن قوله تعالى ﴿

سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ دعاء، فالسلام الذي هو مصدر دعاء للإنسان أن يسلم من الآفات في دينه ونفسه⁶.

وكذلك يرى الفراء في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾⁷ أن (تبت) الأولى دعاء،

وأن الثانية خبر⁸.

1 - سورة القصص: الآية 17.

2 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 304).

3 - سورة الواقعة: الآيتان 90-91.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج3/ 131).

5 - سورة الأنعام: الآية 54.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 203).

7 - سورة المسد: الآية 1.

8 - الفراء، معاني القرآن (3/ 298).

المطلب الثالث: أضرب الخبر

من أساليب العربية التوكيد، ولا ينبغي أن يُصار إليه إلا عند وجود ما يقتضيه، وقد قسم علماء البلاغة الخبر من حيث الحاجة إلى تأكيده إلى ثلاثة أقسام: الابتدائي والطلبى والإنكارى.

فالأول: ما كان في مخاطبة خالي الذهن، ولذا يُلقى إليه الكلام خالياً من المؤكدات.

والثاني: ما كان في مخاطبة المتردد، ولذا يؤكد المتكلم بمؤكد.

والثالث: ما كان في مخاطبة المنكر، ولذا يؤكد الخطاب بأكثر من مؤكد.

وهذا يقودنا إلى أن نقف عند معالجة أصحاب المعاني للتوكيد وأساليبه في القرآن الكريم.

تعريف التوكيد:

التوكيد في اللغة الشد والإحكام، يقال: أوكد عقداً أي شدّه، والوكاد: حبل تُشدُّ به البقرة عند

الحلب، ووكّدت القول والفعل وأكّدتُه: أحكمته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ

تَوْكِيدِهَا﴾¹، ووكد الرجل شدّه، والعقد أوثقه². وقال في اللسان: "والهمز فيه لغة. يقال: أوكدته

1 - سورة النحل: الآية 91.

2 - ابن فارس، مقاييس اللغة (ج6/138)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط (ج1/327) في (وكد).

وأكدته وأكدته إيكادا، وبالواو أفصح، أي شدته، وتؤكد الأمر وتأكد بمعنى¹، ونقل الراغب عن الخليل أن أكدته في عقد الأيمان أجود، ووكدته في القول أجود².

أما التوكيد في الاصطلاح البلاغي فهو أوسع بكثير من التوكيد عند النحاة، إذ إنه يتسع ليشمل كل ما فيه مزيد تقرير للمعنى، ومبالغة في إثبات حصوله. وقد يجتمع مع هذا الغرض أغراض أخرى تصوير المعنى، ورفع التوهم، ونفي المجاز، كما سيتضح من الأمثلة التي ستأتي.

وقد وجه الملاحدة سهام نقدهم للقرآن بسبب احتوائه على التوكيد؛ لأنه لا يتضمن مزيد إفادة، فهو زيادة في اللفظ لا يقابلها زيادة في المعنى، وهذا مغلّ بالبلاغة على زعمهم، وقد ردّ عليهم ابن قتيبة بأنّ "القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز، لأن افتتاح المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد"³.

وقال النحاس: "وفي التوكيد أعظم الفائدة وهو كثير في كلام العرب يستغني عن الاستشهاد"⁴.

وتتابع العلماء من بعد ابن قتيبة يبينون مقاصد أسلوب القرآن وأسراره البيانية، ومنهم الخطابي وأبي هلال وعبد القاهر وابن الأثير وابن حمزة العلوي وغيرهم.

1 - ابن منظور، لسان العرب (ج3/ 466) في (وكد).

2 - الراغب، مفردات القرآن ص: 882.

3 - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 2002، (ج1/ 149).

4 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 21).

أغراض التوكيد:

القصد من التوكيد المبالغة في إثبات الكلام، ويحسن تأكيد الكلام إذا كان المخاطب به منكرا أو مترددا، وقد يؤكد الكلام والمخاطب غير منكر لعدم جريه على مقتضى إقراره، فينزل منزلة المنكر، وقد يترك التأكيد مع المنكر لأن الكلام يؤيده أدلة ظاهرة لو تأملها لرجع عن إنكاره، وعلى ذلك يخرج قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾¹ أكد الموت تأكيدين وإن لم ينكر لتنزيل المخاطبين لتماذيه في الغفلة تنزير من ينكر الموت، وأكد إثبات البعث تأكيدا واحدا وإن كان أشد نكيرا؛ لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديرا بأن لا ينكر، فنزل المخاطبين منزلة غير المنكر حثا لهم على النظر في أدلته الواضحة².

ويندرج تحت الغرض العام للتوكيد - وهو المبالغة في تأكيد حصول الخبر - مقاصد مختلفة منها الترغيب نحو: ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾³ أكد بتأكيدات ترغيبا للعباد في التوبة⁴، ومنها قصد إغاطة السامع بذلك الخبر كقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾⁵، ومنها رفع المجاز عن الفاعل، ورفع الوهم، ومثال ذلك قولنا: ضرب الأمير اللصّ ضربا، فالتأكيد بالمصدر أفاد أن الأمير باشر الضرب بنفسه⁶، وسيأتي أمثلة ذلك من القرآن الكريم.

أقسام التوكيد:

- 1 - سورة المؤمنون: الآيتان 15 - 16.
- 2 - السيوطي، الإتيان (ج 3 / 217-218).
- 3 - سورة البقرة: الآية 37.
- 4 - السيوطي، الإتيان (ج 3 / 219).
- 5 - الزركشي، البرهان (ج 2 / 389).
- 6 - المصدر السابق (ج 2 / 392).

من الواضح أنّ مصطلح التوكيد في البحث البلاغي أوسع بكثير منه عند النحاة، وعليه فالتوكيد ينقسم إلى صناعي -يتعلق باصطلاح النحاة- وإلى ما يفيد توكيد المعنى، وهو خارج عن اصطلاحهم.

وينقسم التوكيد الصناعي إلى قسمين: لفظي ومعنوي، فاللفظي: تقرير معنى الأول بلفظ أو مرادفه، ويلحق به تأكيد الفعل بالمصدر وبالحال المؤكدة¹، والمعنوي يكون بكل وأجمع وكلا وكلتا، وفائدته رفع عدم الشمول، ولفظي النفس والعين وفائدتهما رفع توهم المجاز².

وللتوكيد أساليب أخرى، فقد يكون بأداة من أدواته المعروفة مثل: إن، وأن، ولام الابتداء، وقد التي هي للتحقيق، والسين وسوف الداخلتان على فعل يفيد وعدا أو وعيدا، وضمير الفصل، والقسم، وحروف التنبيه، وحروف الجر الزائدة، ونونا التوكيد وغيرها.

وقد يكون بغير أداة، وسنعرض لأمثلة ذلك كله في كتب أصحاب المعاني.

فمن التوكيد بغير أداة من أدواته المعروفة ما يلي:

- 1- التوكيد بالمصدر: ومسوّغ جعل المصدر مفيدا للتأكيد أنّه عوض عن تكرار الفعل مرتين، فقولك: ضربت ضربا بمنزلة قولك: ضربت ضربت، وفائدة ذلك رفع توهم المجاز عن الفعل³، والمصدر النائب عن فعله يدلّ على التوكيد لأنّه كالمفعول المطلق الذي يجيء لتوكيد الفعل، وقد أشار إلى ذلك الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

1 - الزركشي، البرهان (ج2/ 391-402).

2 - السيوطي، الإتيان (ج3/ 221).

3 - الزركشي، البرهان (ج2/ 392)، والسيوطي، الإتيان (3/ 223).

كَتَبًا مُؤَجَّلًا¹ فقال: "قوله سبحانه ﴿كَتَبًا مُؤَجَّلًا﴾ تأكيد، ونصبه على "كَتَبَ اللهُ ذَلِكَ كِتَابًا مُؤَجَّلًا". وكذلك كل شيء في القرآن من قوله "حقًا" إنما هو "أحقُّ ذلك حقًا"، وكذلك "وَعَدَ اللهُ" و"رحمةً من ربك" و"صنَعَ اللهُ" و"كتاب اللهُ عليكم" إنما هو من "صنَعَ اللهُ ذلك صنْعًا"، فهذا تفسير كل شيء في القرآن من نحو هذا، وهو كثير².

وفي تفسير قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾³ يقول الزجاج: "وقوله: ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ هذا منصوب لأنه مصدر مؤكد لما قبله، لأن قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ بمعنى الوعد، لأنه قد وعدهم الله القبول، فوعد الصدق تأكيد لذلك⁴.

وقد يؤكد الفعل بصدر لفعل آخر، يشترك معه في الدلالة، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾⁵ يقول الزجاج: "وقوله "كتابًا" تأكيد لقوله "أحصيناه" لأن معنى أحصيناه وكتبناه فيما يحصل ويثبت واحد؛ فالمعنى كتبناه كتابًا⁶.

2- التوكيد بذكر شيء من متعلقات الفعل التي لا تتفصل عنه، ويُعلم بالضرورة أن الفعل لا

يقع إلا مرتبطًا بها، وإنما يجيء ذكرها في الآية على سبيل التوكيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ

1 - آل عمران: الآية 145.

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/234-235).

3 - سورة الأحقاف الآية 16

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/337).

5 - سورة النبا: الآية 29.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/214).

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا¹ ومن المعلوم أن الأكل لا يكون إلا في البطون، وذكره في الآية جاء على سبيل التوكيد². ويرى ابن عاشور أنه تخييل وترشيح لاستعارة يأكلون³.

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾⁴ قال الفراء: "والقلب لا يكون إلا في الصدر، وهو توكيد مما تزيده العرب على المعنى المعلوم كما قيل ﴿فَصَيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَعَى إِذَا رَجَعْتُمْ⁵ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾⁵ والثلاثة والسبعة معلوم أنهما عشرة، ومثل ذلك نظرت إليك بعيني⁶. وقال الزجاج في تفسيره للآية نفسها من سورة الحج: "القلب لا يكون إلا في الصدر، ولكن جرى على التوكيد كما قال عز وجل ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾⁷، وكما قال: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾⁸،⁹.

وفوائد ذكر متعلقات الفعل التي لا تتفصل عنه كثيرة، منها استحضر الصورة في ذهن المخاطب، والتعميم، ونفي المجاز، ولذا يرى أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ أن استعارة الطائر للعمل فيه تنبيه على تصور هيئته على حالة الطيران واستحضار

-
- 1 - سورة النساء: الآية 10.
 - 2 - انظر: الأخفش، معاني القرآن (ج1/247).
 - 3 - ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج4/255).
 - 4 - سورة الحج: الآية 46.
 - 5 - سورة البقرة: الآية 196.
 - 6 - الفراء، معاني القرآن (ج2/228).
 - 7 - سورة آل عمران: الآية 167.
 - 8 - سورة الأنعام: الآية 38.
 - 9 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/198).

لمشاهدة هذا الفعل الغريب¹. وقال الرازي: "قد يقول الرجل لعبده: "طر في حاجتي" والمراد الإسراع وعلى هذا التقدير: فقد يحصل الطيران لا بالجناح فنذكر الجناح ليتمحض هذا الكلام في الطير"².

ومن هذا النوع من التوكيد ما جاء في الآية الكريمة : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِي ءَامُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾³، فقد قال الأخفش في تفسيرها: "قوله ﴿بدین﴾ تأكيد نحو قوله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾⁴ لأنك تقول "تدائنا" فيدل على قولك "بدین"⁵، أما النحاس فقال في تفسير الآية: "ومما يسأل عنه أن يقال ما وجه بدین وقد دل تدائنه على الدين فهل تكون مداينة بغير دين فالجواب أن العرب تقول تدائنا أي تجاربنا وتعاطينا الأخذ والإعطاء فجاء بدین مبينا للمعنى المقصود"⁶.

وقريب من هذا ما ذكره الأخفش في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْفَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾⁷ فقد جعل قوله ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ توكيدا لقوله ﴿رَأَيْتُمُوهُ﴾ كما تقول: "قد رأيته والله بعيني"، ورأيته والله عيانا"⁸. وذكر النحاس قول الأخفش وعلق عليه بقوله: "وحقيقة هذا القول فقد رأيتموه حقيقة، وانتم بصراء متيقنون"⁹.

¹ - انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج4/ 501).

² - الرازي، مفاتيح الغيب (ج12/ 524).

³ - البقرة: الآية 282.

⁴ - سورة الحجر: الآية 30، وسورة ص: الآية 73.

⁵ - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 207).

⁶ - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 109).

⁷ - سورة آل عمران: الآية 143.

⁸ - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 234).

⁹ - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 167-168).

3- التوكيد بالتكرار كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾¹ فتكرار الفعل ﴿رَأَيْتُ﴾ و﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ يرى الأخفش أنه لإفادة التوكيد، "وهذا على لغة الذين قالوا "ضربت زيدا ضربته"، وهو توكيد مثل ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^{2,3}، وذهب الزجاج إلى أن تكرار الفعل "رأى" في الآية يدل على التوكيد، وأن كرّر لما طال الكلام.⁴

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾⁵ فمجيء الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾ بعد قوله تعالى ﴿فِي النَّارِ﴾ يرى الأخفش أنه على سبيل التوكيد، وهو في القرآن في غير مكان⁶، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾⁷.

ومن التوكيد بالتكرار قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾⁸ فقد ذكر الزجاج وجهين في تفسيرها: الأول: أن تكون كلمة "السابقون" الأولى مبتدأ، والسابقون الثانية توكيد، والخبر قوله ﴿أُولَئِكَ

1 - سورة يوسف: الآية 4.

2 - سورة الحجر: الآية 30، وسورة ص: الآية 73.

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/394).

4 - انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/73).

5 - سورة الحشر: الآية 17.

6 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/540).

7 - سورة البينة: الآية 6.

8 - سورة الواقعة: الآية 10.

الْمَقْرُونُونَ¹، والثاني: أن تكون "السابقون" الأولى مبتدأ، والثانية خبرا، ويكون المعنى: السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله².

وقريب من التوكيد بالتكرار ما قاله الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾³ فكون السنين اللاتي ناموها جاوزت المفرد، وصارت ذات عدد مستفاد من نفس صيغة الجمع التي جاءت عليها كلمة ﴿سِنِينَ﴾، وجاءت كلمة ﴿عَدَدًا﴾ تأكيدا على كثرتها، قال الزجاج: "والفائدة في قولك "عدد" في الأشياء المعدودات أنك تريد توكيد كثرة الشيء؛ لأنه إذا قل فهم مقداره ومقدار عدده، فلم يحتاج إلى أن يعد، فإذا كثر احتاج إلى أن يعد، فالعدد في قولك أقيمت أياما عددا أنك تريد بها الكثرة، وجائز أن تؤكد "بعدد" معنى الجماعة في أنها قد خرجت من معنى الواحد⁴.

وقريب أيضا من التوكيد بالتكرار ما جاء في الآية الكريمة: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾⁵ فقد ذكر الزجاج قول سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد، "والمعنى هذا فراق بيننا أي: هذا فراق اتصالنا، قال: ومثل هذا أمر الكلام: أخزى الله الكاذب مني ومنك، فذكر بيني وبينك ثانية توكيد⁶.

1 - سورة الواقعة: الآية 11.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 87).

3 - سورة الكهف: الآية 11.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 221)، وانظر: النحاس، معاني القرآن (ج2/ 684).

5 - سورة الكهف: الآية 78.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 248).

4- التأكيد بالاستثناء: وقد تناوله الزجاج في تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ

قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾¹، وهو يرى أن الاستثناء من العدد يتضمن تأكيداً له؛ لأنّ دليل على أنّ حقيقة العدد مرادة، ولذا فتوكيد العدد بالاستثناء يشبه تأكيداً بكلمة كلّ، غير أنّ كلمة "كلّ" تؤكد على كماله، أما الاستثناء فتأكيد على نقصانه، وعبارته في ذلك أنّ: "الاستثناء مستعمل في كلام العرب، وتأويله عند النحويين توكيد العدد وتحصيله وكماله، لأنك قد تذكر الجملة ويكون الحاصل أكثرها، فإذا أردت التوكيد في تمامها قلت كلها، وإذا أردت التوكيد في نقصانها أدخلت فيها الاستثناء"²، وإفادة الاستثناء للتوكيد لا تقتصر على الاستثناء من العدد، فقد تقول: "جاءني إخوانك"، وأنت تريد أكثرهم، ولو أكّدت فقلت: "جاءني إخوانك كلهم" فقد أعلمت أنّه لم يتخلف منهم أحد. وكذلك إذا قلت: "جاءني إخوانك إلا زيда" فقد أعلمت أنّه لم يتخلف منهم إلا زيّد³.

5- التوكيد بتغيير في بنية الكلمة، كما في اسم الإشارة "ذلك"، فالزجاج يرى أنّ زيادة اللام فيه للتوكيد؛ "لأنها إذا زيدت أسقطت معها "ها"، نقول: ذلك الحق، وذاك الحق، وها ذاك الحق، ويقبح هذلك الحق؛ لأن اللام قد أكّدت معنى الإشارة"⁴.

6- التوكيد بالقسم: وهو ما أشار إليه الزجاج بقوله: "ومعنى القسم توكيد ما يذكر وتصحيحه"⁵.

1 - سورة العنكبوت: الآية 14.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 123).

3 - المصدر السابق نفس الصفحة.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 68).

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 245).

7- التوكيد بضمير الفصل الذي يسمّيه الكوفيون العماد، وقد أشار الزجاج إلى إفادته

للتوكيد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹ فوجود الضمير "هو" يدلّ على أنّ الخبر

مضمون، وهو بمنزلة "ما" في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْمُخْلَعِينَ﴾².

8- التوكيد بالحال الموطئة: كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحِمَةً وَهَذَا

كَتَبْتُ مُصَدِّقًا لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾³ قال النحاس: "(عربيا) حال، ولسانا توطئه للحال أي توكيد، كما يقال جاعني زيد رجلا صالحا"⁴.

أما التوكيد بالأداة فأمثله التي أشار إليها أصحاب المعاني كثيرة، نذكر منها:

1- التوكيد بإن: فهي كما يقول الزجاج: "تنصب الأسماء وترفع الأخبار، ومعناها في الكلام

التوكيد"⁵ ومن أمثلة إفادتها للتوكيد قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَنُزَوِّدُ عَنْهُ آبَاءَهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾⁶ فقولهم ﴿وَإِنَّا

لَفَاعِلُونَ﴾ توكيد⁷، والتوكيد في الآية مستفاد من جهات: أولها: استعمال "إن"، وثانيها التعبير بالجملة

الاسمية الدالة على الحال تنبيها على تحقق الوقوع⁸، وثالثها: أنّ جملة التذييل مؤكدة لمضمون

الجملة التي قبلها⁹.

1 - سورة البقرة: الآية 5.

2 - سورة آل عمران: الآية 159.

3 - سورة الأحقاف: الآية 12.

4 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 1186).

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 75).

6 - سورة يوسف: الآية 61.

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 95).

8 - انظر: البروسوي، روح البيان (ج4/ 287).

9 - الألوسي، روح المعاني (ج7/ 370).

2- التوكيد بأن: وقد نصّ الزجاج على إفادتها للتوكيد، فقال: "ودخول "أن" إنما هو توكيد

للكلام"¹.

3- التوكيد باللام: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَحْسَبُوهُ مِنْ

أَلْسِنَتِهِمْ﴾² فاللام في قوله ﴿لَفَرِيقًا﴾ تؤكد الكلام زيادة على توكيد "إن"³.

4- التوكيد بالباء: تدخل الباء على خبر إن لإفادة التوكيد، ويختص ذلك بجملة النفي، وقد بين

الزجاج ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فقال:

"دخلت الباء مؤكدة لمعنى النفي، لأنك إذا قلت: "ما زيد أخوك" فلم يسمع السامع "ما" ظن أنك موجب فإذا قلت: "ما زيد بأخيك" علم السامع أنك تنفي"⁴.

وبين الزجاج أن التأكيد بالباء يختص بجملة النفي، فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ يَحْفَظُهُنَّ يَحْفَظُهُنَّ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁵ دخلت

الباء في خبر "أن" بدخول "أو لم" في أول الكلام، ولو قلت: "ظننت أن زيدا بقائم" لم يجز، ولو قلت:

"ما ظننت أن زيدا بقائم" جاز بدخول "ما"⁶.

1 - الزجاج، معاني القرآن، وإعرابه (ج4/ 341).

2 - سورة آل عمران: الآية: 78.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 366).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 82).

5 - سورة الأحقاف: الآية 33.

6 - الزجاج، معاني القرآن، وإعرابه (ج4/ 341).

5- التوكيد بكل وبأجمع: ومن أمثل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾¹ فقد ذكر الزجاج

أن كلمة "كل" قرئت بالنصب والرفع، وأنها على قراءة النصب نفيد التوكيد².

وقد اجتمع التوكيد بكلّ وأجمع في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾³، فقد ذكر الزجاج في تفسيرها قول الخليل وسيبويه أن كلمة ﴿أَجْمَعُونَ﴾ توكيد بعد توكيد، وقول المبرد أنها تدلّ على اجتماعهم في السجود، والمعنى فسجدوا كلهم في حال واحدة، وقال: "وقول سيبويه والخليل أجود، لأن أجمعين معرفة، فلا يكون حالاً"⁴.

وما ذهب إليه الزجاج قواه بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعَرْنِكَ لَاغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁵ ولا يتصور في الآية معنى الاجتماع، وردّ الألوسي على ذلك بالتفريق بين الآيتين، إذ إن كلمة "كلهم" في الحديث عن الملائكة أفادت الإحاطة، فينبغي أن تدلّ كلمة "أجمعون" على الاجتماع وإلا كانت لغوا⁶، وميلي إلى رأي الزجاج؛ إذ مجيء كلمة "أجمعون" بالرفع يُبعد كونها حالاً⁷.

1 - سورة آل عمران: الآية 154.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 403).

3 - سورة الحجر: الآية 30، وسورة ص: الآية 73.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 146).

5 - سورة ص: الآية 82.

6 - الألوسي، روح المعاني (7/ 289).

7 - انظر: السمين، الدر المصون (ج1/ 2765).

6- التوكيد بما: كما في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ﴾¹ فما في قوله ﴿فِيمَا﴾ صلة

لا تمنع الباء من عملها، ومعنى الآية فبرحمة من الله لنت لهم، إلا أن "ما" قد أحدثت بدخولها توكيد المعنى².

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾³ يرى الزجاج

أن التوجيه الأفضل لانتصاب كلمة "بعوضة" أن تكون "ما" زائدة مؤكدة كما في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ﴾⁴، المعنى فبرحمة من الله حقا، فما في التوكيد بمنزلة حق إلا أنه لا إعراب لها ... فمعناها التوكيد⁵.

والرأي نفسه يذكره الزجاج في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا

قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً﴾⁶ فهو يرى أن معنى "ما" الملغاة في العمل توكيد القصة⁷. وذكر الرأي نفسه في

تفسيره للآية الكريمة: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيٍ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ

طَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁸ والمعنى فبنقضهم ميثاقهم حقا، فكما أن حقا لتوكيد الأمر

فكذلك "ما" دخلت للتوكيد⁹.

1 - سورة آل عمران: الآية 159.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/405).

3 - سورة البقرة: الآية 26.

4 - سورة آل عمران: الآية 159.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/97).

6 - سورة المائدة: الآية 13.

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/129).

8 - سورة النساء: الآية 155.

9 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/103) ش.

7- التوكيد بلا: يرى الزجاج أن "لا" في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ

شَيْءٍ﴾¹ تفيد التوكيد مثل "ما" في الآيات المتقدمة².

8- التوكيد بـ"أَمْ": كما في قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنْ أَمْ دَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾³ فما

في الآية للتوكيد؛ ولذا تلزم النونُ الفعلُ بعدها، كما تلزمه بعد لام القسم⁴.

المطلب الرابع: الإنشاء

الإنشاء قسم الخبر، وهو ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، إذ ليس لمدلوله قبل النطق به واقع خارجي يخالفه أو يوافقه. وقد أشار أصحاب المعاني إلى كثير من المباحث المتعلقة بأنواعه، ومن ذلك:

• الاستفهام:

الأصل في الاستفهام أن يكون استخباراً من السائل، ولكنه يخرج عن هذا الأصل ليدلّ على معانٍ مختلفة، وقد أشار سيبويه إلى ذلك، فعقد في بابا سمّاه: باب الواو التي تدخل عليها ألف الاستفهام، ويلوح من كلامه أن الاستفهام قد يدلّ على الإنكار، كقولك: هل وجدت فلاناً عند فلان؟ فيقول: أو هو ممن يكون ثم؟ ثمّ قال: "وتقول: أأنت صاحبنا أو لست أخانا، ومثل ذلك: أما أنت أخانا أو ما أنت صاحبنا، وقوله: ألا تأتينا أو لا تحدثنا، إذا أردت التقرير أو غيره"⁵. وبعد أن نقل

1 - سورة الحديد الآية 29.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/104) ش.

3 - سورة الأعراف: الآية 35.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج6/271).

5 - سيبويه، الكتاب، (ج3/187).

النحاس طرفاً من كلام سيبويه السابق في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَتْلُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾¹ ذكر قول المبرد: "هذا على الاسترشاد أو على الإنكار، وما جاء منه في القرآن فمعناه الإنكار والتقرير ووقوع الشيء"².

وقد وقف أصحاب المعاني عند أسلوب الاستفهام، فبينوا المعاني والأغراض التي يأتي للدلالة عليها، ومن ذلك:

أ- أن يكون بمعنى الإخبار: قد يدل الاستفهام على الإخبار والتقرير كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾³ يقول الفراء: "رفعت ﴿فَتَصْبِحُ﴾ لأن المعنى في ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ معناه خبر كأنك قلت في الكلام: اعلم أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض... ولو جعلته استفهاماً وجعلت الفاء شرطاً لنصبته"⁴.

وهذا المعنى نجده عند الفراء أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾⁵ فقد قال: "معناه: قد أتى على الإنسان حين من الدهر، و"هل" قد تكون جحداً، وتكون خبراً. فهذا من الخبر لأنك قد تقول: فهل وعظمتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنك قد أعطيته ووعظته، والجدد أن تقول: وهل يقدر واحد على مثل هذا؟"⁶. فالفراء أشار إلى نوعين من استفهام، هما التقريري والإنكاري، ومثل على كل منهما.

1 - سورة الزمر: الآية 43.

2 - النحاس (ج1/ 1081).

3 - سورة الحج: الآية 63.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 229).

5 - سورة الإنسان: الآية 1.

6 - الفراء، معاني القرآن، (3/ 213).

ب- أن يكون الاستفهام بمعنى التعجب، وقد أشار الفراء إلى ذلك في تفسيره للآية الكريمة:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي قُوَّةٍ يَعْدِلُونَ﴾¹ فهو يرى أن قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي قُوَّةٍ يَعْدِلُونَ﴾ يراد منه التعجب، ويسوق على ذلك شواهد من العربية فيقول: "والعرب تقول: أثعلبا وثغر كأنهم أرادوا: أترى أثعلبا وثغر.... وسمعت بعض العرب يقول لأسير أسره ليلا، فلما أصبح رآه أسود، فقال أعبدا سائر الليلة، كأنه قال: ألا أراني أسرت عبدا منذ ليلتي.... فهذا في كل تعجب خاطبوا صاحبه².

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾³ يقول الفراء: "إن شئت جعلت ﴿ماذا﴾ استفهاما محضا على جهة التعجب كقوله: ويلهم ماذا أرادوا باستعجال العذاب؟! وإن شئت عظمت أمر العذاب فقلت: بماذا استعجلوا"⁴.

وما ذهب إليه الفراء ذهب إلى قريب منه المفسرون بعده، فالزمخشري يقول في تفسير الآية: "والمعنى: أن العذاب كله مكروه مرّ المذاق موجب للنفار، فأى شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال. ويجوز أن يكون معناه التعجب، كأنه قيل: أي هول شديد يستعجلون به"⁵.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁶ يقول الزجاج: "وتأويل كيف أنها، استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب إنما هو للخلق وللمؤمنين، أي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم"⁷.

1 - سورة النمل: الآية 60.

2 - الفراء، معاني القرآن، (292/2-293).

3 - سورة يونس: الآية 50.

4 - الفراء، معاني القرآن (467/1).

5 - الزمخشري، الكشاف، (351/2) بتصرف.

6 - سورة البقرة: الآية 28.

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/100).

وقد تصلح "ما" أن تكون استفهامية أو تعجيبة، ويكون المعنى في الحالتين مفيدا للتعجب كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾¹ فقد قال الأخفش في تفسيرها: "زعم بعضهم أنه تعجب منهم، كما قال ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾"² تعجبا من كفره، وقال بعضهم ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ أي: ما أصبرهم، وما الذي أصبرهم"³. والوجهان حكاهما الفراء فقال: "فيه وجهان: أحدهما معناه: فما الذي صبرهم على النار؟ والوجه الآخر: فما أجرأهم على النار! قال الكسائي: سألتني قاضي اليمن وهو بمكة، فقال: اختصم إلى رجلان من العرب، فحلف أحدهما على حق صاحبه، فقال له: ما أصبرك على الله! وفي هذه أن يراد بها: ما أصبرك على عذاب الله، ثم تلقى العذاب فيكون كلاما كما تقول: ما أشبه سخاءك بحاتم"⁴.

وقد ذكر الزمخشري الرأيين في تفسير الآية ببيان أوضح فقال: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم، كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان: ما أصبرك على القيد والسجن، تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب. وقيل: فما أصبرهم، فأى شيء صبرهم، يقال: أصبره على كذا وصبره بمعنى"⁵.

1 - سورة البقرة: الآية 175.

2 - سورة عبس: الآية 17.

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/166).

4 - الفراء، معاني القرآن (ج1/103)، والوجهان المذكوران عند الطبري، ورجح أن المراد هو التعجب، وجاء بكلام قريب من الذي ذكره الفراء، انظر: جامع البيان (ج3/331-334).

5 - الزمخشري، الكشاف (ج1/216).

وقد ذهب الزجاج في تفسيره للآية الكريمة: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْمَرَهُ﴾¹ أن معناها يحتمل أن يكون على جهة التعجب، ويكون التعجب مما يؤمر به آدميون ... أي اعجبوا أنتم من كفر الإنسان، ويجوز على معنى التوبيخ ولفظه لفظ الاستفهام².

فالآية الكريمة على التفسير الثاني الذي ذكره الزجاج تكون مثالا على إفادة الاستفهام للتعجب.

وفي قول الزجاج: "أي أعجبوا أنتم من كفر الإنسان" إشارة إلى ملحظ عقدي، وهو أن التعجب من أمرهم إنما هو في حق الناس، أما الله سبحانه فلا يتصور منه حقيقة التعجب لأن علمه سبحانه أحاط بكل شيء، ولعل عبارة الإمام الطبري في تفسيره للآية تشير إلى المعنى نفسه، فقد قال: "وإنما يُعَجَّبُ الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتُمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته"³. وهذا المعنى بيّنه النحاس بعبارة واضحة فقال: "ومعنى التعجب في اللغة أن يُنكر الشيء ويُقَلَّ، فيتعجب منه، فالله جل وعز العالم بالأمور وبما يكون، ولكن لا يقع التعجب إلا بعد الكون، فهو منه جل وعلا خالفه من الآدميين، لأنه قد علمه قبل وبعد"⁴.

وقد رأى الفراء في تفسيره للآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِ﴾⁵ أن حرف الجر "إلى" يدل على التعجب، فقال: "وإدخال العرب (إلى) في هذا الموضع على جهة التعجب كما تقول للرجل: أما ترى إلى هذا! والمعنى - والله أعلم -: هل رأيت مثل هذا أو رأيت هكذا!"⁶.

1 - سورة عبس: الآية 17.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/229) والوجهان ذكرهما الأخفش في معاني القرآن (ج2/567).

3 - الطبري، جامع البيان (ج3/333).

4 - النحاس، معاني القرآن (ج2/1027-1028).

5 - سورة البقرة: الآية 258.

6 - الفراء، معاني القرآن (ج1/170).

وجمهور المفسرين يوافقون الفراء على أن الآية الكريمة تدلّ على التعجّب، ولكنهم يذهبون إلى أن التعجّب مستفاد من جملة الاستفهام (ألم تر إلى) لا من دلالة حرف الجرّ إلى، فالزجاج يقول: "هذه كلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه، ولفظها لفظ استفهام، تقول في الكلام: ألم تر إلى فلان صنع كذا وصنع كذا"¹. والإمام النحاس يقول: "وهذه ألف التوقيف وفي الكلام معنى التعجب"².

والماتريدي يقول في تفسيره للآية: "قوله تعالى: (ألم تر) إنما يفتتح به لأعجوبة، كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾"³، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ﴾"⁴ ⁵. وقال الزمخشري: "ألم تر تعجب من محاجة نمروذ في الله وكفره به"⁶. وقال الألوسي: "والجمهور على أن في الكلام معنى التعجب، أي اعجبوا له"⁷.

ج- التوبيخ: كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِيْنٌ﴾⁸ فقد رأى كل من الفراء والنحاس أن الاستفهام في الآية يدلّ على التوبيخ، فالاستفهام فيه توبيخ لهم. وقد تُطرح ألف الاستفهام من التوبيخ، كما في قوله تعالى: ﴿أَذٰهَبَتْكُمْ طٰيِبٰتِكُمْ فِي حَيٰٰتِكُمْ﴾⁹ والمعنى واحد¹⁰.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 290).

2 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 97).

3 - سورة الفرقان: الآية 45.

4 - سورة الفيل: الآية 1.

5 - الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج2/ 242).

6 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 305).

7 - الألوسي، روح المعاني (م2/ ج3/ 275).

8 - سورة الصافات: الآية 156.

9 - سورة الأحقاف: الآية 20.

10 - انظر: الفراء، معاني القرآن، (2/ 394).

وفي تفسير الزجاج لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَّلُوا

كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾¹ يسمي الهمزة "ألف التوبيخ"، وهي همزة استفهام².

ويكرر عند أصحاب المعاني الإشارة إلى أن الاستفهام يُراد به التوبيخ، كما في قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾³ فالزجاج يقول: "(كيف) لفظها لفظ

الاستفهام، ومعناها معنى التوبيخ"⁴، والنحاس يرى أن الآية فيها "حذف لعلم السامع، والمعنى كيف

تكون حالهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وفي الكلام معنى التوبيخ"⁵. وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ

الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾⁶ يرى كل من الزجاج والنحاس أن السؤال

لِلرُّسُلِ ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ جاء على جهة التوبيخ للذين أرسلوا إليهم وكذبوهم، فالسؤال في الآية من

جنس سؤال المؤودة بأي ذنب قتلت، والمراد توبيخ قاتليها⁷. وقريب من هذا ما يراه الزجاج في

تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾⁸

"فالمسألة هنا على وجه التوبيخ للذين ادَّعَوْا عليه، لأنهم مجمعون أنه صادق الخبر، وأنه لا يكذبهم

... فذلك أوكد في الحجة عليهم وأبلغ في توبيخهم، والتوبيخ ضرب من العقوبة"⁹.

1 - سورة البقرة: الآية 170.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 210).

3 - سورة النساء: الآية 41.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 43).

5 - النحاس، معاني القرآن، (1/ 212).

6 - سورة المائدة: الآية 109.

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 176)، والنحاس، معاني القرآن (ج1/ 314).

8 - سورة المائدة: الآية 116.

9 - الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، (ج1/ 180).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ إِنْ رَّبُّكَ أَلَبَّتْ وَلَهُمْ أَلَبْتُ﴾¹ يرى النحاس أن المراد:

"اسألهم سؤال توبيخ"².

وكون الاستفهام مراداً به التوبيخ له أثره عند النحاس في تفسير بعض آي القرآن الكريم

وتوجيه تركيبها اللغوي، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا

مُتْرَفِينَ﴾³ فقد ذكر أن الآية قرئت على وجهين: بفتح همزة إن وبكسر ها، "والكسر عند قوم من

أهل اللغة لحن، منهم أبو حاتم، وإنما صار عندهم لحناً لأنهم إنما وبخوا على شيء قد ثبت وكان،

فهذا موضع أن مفتوحة"، وهو عند الخليل وسيبويه والكسائي والقراء جيد، لأن الآية بمعنى الحال

إذا كان في الكلام معنى التوبيخ والتقرير، أي أهذه حالك؟"⁴.

وقد يجتمع في الاستفهام الواحد أن يُراد به مع التوبيخ غرض بلاغي آخر، كما في الآية

الكريمة: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ نَدْعُوهُ نَضْرِبُكُمْ خُفْيَةً لَنْ أُنَجِّيَنَّ مِنْ هَٰذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾⁵ فقد

اجتمع فيها التوبيخ والتقرير، وقد بين ذلك الزجاج بقوله: "أمر الله عز وجل أن يسألهم على جهة

التوبيخ لهم والتقرير بأنه ينجيهم ثم هم يشركون معه الأصنام التي علموا أنها من صنعهم، أنها لا

تنفع ولا تضر، وأنه قادر على تعذيبهم"⁶.

1 - سورة الصافات: الآية 149.

2 - النحاس، معاني القرآن، (ج2/ 1040).

3 - الزخرف: الآية 5.

4 - النحاس، معاني القرآن، (ج1/ 1141).

5 - سورة الأنعام: الآية 63.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 209).

ومن الأمثلة أيضا على اجتماع التوبيخ والتقرير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ

لَتَأْتُونَ الْفَلَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ

السَّيْلَ¹ فالنحاس يرى أن الاستفهام في الآية يُراد به التوبيخ والتقرير معا².

وكما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ³ فقد ذهب الفراء إلى أنه يراد به التعجب والتوبيخ معا، أي: ويحكم كيف تكفرون!⁴

وما ذهب إليه الفراء وافقه عليه كثير من العلماء بعده، فالزمخشري يرى أن الاستفهام في

الآية يدل على الإنكار والتعجب. ونظيره قولك: أظنير بغير جناح؟ فكان الآية أخرجت الكفر في

صورة المستحيل مع ما ذكر من الإمامة والإحياء لقوة الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان،

فالاستفهام لإنكار الفعل والإيدان باستحالته في نفسه ولقوة الصارف عنه⁵.

فالسكاكي يرى أن معنى الآية: كيف تكفرون بالله وأنتم تعلمون أنكم كنتم أمواتا فصرتم

أحياء؟ وكيف يكفر العاقل بعد علمه بأن له خالقا قادرا عالما سميعا بصيرا يُعاقب من كفر به؟

فالكفر أبعد شيء عن العاقل، ووجوده منه مظنة تعجب وتعجيب وإنكار وتوبيخ، فصح أن يكون

قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ تعجبا وتعجيبا وإنكارا وتوبيخا⁶.

1 - سورة العنكبوت: الآيتان 28-29.

2 - النحاس، معاني القرآن، (ج2/ 913).

3 - سورة البقرة: الآية 28.

4 - الفراء، معاني القرآن، (1/ 23).

5 - الزمخشري، الكشاف، (1/ 121).

6 - انظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط2/ 1987، (ص: 314).

وإلى قريب من هذا ذهب القزويني في الإيضاح، إذ يرى أن الآية يُراد بها التوبيخ والتعجب جميعاً، أما التوبيخ فلأن كفر الإنسان ينبيء عن الانهماك في الغفلة أو الجهل، وأما التعجب فلأن أدلة قدرة الله سبحانه تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالخالق، وعلمه به يأبى أن يكفر، وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب¹.

ومن الأمثلة أيضاً على الاستفهام الذي يُراد به التعجب والتوبيخ معاً قوله تعالى: ﴿أَتُخَذَتِ لَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ ذَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصِيرَةُ﴾² فقد قال الفراء في تفسيره للآية: "قرأ أصحاب عبد الله بغير استفهام، واستفهام الحسن وعاصم وأهل المدينة، وهو من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ"³.

وقد يجتمع مع قصد التوبيخ التحضيض كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةٌ﴾⁴ فالزجاج يقول في تفسيرها: "هذا على وجه التوبيخ، ومعناه الحض على قتالهم"⁵.

ومن الواضح أن حمل الاستفهام على أحد المعاني السابقة يُنظر فيه إلى السياق وإلى الاعتبار العقديّة والشرعيّة، ولا يجوز حمله على نحو يتعارض مع شيء منها، ولذا يوضح الزجاج أنه لا يجوز حمل استفهام الملائكة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

1 - القزويني، الإيضاح (ص: 141).

2 - سورة ص: الآية 63.

3 - الفراء، معاني القرآن (411/2).

4 - سورة التوبة: الآية 13.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/436).

الذِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ¹ "على جهة الاستعلاء وجهة الحكمة، لا على الإنكار، فكانهم قالوا يا الله: إن كان هذا ظننا فعرّفنا وجه الحق فيه"².

الأمر:

يأتي الأمر ليدلّ على معان مختلفة، منها:

- الإباحة: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾³ فقد قال الزجاج في تفسيرها: "هذا اللفظ أمر ومعناه الإباحة، لأنّ الله عز وجل حرم الصيد على المحرم، وأباحه له إذا حل من إحرامه، ليس أنه واجب عليه إذا حل أن يصطاد، ومثله قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾⁴ تأويله أنه أبيع لكم بعد الفراغ من الصلاة، ومثل ذلك في الكلام: "لا تدخلن هذه الدار حتى تودي ثمنها، فإذا أديت فادخلها"، تأويله فإذا أديت فقد أبيع لك دخولها"⁵.

- الإخبار: ومن أمثلة ذلك ما أشار إليه الفراء والزجاج في تفسير الآية الكريمة: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمُ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾⁶ فالفراء يرى أنّ قوله (أنفقوا) أمر في اللفظ وليس بأمر في المعنى لأنه أخبرهم أنه لن يتقبل منهم، وهو في الكلام بمنزلة "إن" في الجزاء كأنك قلت: إن أنفقت طوعاً أو كرها فليس بمقبول منك. ومثله ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾⁷ ليس بأمر،

1 - سورة البقرة: الآية 30.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 109) ش.

3 - سورة المائدة: الآية 2.

4 - سورة الجمعة: الآية 10.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 115).

6 - سورة التوبة: الآية 53.

7 - سورة التوبة: الآية 80.

إنما هو على تأويل الجزاء¹. وكذلك الزجاج يرى أن الفعل (أنفقوا) لفظه أمر ومعناه الشرط والجزاء، والمعنى: أنفقوا طائعين أو مكرهين فلن يُتقبل منكم، ويقول: " فإن قال قائل كيف كان الخبر في معنى الأمر؟ قلنا هو كقولك: غفر الله لزيد، ورحم الله زيدا، فمعناه: اللهم ارحم زيدا"².

• التهديد: كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾³ فقد قال الزجاج في تفسير قوله تعالى ﴿وَلْيَقْتَرِفُوا﴾: اللام لام أمر ومعناه معنى التهديد والوعيد، كما تقول افعل ما شئت، فلفظه لفظ الأمر ومعناه معنى التهديد⁴.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَقَوَّمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾⁵ يبين الزجاج أن الأمر في الآية معناه المبالغة في الوعيد، لأنه سبحانه أخبرهم أن من عمل بعملهم فالنار مصيره، ومعنى الآية: أقيموا على ما أنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار⁶.

وهذا قريب مما ذهب إليه النحاس في تفسير لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾⁷ فسرّها النحاس بأنها تهديد ووعيد بدليل أنه جاء بعدها ﴿وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^{8,9}.

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/441).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/365-366).

3 - سورة الأنعام: الآية 113.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/230).

5 - سورة الأنعام: الآية 135.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/238).

7 سورة هود: الآية 121.

8 - سورة هود: الآيتان 122-123.

9 - النحاس، معاني القرآن (ج1/525).

المبحث الثالث

الذكر والحذف

الحذف من أساليب العربية الرفيعة، وصفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "هوباب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين"¹.

ويقول ابن سنان: "ومن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس"².

ونجد عند علماء العربية المتقدمين إشارات إلى أسلوب الحذف، منها ما ينسبه سيبويه إلى الخليل حول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْمَذَابَ﴾³ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ﴾⁴ من أن "العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام"⁵. ويتكرر عند سيبويه الإشارة إلى أسلوب الحذف، ومن ذلك قوله: "وإنما أضمرنا ما كان يقع مظهرها استخفافاً، ولأن المخاطب يعلم ما يعنى فجرى بمنزلة المثل، كما تقول لا عليك، وقد عرف المخاطب ما تعنى أنه لا بأس عليك ولا ضرر عليك، ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم ... فهذا جائز في كل فعل لأنك إنما أضمرت بعد ما ذكرت مظهرها، والأول محذوف منه لفظ

1 - الجرجاني، دلائل الإعجاز ص: 146.

2 - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة (205/1).

3 - سورة البقرة: الآية 165.

4 - سورة الأنعام: الآية 27.

5 - الكتاب 103/3 .

المظهر وأضمرُوا استخفافاً¹. وهو يرى أن قولك: "أقاعدا وقد سار الركب"، إذا رأيت رجلاً في حال قعود فأردت أن تنبيهه فكأنما لفظت: أتقعد قاعداً، ولكنك حذفْتَ استغناءً بما ترى من الحال². وهو يقول عن العرب: "يُحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً"³.

ومن الذين يتكرّر في كلامهم الإشارة إلى أسلوب الحذف أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن، ومن أمثلة ذلك قوله: "ومن مجاز ما حذف وفيه مضمّر، قال ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾⁴ فهذا محذوف فيه ضمير مجازه: وسل أهل القرية، ومن في العير، ومن مجاز ما كفّ عن خبره استغناءً عنه وفيه ضمير قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾⁵، ثم كفّ عن خبره"⁶.

ويقول في تفسير الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلِّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾⁷ "مجازه مجاز المكفوف عن خبره ... فمجازه: لو سيّرت به الجبال لسارت، أو قطعت به الأرض لتقطعت، ولو كلم به الموتى لنشّرت، والعرب قد تفعل مثل هذا لعلم المستمع به استغناءً عنه واستخفافاً في كلامهم"⁸.

-
- 1 - المصدر السابق 224/1.
 - 2 - المصدر السابق 340 / 1.
 - 3 - المصدر السابق 25/1.
 - 4 - سورة يوسف: الآية 82.
 - 5 - سورة الزمر: الآية 73.
 - 6 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج 1/10).
 - 7 - سورة الرعد: الآية 31.
 - 8 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج 1/331).

تعريف الحذف:

والحذف لغة يدلّ على معانٍ منها القطع من الطرف ومنه حذفت ذنب الدابة، ومنها الرمي

عن جانب كقولنا حذفت الأرنب بالعصا إذا رميته بها¹.

أما في الاصطلاح فعرفه الرماني بأنّه "إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها"²، وعرفه

الزركشي في البرهان بقوله: "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"³، وعرفه ابن الأثير: "ما يحذف منه

المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه"⁴.

وهذه التعريفات تكشف عن أنّ الحذف لا يكون إلا مع دليل يدلّ على المحذوف، وفي ذلك

يقول الزجاج: "وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر أو دليل ذكر بمنزلة الذكر"⁵.

والدليل على المحذوف يمكن أن يكون معنويًا، يستلزمه انسجام معنى الكلام، ويمكن أن يكون لفظيًا

كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّه تَفْتَوًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾⁶

فالفراء يقدر "لا" محذوفة قبل الفعل "تفتأ"، إذ لو كان الجواب مثبتًا لدخلت عليه اللام والنون وفق

القاعدة النحويّة.

1 - انظر: الجوهري، الصحاح 1341/4، وابن دريد، جمهرة اللغة (ج2/128)، والزمخشري، أساس البلاغة ص: 176.

2 - الرماني، أبو حسن علي بن عيسى، كتاب الحدود في النحو، ضمن كتاب: رسالتان في اللغة، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ط1/1984، ص: 70.

3 - الزركشي، البرهان (ج3/102).

4 - ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1/1995، (ج2/74).

5 - الزجاج، معاني القرآن (ج4/248).

6 - سورة يوسف: الآية 85.

وقد تحتل الآية الكريمة وجوها مختلفة في تقدير محذوف، ويكون لكل وجه من الوجوه دليل

يدل عليه في الآية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَمِنْ زَيْنٍ لَهُ سَوْءٌ عَمَلِهِ فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ

وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾¹ فقد ذهب الزجاج إلى أن الآية

تحتل أن يكون معناها: أؤمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، ويكون قوله

تعالى: ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ دليلاً على المحذوف. ويجوز أن يكون التقدير: أؤمن زين له

سوء عمله كمن هداه الله، ويكون الدليل على المحذوف قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ﴾².

وكذلك قوله تعالى ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءَ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ

وَرَرَّغُبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾³ فقد ذكر النحاس وجهين في تفسيرها، أولهما: أن يكون الحرف المحذوف

"عن"، وهذا قول عائشة أن الآية في المرأة تكون في حجر الرجل، وتكون كثيرة المال، ولا يرغب

في نكاحها، ولا يحب أن تتكح غيره حتى لا يأخذ مالها. والثاني: أن يكون حرف الجر المحذوف

"في"، وهذا على قول سعيد ومجاهد أن الآية في المرأة التي تكون كثيرة المال، ويرغب في

نكاحها⁴.

ولا بد في تقدير المحذوف أن يكون منسجماً مع الدليل على الحذف، وإلا كان التقدير محل

اعتراض، ومن هنا اعترض بعض العلماء على الفراء في تفسيره للآية الكريمة: ﴿أَنْجَسُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ

1 - سورة فاطر: الآية 8.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 199).

3 - سورة النساء: الآية 127.

4 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 248).

يَجْمَعُ عِظَامَهُ، ﴿٢﴾ بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ،¹ فقد جَوَزَ أن تكون كلمة "قادرين" منصوبة على تقدير الفعل "حسب" قبلها، أو أن يكون المعنى: بل نجمع قادرين، وهذا من باب قول القائل: "أتحسب أن لن أضربك؟ بلى قادرا على قتلك، كأنه قال: بلى أضربك قادرا على أكثر من ضربك"².

وقد اعترض ابن هشام على الوجه الأول بأنّ تقدير "حسب" فيه بمعنى الظنّ، والتردد في أمر المعاد كفر، ولذا رجّح الوجه الثاني وهو أنّ كلمة "قادرين" حال أي نجمعها قادرين، وإن كان يمكن حمل الحساب على الاعتقاد والجزم³.

صلة الحذف بالإيجاز:

الحذف ضرب من ضروب الإيجاز، فالإيجاز يوضّحه الباقلاني بأنه "اللفظ القليل الشامل لأمر كثيرة"⁴، ويعرفه العلوي بأنه اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل⁵، وعليه يكون الإيجاز أعمّ من الحذف، لأنّ الإيجاز يتحقق بصورتين: أولهما: حذف الكلمة أو الجملة لوجود ما يدلّ على المحذوف، وثانيهما: العبارة القصيرة الجامعة للمعاني الكثيرة، وعلى ذلك يكون الإيجاز نوعين، أولهما إيجاز الحذف، والثاني يسمى بإيجاز القصر⁶. وهذا ما عبّر عنه السيوطي بقوله: الإيجاز قسمان: وجيز بلفظ ووجيز بحذف⁷.

1 - سورة القيامة: الآيتان 3-4.

2 - الفراء، معاني القرآن 1/171.

3 - ابن هشام، مغني اللبيب (ج1/ 791)، وانظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/ 198).

4 - الباقلاني، إعجاز القرآن ص: 262.

5 - العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1/ 2003، (ج2/ 49).

6 - انظر: الرماني، أبو حسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز حققها:

محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت. ص: 76؛ وابن الأثير، المثل

السائر (ج2/ 74).

7 - الزركشي، البرهان (ج3/ 220).

كما يتصل الحذف بالإيجاز، فكَذلك يتصل بالمجاز، فالجمهور من العلماء يرون أنَّ حذف المضاف من باب المجاز كما في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾¹ والمراد أهل القرية، وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَتِيلٌ وَالنَّهَارِ﴾² والمعنى مكرهم في الليل والنهار، وذهب الجويني إلى أنَّ هذا ليس من المجاز، وإنما المجاز لفظة تُستعار لغير ما هي له، وردَّ عليه ابن عطية بأنَّ حذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه، وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر.³

ويرى عبد القاهر أنَّ الحذف يكون مجازاً إذا تغيّر بسببه حكم الكلمة، كما في حذف المضاف، إذ يكتسي عندها المضاف إليه إعراب المضاف، كما في الآية ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾⁴ إذ انتقل حكم كلمة "القرية" من الجر إلى الرفع، أما الحذف الذي لا يتغير به حكم، كقولك زيد منطلق وعمرو بحذف الخبر، فلا يكون مجازاً إذ لم يتغير حكم ما بقي من الكلام.⁵

وقد حقّق الزركشي في البرهان المسألة تحقيقاً حسناً، فبيّن أنه إن أُريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له، فالحذف ليس مجازاً، وإن أُريد به ما يشمل المجاز في الإسناد، وهو المجاز العقلي، فالحذف يمتزج به.⁶

1 - سورة يوسف: الآية 82.

2 - سورة سبأ: الآية 33.

3 - انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (3 / 271)، والزركشي، البرهان (ج 3 / 103).

4 - سورة يوسف: الآية 82.

5 - انظر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص: 333-334.

6 - انظر: الزركشي، البرهان (ج 3 / 104).

والصلة بين الحذف والمجاز نلمحها في عبارات أصحاب المعاني، ومن ذلك ما نجده عند

الفراء في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِحُرَّتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾¹

فقد قال الفراء: "ربما قال القائل: كيف تربح التجارة وإنما يربح الرجل التاجر؟ وذلك من كلام

العرب: ربح بيعك وخسر بيعك، فحسن القول بذلك لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة،

فَعَلِمَ معناه، ومثله من كلام العرب: هذا ليل نائم، ومثله من كتاب الله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾² وإنما

العزيمة للرجال"³.

فكلام الفراء السابق يوضح ما يسميه علماء البلاغة بالمجاز العقلي، ثم قال: "ولا يجوز

الضمير إلا في مثل هذا، فلو قال قائل: قد خسر عبدك لم يجر ذلك - إن كنت تريد أن تجعل العبد

تجارة يربح فيه أو يوضع - لأنه قد يكون العبد تاجراً فيربح أو يوضع، فلا يعلم معناه إذا ربح هو

من معناه إذا كان متجوزاً فيه، فلو قال قائل: قد ربحت دراهمك ودنانيرك، وخسر برك ورقيقك كان

جائزاً لدلالة بعضه على بعض"⁴.

ومن الواضح أنّ الفراء ربط بين المجاز العقلي، وبين الإضمار والحذف الذي يدلّ الدليل

على تقديره، ولا يجوز الحذف إلا حيث لا يقع اللبس والإبهام، ولذلك جاز عنده أن تقول: ربحت

دراهمك على تقدير: ربحت تجارتك فيها، ولا يجوز أن تقول: ربح عبدك، وأنت تريد أنه لم يربح

هو، وإنما ربحت تجارتك فيه، لأنّ هذه العبارة فيها لبس وإبهام، إذ تحتمل أن يكون العبد تاجر

بإذن سيده وربح، أو كان هو محلاً لتجارة رابحة.

1 - سورة البقرة: الآية 16.

2 - سورة محمد: الآية 21.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج 1/ 14).

4 - المصدر السابق ص: 15.

ويقول الزجاج في تفسيره للآية نفسها من سورة البقرة: " معناه فما ربحوا في تجارتهم، لأن التجارة لا تربح وإنما يربح فيها، ويوضع فيها، والعرب تقول قد خسر بيعك وربحت تجارتك، يريدون بذلك الاختصار وسعة الكلام ... وقال الله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ﴾¹ والليل والنهار لا يمكران، إنما معناه بل مكرهم في الليل والنهار"².

قواعد في الحذف:

لا بدّ عند دراسة موضوع الحذف من ملاحظة القواعد الآتية:

أولاً: الحذف لا يكون إلا مع دليل يدلّ على المحذوف، وفي ذلك يقول الزجاج: " وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر أو دليل ذكر بمنزلة الذكر"³.

ويقول الفراء: " وإنما يحسن الإضمار في الكلام الذي يجتمع ويدلّ أوله على آخره كقولك: قد أصاب فلان المال، فبنى الدور والعبيد والإماء واللباس الحسن فقد ترى البناء لا يقع على العبيد والإماء ولا على الدواب ولا على الثياب، ولكنه من صفات اليسار فحسن الإضمار لما عرف"⁴.

ثمّ قال: " وأما ما لا يحسن فيه الضمير لقلة اجتماعه، فقولك: قد أعتقت مباركا أمس وآخر اليوم يا هذا وأنت تريد: واشتريت آخر اليوم لأن هذا مختلف لا يعرف أنك أردت ابتعت. ولا يجوز أن نقول: ضربت فلانا وفلانا وأنت تريد بالآخر: وقتلت فلانا لأنه ليس هاهنا دليل"⁵.

1 - سورة سبأ: الآية 33.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 192).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 248).

4 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 13).

5 - المصدر السابق (ج1/ 14).

ومثل على الحذف الحسن بقوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ

وَأَبَارِقٍ ﴿١٨﴾ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٩﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ﴿٢٠﴾ وَفَكَهَمُوا مِمَّا انتَحَرْتُمْ ﴿٢١﴾ وَلِحَرِطِيزٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢٢﴾ وَحُورٌ

عِينٌ¹ فقد قرأ بعض القراء كلمة "حور" بالرفع وبعضهم بالجر²، ومن رفع فحجته أن الحور لا يطاف بهن، فرفعوا على معنى قولهم: وعندهم حور عين، أو مع ذلك حور عين، ومن قرأ بالجر قال: "الفاكهة واللحم لا يطاف بهما أيضا، وإنما يطاف بالخمر وحدها، ثم أتبع آخر الكلام أوله. وهو كثير في كلام العرب وأشعارهم، ثم قال الفراء: "ففي هذين الوجهين³ ما تعرف به ما ورد عليك إن شاء الله"⁴.

فالفراء لا يرى الحذف حسنا إلا مع وجود دليل يدلّ عليه، وهو ما صرح به ابن جني بقوله: "وقد حذف العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل يدلّ عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"⁵.

فالحذف يكون عند وجود دليل يشير إلى المحذوف، وقد أوضح الأخفش ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾⁶ فهو يقول: "أراد" وَلَا تَحْسَبَنَّ الْبُخْلَ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ" فاللقى الاسم الذي أوقع عليه الحسابان وهو "البخل"، لأنه قد ذكر الحسابان وذكر ما آتاهم الله من فضله فأضمرهما إذا ذكرهما. وقد جاء من الحذف ما هو أشد من

1 - سورة الواقعة: الآيات 17-22.

2 - قرأ حمزة والكسائي (وحور عين) بكسر الراء والنون، وقرأ بقية السبعة بضمهما، انظر: القاضي، الوافي شرح الشاطبية (ج 1/ 367)، والمعصراوي، الكامل المفصل ص: 535.

3 - يقصد: ما يحسن فيه الحذف وما لا يحسن.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج 1/ 14).

5 - ابن جني، الخصائص، 360/2.

6 - سورة آل عمران: الآية 180.

ذًا، قال الله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾¹ ولم يقل "وَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ" لأنه لما قال ﴿أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ﴾ كان فيه دليل على أنه قد عناهم².

ويتكرر في كتب معاني القرآن تعليل الحذف بأن في الكلام دليلا عليها، أو بأن المذكور يدل على المحذوف ويكفي عنه، ومن أمثلة ذلك ما جاء عند الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾³ فقد ذكر وجهها في تفسيرها: أن يكون المصدر من أن والفعل المضارع "تبرّوا" في محل رفع مبتدأ، وأن يكون الخبر محذوفا تقديره: أولى، قال: "ويجوز أن يكون موضع "أن" رفعا، فيكون المعنى: "ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم، أن تبرّوا وتتقوا وتصلحوا أولى، أي البر والتقوى أولى، ويكون أولى محذوفا كما جاء حذف أشياء في القرآن؛ لأن في الكلام دليلا عليها"⁴.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾⁵ يفسرها الزجاج: تؤتي الملك من تشاء أن تؤتيه، وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه، ويقول: "إلا أنه حذف لأن في الكلام ما يدل عليه"⁶.

-
- 1 - سورة الحديد: الآية 10.
 - 2 - الأخفش، معاني القرآن (ج 1/ 181).
 - 3 - سورة البقرة: الآية 224.
 - 4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 257).
 - 5 - سورة آل عمران: الآية 26.
 - 6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 335).

وقد يكون دليل الحذف ذكر مقابل المحذوف الذي لا يكون إلا معه، وقد بين الفراء ذلك في

تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾¹ قال: "فكنى عن هي،

وهي للأيمان ولم تذكر، وذلك أن الغل لا يكون إلا باليمين، والعنق، جامعا لليمين، والعنق، فيكنى

ذكر أحدهما من صاحبه، كما قال ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾² فضم الورثة إلى

الوصي ولم يذكرها؛ لأن الصلح إنما يقع بين الوصي والورثة³.

ثانيا: الحذف خلاف الأصل، فإذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى

لأن الأصل عدم التغيير، وإذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته كان الحمل على قلته أولى⁴.

وتطبيق القواعد السابقة نجده عند الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ

فَاتِيحُهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁵ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم

لنفيل⁶ فالآية الكريمة قام الدليل على لزوم تقدير محذوف فيها، إذ لا بد من ذلك لانسجام

المعنى، إذ معنى الآية الكريمة أن الله سبحانه أنزل القرآن لتقوم الحجة على الناس، "لأن الكتب التي

أنزلت قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - قد كانت فيها الحجة، ولم يكن الله عز وجل: ليترك خلقه

سدى بغير حجة، ولكن في تنزيل الكتاب والنبي - صلى الله عليه وسلم - غاية الحجة، والزيادة في

الإبانة⁶.

1- سورة يس: الآية 8.

2- سورة البقرة: الآية 182.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 372).

4 - انظر: الزركشي، البرهان (ج3/ 104).

5 سورة الأنعام: الآيتان 155-156.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج/ 248).

ولو فهمنا الآية دون تقدير محذوف فيها، لأوهم ذلك معنى فاسداً، وهو أن إنزال القرآن يفتح المجال للناس أن يقولوا إن الكتب أنزلت على الأقوام السابقة، ولا تقوم بها الحجة عليهم لأنهم غافلون عنها، وهذا عكس المراد من الآية، فهي تقرّر أن إنزال القرآن الكريم يُراد به إقامة الحجة على الناس حتى لا يكون لكافر عذر.

ولذا فقد اتفقت المدرستان البصريّة والكوفيّة على تقدير محذوف في الآية، إذ إن ذلك لا بدّ منه لانسجام المعنى، غير أن المدرستين مختلفتان في المقدّر، فالكوفيون يقدرون "لا" محذوفة، والبصريون يقولون إن المحذوف مضاف تقديره كراهة أو خوف، والمعنى: أنزلناه كراهة أن تقولوا، ولا يجيزون إضمار "لا" ... ولكن يجوز فعلت ذلك أن أكرمك، على إضمار محبة أن أكرمك، وكراهة أن أكرمك، وتكون الحال تنبئ عن الضمير¹.

فالتزاج كأنما يلمح إلى أن الجملة احتملت تقدير اسم محذوف أو تقدير حذف حرف من حروف المعاني، فتقدير حذف الاسم أولى؛ لأنّ حرف المعنى أساس في دلالة العبارة، وهو ما صرّح به ابن هشام بقوله: "رأوا أن إضمار الاسم أسهل من إضمار حرف المعنى"².

أسباب الحذف وفوائده:

- 1- طلب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل.
- 2- التفضيل والتعظيم لما فيه من الإبهام، وقد بيّن ابن سنان ذلك، فذكر الحذف في قوله سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ

1 - المرجع السابق نفس الصفحة.

2 - ابن هشام، مغني اللبيب (ج1/ 562).

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ¹ إذ حذف جواب الشرط، ومعنى الآية: لما كان هذا كله حصلوا على النعيم الذي لا يشوبه كدر، "وفي هذا الحذف في الكلام مع الدلالة على المراد فائدة، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ورد ظاهرا في الكلام لاقتصر به على البيان الذي تضمنه، فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلة"².

وقد وضع الزجاج هذا المعنى، فهو يقول: "إن جواب لو إنما يترك لعظيم الموصوف"³، وعلى ذلك وجه القراءة بكسر همزة إن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾⁴، وقال في بيان ذلك: " ويجوز أن تكون " إن " مكسورة مستأنفة⁵، فيكون جواب ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ﴾ ﴿لَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا لَا تَبْلُغُ صِفَتَهُ؛ لَأَن جَوَابَ لَوْ إِنَّمَا يَتْرَكَ لِعَظِيمِ الْمَوْصُوفِ، نَحْوُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾⁶ المعنى لكان هذا القرآن أبلغ من كل ما وصف⁷. فالزجاج يفسر الآيتين الكريمتين على حذف جواب لو، ويرى في سر ذلك أن الإبهام يفيد التهويل، إذ تذهب النفس كل مذهب في تصوّر المحذوف.

1- سورة الزمر: الآية 73.

2 - الخفاجي، عبد الله بن محمد بن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1/ 1982، (210/1).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 207).

4 - سورة البقرة: الآية 165.

5 - وعلى هذا التفسير يكون قوله تعالى (إن القوة لله جميعا) جملة استئنافية، ويكون الجواب المحذوف غير متعلق بإن، كما أوضح الزجاج نفسه.

6 - سورة الرعد: الآية 31.

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 207).

3- أنه سبب لاتساع المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾¹ حيث ذهب كل من

الزركشي والسيوطي إلى أن الآية الكريمة يصح حملها على الإغراء والتحذير، أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها، والإغراء في كلمة (سقيها) بتقدير الزموا². ويُناقش هذا بأنّ المقام مقام تحذير لا يناسبه الإغراء³.

وكون الآية على التحذير هو الذي ذهب إليه الأخفش⁴ والزجاج⁵.

أقسام الحذف:

ذكر الدارسون في علوم القرآن أنواعا مختلفة من الحذف، منها:

أ- الاقتطاع: وهو ذكر حرف من الكلمة وحذف الباقي⁶، ومن أمثلته قول من يفسر فواتح

السور بأنّ كل حرف منها يؤدّي معنى كلمة، فقوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ معناه: أنا الله أعلم، وقوله:

﴿الر﴾ معناه: أنا الله أرى، وقوله: ﴿الرَّصَّ﴾ معناه: أنا الله أعلم وأفصل، وقوله: ﴿الرَّ﴾ معناه: أنا

الله أعلم وأرى، وهذا وجه في تفسير هذه الحروف اختاره الزجاج لأن العرب تتطرق بالحرف

الواحد تدل به على الكلمة التي هو منه⁷.

1 - سورة الشمس: الآية 13.

2 - الزركشي، البرهان (ج3/ 105)، والسيوطي، الإتيان (ج3/ 190).

3 - انظر: الألوسي، روح المعاني (ج15/ 362)، وابن عاشور: التحرير والتنوير (ج30/ 374).

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 580).

5 - معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 354).

6 - انظر: السيوطي، الإتيان (ج3/ 117)، والحواري، خلود، أسلوبا التوكيد والحذف من أساليب القرآن، رسالة

دكتوراه، جامعة اليرموك 2007، (ج2/ 457).

7 - انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 63).

وذكر الأخفش في تفسير ﴿كَهَيَّعَ﴾ أن معناها كافٍ هادٍ عالمٌ صادق، فظاهر من كل

اسم منها حرفاً ليستدل به عليها¹.

وجعل الزركشي من هذا النوع الترخيم في قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّقَضِ عَلَيْنَا

رَبِّكَ﴾² (يا مال)، وهي قراءة أشار إليها الزجاج فقال: "قد رويت يا مال - بغير كاف، وبكسر اللام

- وهذا يسميه النحويون الترخيم، وهو كثير في الشعر في مالك وعامر ولكنني أكرههما لمخالفتهما المصحف"³.

وهذه القراءة ذكر الزركشي أن بعض السلف ضعفها وقال: "ما أشغل أهل النار عن الترخيم"

أي أنهم في حالة تشغلهم عن الترخيم⁴. وأجاب ابن جني عن هذا الاعتراض بأنّ للتخيم في هذا الموضع سرّه، وذلك أنهم لما هم فيه ضعفت قواهم وذلت نفوسهم حتى اضطروهم ذلك إلى اختصار الكلام⁵.

ب- الاكتفاء: وتعريفه أن يقتضي المقام ذكر شيئين متلازمين، فيكتفي بذكر أحدهما لدلالته

على الآخر⁶. ومن أمثله ما ذكره الفراء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرَبِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 22).

2 - سورة الزخرف: الآية 77.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 320).

4 - الزركشي، البرهان (ج1/ 113).

5 - انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات، تحقيق: عبد الحليم النجار ورفاقه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1/ 1999، ص: 605.

6 - انظر: السيوطي، الإتقان (ج3/ 118)،

وَسَرَّيْلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ¹ أَنَّهُ سبحانه ذكر الحرّ، وترك ذكر البرد لأنّه معلوم². وعلل ذلك الزجاج بأنهم كانوا في مكانهم أكثر معاناة للحرّ من البرد³.

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾⁴ ولم يقل سبحانه "ولتستبين سبيل المؤمنين مع ذكر سبيل المجرمين، لأن سبيل المجرمين إذا استبانته فقد بانته معها سبيل المؤمنين، وجائز أن يكون المعنى: ولتستبين سبيل المجرمين ولتستبين سبيل المؤمنين، إلا أن الذكر والخطاب ههنا في ذكر المجرمين فذكروا وترك ذكر سبيل المؤمنين، لأن في الكلام دليلا عليها⁵.

والاحتمالان اللذان ذكرهما الزجاج في الآية بينهما المفسرون بعده، ورجح القرطبي والسمين الحلبي أنّه لا حذف في الآية، إذ لا حاجة إلى تقدير معطوف محذوف، لأنّه يلزم عن اتضاح سبيل المجرمين أن يتضح سبيل المؤمنين، فالإضمار لا يحتاج إليه، فضلا عن أنّ سياق الآية كان في مخاطبة المشركين⁶.

ج- الاحتباك: وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول⁷. ومن أمثلته التي ذكرها السيوطي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِذَى يَتَعَوَّى بِمَا لَا

1 - سورة النحل: الآية 81.

2 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 112).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 176).

4 - سورة الأنعام: الآية 55.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 305).

6 - انظر: السمين، الدر المصون (ج4/ 656) والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج6/ 437).

7- ينظر البرهان في علوم القرآن: 129/3، والإتقان: 182/3.

يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ¹، وهو يرى أن معنى الآية: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي يَنْعِقُ والذي يَنْعَقُ به، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة "الذي ينعق" عليه، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة "الذين كفروا" عليه². وهذا التفسير قريب مما ذكره الأخفش والزجاج، فقد قال الأخفش في تفسير الآية: "مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناقع والمنعوق به، فحذف هذا الكلام، ودل ما بقي على معناه"³. وقال الزجاج: "فالمعنى مثلك يا محمد، ومثلهم كمثل الناقع والمنعوق به، بما لا يسمع، لأن سمعهم ما كان ينفعهم، فكانوا في شركهم وعدم قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع"⁴.

د- الاختزال: وعرفه الزركشي بقوله: " هو الافتعال من خزله قطع وسطه، ثم نقل في الاصطلاح إلى حذف كلمة أو أكثر، وهي إما اسم أو فعل أو حرف"⁵. وعليه فالمحذوف يمكن أن يكون حرفاً أو كلمة أو جملة، ونحن نذكر بعض الأمثلة على ذلك عند أصحاب المعاني.

أولاً: حذف الحرف:

ذكر أصحاب المعاني صوراً مختلفة لحذف الحرف في القرآن الكريم، ومن ذلك:

حذف لا: ومن أمثلة حذفها في القرآن الكريم التي أشار إليها أصحاب المعاني ما يلي:

- 1 - سورة البقرة: الآية 171.
- 2 - السيوطي: الإتيان في علوم القرآن (ج3/204).
- 3 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/53)، وذكر في تفسير الآية وجهاً آخر وهو مثل الذين كفروا في دعائهم الآلهة كمثل الذي ينعق بالغنم؛ لأن الهتهم لا تسمع ولا تعقل، كما لا تسمع الغنم ولا تعقل.
- 4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/210).
- 5 - الزركشي، البرهان (ج3/134).

- قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّهَ تَفْتَوًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ

الْهَالِكِينَ﴾¹ فالأخفش يقول: "كانهم قالوا: "والله ما تزال تذكر يوسف"²، وهو ما فسّر به الفراء الآية الكريمة، لأنّ الأفعال "تزال" و "أفتأ" لا تكون إلا بجحد ظاهر أو مضمر، فأما الظاهر فكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ﴾³ وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁴ وأما المضمر فقوله تعالى: ﴿تَفْتَوًا﴾ ومعناه: لا تفتأ⁵.

وقال الفراء أيضا: "و" "لا" قد تضمّر مع الأيمان لأنها إذا كانت خبرا لا يضمّر فيها "لا" لم تكن إلا بلام، ألا ترى أنك تقول: والله لأتيناك، ولا يجوز أن تقول: والله أتيناك إلا أن تكون تريد "لا" فلما تبين موضعها وقد فارقت الخبر أضمرت، قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي⁶

ويقول الزجاج: " وإنما جاز إضمار " لا " في قوله ﴿تَأَلَّهَ تَفْتَوًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ لأنه لا يجوز في القسم تأله تفعل حتى تقول لتفعلن أو لا تفعل"⁷.

وعلل ابن قتيبة حذف "لا" بما ذكره الزجاج، وقال: "وهي تحذف مع اليمين كثيرا"⁸.

1 - سورة يوسف: الآية 85.

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 399).

3 - سورة هود: الآية 118.

4 - سورة الرعد: الآية 31، وسورة الحج: الآية 55.

5 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 154).

6 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 54)، والبيت في ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار

المعرفة، بيروت، ط2/ 2004م، ص: 137.

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 103).

8 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص: 143.

وقال الطبري: "حذفت" لا" من قوله: "تفتأ" وهي مرادة في الكلام، لأنّ اليمين إذا كان ما بعدها خبراً لم يصحبها الجحد، ولم تسقط "اللام" التي يجاب بها الأيمان، وذلك كقول القائل: "والله لآتينك"، وإذا كان ما بعدها مجحوداً تلقيت بـ"ما" أو بـ"لا". فلما عرف موقعها حذفت من الكلام¹.

وقال الزمخشري: "أراد: لا تفتأ، فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات، لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون"². وقال أبو السعود: "حذف حرف النفي ... لعدم الالتباس بالإثبات فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات يكون على النفي البتة"³.

وما تقدّم عند المفسرين وافق عليه الزركشي والسيوطي، فتقدير الآية عندهما: "لا تفتأ" لأنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون كقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ﴾⁴، وعليه فالتقدير في الآية ممّا يدلّ عليه الصناعة النحويّة⁵.

- قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾⁶ والمعنى عند الفراء: لئلا تميد بكم، و"أن" في هذا الموضع تكفي من "لا"⁷، وهو ما ذهب إليه أبو عبيدة من أنّ مجاز الآية الكريمة: أن لا تميل بكم⁸، وما ذهب إليه ابن قتيبة من أنّ معناها: لئلا تميد بكم⁹.

1 - الطبري، جامع البيان (ج16 / 221).

2 - الزمخشري، الكشاف 2 / 498.

3 - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 / 1970، (ج4 / 302).

4 - سورة التغابن: الآية 7.

5 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ج3 / 112)، والسيوطي، الإثقان في علوم القرآن (ج3 / 179).

6 - سورة النحل: الآية 15.

7 - الفراء، معاني القرآن (ج2 / 327).

8 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج1 / 357).

9 - ابن قتيبة، غريب القرآن ص: 242.

وذهب الزجاج إلى أنّ تقدير الآية الكريمة: كراهة أن تميد بكم، وهو يرى أنّ تقدير المضاف "كراهة" أولى من تقدير حرف "لا"، وإن كان لا يترتب على ذلك خلاف في المعنى بين التقديرين، ولكنّ الذي جعله ينحو هذا المنحى ما يراه من أنّ حذف المضاف أيسر وأشيع من حذف الحرف "لا"، وعبارته في ذلك: "المعنى كراهة أن تميد بهم، وقال قوم: معناه ألا تميد بهم، والمعنى كذلك، إلا أن " لا " لا تضمّر، والاسم المضاف يحذف، و"كراهة أن تميد بهم" يؤدي عن معنى "ألا تميد بهم"¹. وما ذهب إليه الزجاج اختاره النحاس في تفسير الآية، فقال: "أن تميد بكم أي كراهة أن تميد بكم"².

وبيّن ابن عاشور أنّ قرينة الحذف في الآية فقال: "ولما كان المقام مقام امتتان علم أن المعلل به هو انتفاء المبدأ لا وقوعه. فالكلام جار على حذف تقتضيه القرينة"³.

- قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾⁴، فالمعنى عند الفراء: أن لا تضلوا⁵، وتقدير "لا" في الآية نسبه النحاس إلى الكسائي والمعنى عنده: يبين الله لكم لئلا تضلوا⁶، وذكر الزجاج في الآية قولين: أولهما: أن تقدّر "لا" محذوفة، وثانيهما: أن تقدّر كلمة "كراهة"، ونسب القول الثاني إلى البصريين فقال: "وقال البصريون إن " لا " لا تضمّر، وإن المعنى: يبين الله لكم كراهة أن تضلوا، ولكن حذفت "كراهة"، لأن في الكلام دليلاً عليها، وإنما جاز الحذف عندهم على حد قوله: (واسأل القرية) والمعنى واسأل أهل القرية، فحذف الأول جائز، ويبقى المضاف يدل على المحذوف، قالوا

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 316).

2 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 936).

3 - ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج14/ 121).

4 - سورة النساء: الآية 176.

5 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 297) و(ج2/ 383).

6 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 261).

فأما حذف " لا " وهي حرف جاء لمعنى النفي فلا يجوز¹. وما نسبه الزجاج إلى البصريين نسبه إليهم أيضا النحاس، فالقول بأن المحذوف في الآية "لا" عند البصريين خطأ، وهم لا يجيزون إضمار لا والمعنى عندهم: يبين الله لكم كراهة أن تضلوا ثم حذف².

- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾³ وذكر الزجاج القول بأن المحذوف في الآية "لا" لأن في الكلام دليلا عليها، ونسبه إلى بعض النحويين، ولعله يريد الفراء، ثم ذكر قول المبرد أن " لا " ليست مما يحذف ههنا، "ولكن الإضافة ههنا معلومة، فحذفت الأول وأقمت الثاني مقامه"، والمعنى إن الهدى هدى الله كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيت⁴، والآية عنده نظير قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾⁵ أن تقول نفس بحسرتي على ما فرطت في حبب الله⁵ والتقدير عند الفراء: لئلا تقول نفس⁶، وعند الزجاج والنحاس: خوف أن تقول نفس، وكراهة أن تقول نفس⁷.

- قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾⁸ وهذه الآية الكريمة ينطبق يرد في تفسيرها الخلاف المتقدم بين الكوفيين

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 111).

2 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 262).

3 - سورة آل عمران: الآية 73.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (ج1/ 362-363).

5 - سورة الزمر: الآيتان 55-56.

6 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 421).

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 270)، والنحاس، معاني القرآن (ج2/ 1083).

8 - سورة المائدة: الآية 19.

والبصريين، فالتقدير عند الفراء: كيلا تقولوا ما جاءنا من بشير¹، والزجاج ينقل الرأيين في تفسيرها²، وقال النحاس: "قال الكوفيون: المعنى أن لا تقولوا، ثم حذفت "لا" ... ولا يجوز حذف "لا" عند البصريين لأنها تدل على النفي، والمعنى عندهم كراهة أن تقولوا"³.

وتقدير لا محذوفة في مثل الآيات السابقة هو ما ذهب إليه ابن قتيبة، فمن صور الاختصار عنده حذف "لا"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكَافِرَةِ﴾⁴، أي: لئلا تضلوا. وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾⁵ أي: لئلا تزولا. وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾⁶ أي: لا تحبط أعمالكم.

حذف حرف الجر:

ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾⁷ قال الأخفش: "أي: اختار من قومه، فلما نزع "من" عمل الفعل"⁸. وقال الفراء: "التفسير: اختار منهم سبعين رجلا، وإنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذ طرحت "من" لأنه مأخوذ من قولك: هؤلاء خير القوم، وخير من القوم، فلما جازت الإضافة مكان "من" ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلا، واخترت منكم رجلا"⁹.

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 303).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 131).

3 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 278).

4 - سورة النساء: الآية 176.

5 - سورة فاطر: الآية 41.

6 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص: 143.

7 - سورة الأعراف: الآية 155.

8 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 339).

9 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 395).

وقال الزجاج: "ومعنى اختار قومه، اختار من قومه فحذفت "من" ووصل الفعل فنصب"¹. وهذا الذي قاله أصحاب المعاني متفق مع ما ذهب إليه أبو عبيدة في قوله في تفسير الآية: "مجازة: اختار موسى من قومه، ولكن بعض العرب يجتازون فيحذفون "من" "²، ومع ما ذهب إليه ابن قتيبة³.

- قوله تعالى: ﴿ أَقْبِلُوا يُسَفِّ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾⁴ والتقدير اطرحوه في الأرض، قال الأخفش: "وليس الأرض ها هنا بظرف، ولكن حذف منها "في" ثم أعمل فيها الفعل، كما تقول: توجهت مكة"⁵.

وقد أشار الزجاج إلى أن حذف حرف الجر مستعمل في القرآن وفي كلام العرب، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾⁶ فالمعنى عنده سفه في نفسه، قال: "إلا أن "في" حذفت، كما حذفت حروف الجر في غير موضع، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾⁷ والمعنى أن تسترّعوا لأولادكم، فحذف حرف الجر في غير ظرف، ومثله قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ الْنِكَاحِ ﴾⁸ أي على عقدة النكاح ... فهذا الذي استعمل من حذف حرف الجر موجود في كتاب الله، وفي إشعار العرب وألفاظها المنثورة، وهو عندي مذهب صالح"⁹.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 308).

2 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج1/ 229).

3 - انظر: ابن قتيبة، غريب القرآن ص: 173، وتأويل مشكل القرآن ص: 145.

4 - سورة يوسف: الآية 9.

5 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 396).

6 - سورة البقرة: الآية 130.

7 - سورة البقرة: الآية 233.

8 - سورة البقرة: الآية 235.

9 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 184)، وذكر في تفسير الآية أقوالاً أخرى، الأول: أن تكون سقه نفسه معناها: سقه نفسه، وكلاهما لغة. الثاني: أن تكون كلمة نفسه منصوبة على التمييز والتفسير، واعتراض الزجاج على هذا القول بأنها بالإضافة إلى الضمير صارت معرفة، والتمييز يكون في النكرات. الثالث: أنه على حذف

ومن أمثلة حذف حرف الجرّ عنده ما جاء في الآية الكريمة ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً

لَايَمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾¹ فالمعنى عنده "لا تعرضوا باليمين بالله في أن تبرّوا - فلما سقطت " في " أفضى لمعنى الاعتراض، فنصب أن، وقال غير واحد من النحويين إن موضعها جائز أن يكون خفضاً وإن سقطت " في " لأن " أن" الحذف معها مستعمل"². ومراده أن معنى الآية على تقدير حرف الجرّ "في"، ولكن اختلاف النحاة في عمله، فمنهم من يجعل المصدر من أن والفعل المضارع في محلّ جرّ بحرف الجرّ المحذوف، ومنهم من ينصبه على نزع الخافض.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾³ والمعنى: لا جناح عليهما في أن يتراجعا، وذكر خلافاً بين النحاة نظير الخلاف في الآية السابقة، فمنهم من يجعل المصدر المنسبك من أنّ والفعل المضارع في محل نصب على نزع الخافض، ومنهم من يجعله في محل جرّ بالحرف المحذوف، وهذا قول الخليل والكسائي، وعقب عليه الزجاج بقوله: "والذي قالاه صواب؛ لأن " أن" يقع فيها الحذف، ويكون جعلها موصولة عوضاً مما حذف، ألا ترى أنك لو قلت لا جناح عليهما الرجوع لم يصلح، والحذف مع أن سائغ فلهذا أجاز الخليل وغيره أن يكون موضع جر على إرادة في"⁴.

حرف الجر. والرابع: أن سفه بمعنى جهل، فتعدت إلى المفعول مثلها، ومعنى سفه نفسه: لم يفكر فيها، والقول الأخير قال عنه: القول الجيد عنده.

1 - سورة البقرة: الآية 224.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 256).

3 - سورة البقرة: الآية 230.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 264-265).

ذكر ابن هشام في المغني أنّ البصريين إلا الأخفش يرون وجوب دخول "قد" على الماضي الواقع حالا، إما ظاهرة نحو ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءَنَا﴾¹ أو مقدره نحو ﴿هَذِهِ بِضَعْنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾² ونحو ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾³ "وخالفهم الكوفيون والأخفش فقالوا لا تحتاج لذلك لكثرة وقوعها حالا بدون قد، والأصل عدم التقدير لا سيما فيما كثر استعماله"⁴.

والفراء وإن كان من أئمة المدرسة الكوفيّة إلا أنّه مع القول بوجوب تقدير "قد" قبل الفعل الماضي الواقع حالا، فهو يرى تقدير "قد" قبل الفعل "كنتم" في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾⁵ ويقول: "ولولا إضمار "قد" لم يجز مثله في الكلام ... وقولك للرجل: أصبحت كثر مالك، لا يجوز إلا وأنت تريد: قد كثر مالك لانهما جميعا قد كانا، فالثاني حال للأول، والحال لا تكون إلا بإضمار "قد" أو بإظهارها⁶. وذهب الزجاج إلى مثل ما قاله الفراء من تقدير "قد" في الآية وقال: " وإضمار قد جائز إذا كان في الكلام دليل عليه"⁷.

1 - سورة البقرة: الآية 246.

2 - سورة يوسف: الآية 65.

3 - سورة النساء: الآية 90.

4 - ابن هشام، مغني اللبيب (ج1/229).

5 - سورة البقرة: الآية 28.

6 - الفراء، معاني القرآن وإعرابه (ج1/24).

7 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/100).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾¹ يقول الفراء: "والعرب تقول: أتاني

ذهب عقله، يريدون قد ذهب عقله ... فإذا رأيت فعل بعد كان ففيها قد مضمرة، ألا أن يكون مع

كان جحد فلا تضمر فيها قد مع جحد؛ لأنها توكيد والجحد لا يؤكد².

وينقل الزجاج عن النحويين في تفسير الآية الكريمة: أن معناه "أو جاءوكم قد حصرت

صدورهم؛ لأن حصرت لا يكون حالا إلا بقد"³.

وذكر النحاس في تفسيره للآية أقوالا، أولها: أن تكون الآية على الدعاء، ونقل هذا القول عن

المبرد⁴، والثاني: أن يكون قوله ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ خبرا بعد خبر، وعلى هذين المعنيين لا يلزم

تقدير "قد"، والثالث: أن يكون المعنى على تقدير قد محذوفة⁵.

حذف الفعل:

كثيرا ما يُحذف الفعل في القرآن الكريم، ولذلك صور متعددة أشار إليها أصحاب المعاني، ومنها:

- حذف الفعل لدلالة ما ذكر معه عليه، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَإِن تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾⁶

فكلمة "أخاهم" منصوبة بفعل محذوف تقديره: أرسلنا⁷، قال الفراء: "وليس قبله شيء تراه ناصبا

1 - سورة النساء: الآية 90.

2 - الفراء، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 282).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 72-73)، وذكر في تفسير الآية وجها آخر، وهو أن يكون قوله: ﴿ه﴾

﴿ه﴾ خبرا بعد خبر، أي جملة خبرية مستقلة وليست حالا، وعلى هذا المعنى لا يلزم تقدير "قد".

4 - ونسبه إليه أيضا ابن هشام في المغني، وذكر أقوالا أخرى في الآية منها أن يكون قوله: ﴿ه﴾ جملة خبرية

واقعة صفة لمحذوف منصوب تقديره "قوما"، ورأوا أن إضمار الاسم أسهل من إضمار حرف المعنى، وقيل

صفة لمخفوض مذكور وهم قوم المتقدم ذكرهم، فلا إضمار البتة وما بينهما اعتراض. انظر: ابن هشام،

المغني: (ج1/ 562).

5 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 232).

6 - سورة الأعراف: الآية 73، وسورة هود: الآية 61.

7 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 383).

لصالح، فعلم بذكر النبي ﷺ والمرسل إليه أن فيه إضمار أرسلنا، ومثله قوله: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾¹ و﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرِبًا﴾² و﴿وَأَيُّهَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾³ يجرى هذا على مثل ما قال في (ص): ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ﴾⁴ ثم ذكر الأنبياء الذين من بعدهم بغير "واذكر" لأن معانهم متفق معروف، فجاز ذلك⁵.

ومن أمثل حذف الفعل أيضا ما ذكره الفراء والزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾⁶ فهما يوجهان قراءة "غشاة" بالنصب بإضمار الفعل "جعل"، وفي ذلك يقول الفراء: "ولو نصبتها بإضمار "وجعل" لكان صوابا، وزعم المفضل أن عاصم بن أبي النجود كان ينصبها، على مثل قوله في الجاثية: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁷ ومعناهما واحد، ومن أمثلة ذلك عند الفراء أيضا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾⁸ فالوجه عند الفراء قراءة "جدد" بالرفع، ويجوز قراءتها بالنصب على تقدير الفعل "جعل"⁹.

1 - سورة الأنبياء: الآية 76.

2 - سورة الأنبياء: الآية 87.

3 - سورة العنكبوت: الآية 16.

4 - سورة ص: الآية 45.

5 - الفراء، معاني القرآن (ج1/35).

6 - سورة البقرة: الآية 7.

7 - سورة الجاثية: الآية 23.

8 - سورة فاطر: الآية 27.

9 - الفراء، معاني القرآن (ج1/13) و (ج1/383-384).

- حذف الفعل قبل "إذ": أشار الفراء إلى أن الفعل "اذكروا" كثيرا ما يُضمَر في القرآن قبل

"إذ"، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً¹﴾ وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ²﴾

قال: "والمعنى- والله أعلم- على إضمار "واذكروا إذ أنتم" أو "إذ كنتم" فاجتزئ بقوله: "اذكروا" في أول الكلام³، ثم جاءت "إذ" بالواو مردودة على ذلك⁴.

ويستدل على حذف الفعل "اذكروا" بأنه جاء مصرحا به في آيات أخرى، منها قوله تعالى:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ⁵﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ⁶﴾.

- حذف الفعل بعد الفاء الفصيحة، التي تدلّ على وجود محذوف، ومن ذلك ما ذكره الفراء

في تفسيره للآية الكريمة: (فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِمِصْرِكَ الْحَجَرِ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا⁷) فمعنى الآية

أنه ضرب فانفجرت، فاكتمى بالجواب لأنه قد أدّى عن المعنى، كما تقول: أنا الذي أمرتك بالتجارة فاكتمت الأموال، والمعنى أنك تاجرت فاكتمت⁸.

- حذف فعل القول، وقد يُحذف معه بعض ما يتعلق به نحوا، وقد بين الفراء ذلك في

تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا

1 - سورة البقرة: الآية 51.

2 - سورة البقرة: الآية 50.

3 - في قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ سورة البقرة: الآية 47.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 35).

5 - سورة الأنفال: الآية 26.

6 - سورة الأعراف: الآية 86.

7 - سورة البقرة: الآية 60.

8 - انظر: الفراء، معاني القرآن (ج1/ 40-41).

الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ¹ فقد بين أن "أما" لا بد لها من الفاء في جوابها، وأنها كانت مع قول مضمر، فلما سقط القول سقطت الفاء معه، والمعنى: فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم: أكفرتم. وقال: "والقول قد يضمّر، ومنه في كتاب الله شيء كثير، من ذلك قوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾² وقوله ﴿وَإِذَا يَفْعَلُ الْبَرْقُ زُلْفَاهُمْ يَسْتَخِفُّونَهَا يَسْتَخِفُّونَهَا وَهُمْ لَا يُخَفُّونَهَا﴾³ 4.

ووقف الفراء عند ذكر الحرف "أن" في بعض الآيات التي حذف فيها فعل القول، وحذفه في آيات أخرى، فذكر "أن" جاء حيث كان في الآية فعل يدل على القول، كما في الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁵ فقد جاءت "أن" لأن الرسالة تحمل معنى القول، وكذلك قوله ﴿فَانْطَلِقُوا فِيهَا مَتَّحِفِينَ﴾⁶ أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين⁷ والتخافت قول، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَخِرْ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁸، ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنًا يَنبِئُهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاطِلِينَ﴾⁹ والأذان قول، والدعوى قول في الأصل.

1 - سورة آل عمران: الآية 106.

2 - سورة السجدة: الآية 12.

3 - سورة البقرة: الآية 127.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج1/228).

5 - سورة نوح: الآية 1.

6 - سورة القمر: الآيتان 23-24.

7 - سورة يونس: الآية 10.

8 - سورة الأعراف: الآية 44.

وأما ما ليس فيه معنى القول فلم تدخله "أن" كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ

نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾¹ "فلما لم يكن في "أبصرنا" كلام يدل على القول، أضمرت القول فأسقطت أن، لأن ما بعد القول حكاية لا تحدث معها أن"².

- من صور حذف الفعل أيضا إقامة المصدر مقام الفعل على نحو ما جاء في قوله تعالى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾³، قال الفراء: "نصب على الأمر، والذي نصب به مضمر، وكذلك كل أمر أظهرت فيه الأسماء، وتركت الأفعال فانصب فيه الأسماء"، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ "منصوب أيضا على فعل مضمر، فإما أن تمنوا، وإما أن تفدوا"⁴.

وقوله تعالى ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ يرى الفراء أنه نظير قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَمِنًا عَنْدَهُ﴾⁵ قال: "يصلح أن تقول في مثله من الكلام: نعوذ بالله، ومنه قول العرب: سقيا لك، ورعيا لك يجوز مكانه: سقاك الله، ورعاك الله"⁶.

ويعلل الفراء قراءة (الحمد لله رب العالمين) بالنصب على أنها من باب إقامة المصدر مقام

الفعل، كما في قوله تعالى ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾، "وإذا صلح مكان المصدر "فعل" أو "يفعل" جاز فيه النصب"⁷.

1 - سورة السجدة: الآية 12.

2 - الفراء، معاني القرآن (ج1/81).

3 - سورة محمد: الآية 4.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج3/57).

5 - سورة يوسف: الآية 79.

6 - الفراء، معاني القرآن (ج1/3).

7 - المصدر السابق نفس الصفحة.

حذف الاسم الموصول:

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْشُرْ بِمُعْجِزَاتِكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾¹ فقد جاء في معاني القرآن للفراء: "يقول: القائل: وكيف وصفهم أنهم لا يعجزون في الأرض ولا في السماء، وليسوا من أهل السماء؟ فالمعنى - والله أعلم - ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا من في السماء بمعجز، وهو من غامض العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني"².

ومن أمثلة حذف الاسم الموصول أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾³ فقد قال الأخفش في تفسيرها: "ولو قلت (شقاق بينهما) تريد "ما" وتحذفها جاز"، وذكر فيها وجهين آخرين، أولهما: أن تكون (شقاقا بينهما) فجعل البين ظرفا، والثاني: أن تكون (بينهما) اسما أضيفت إليه كلمة شقاق، على نحو ما جاءت قراءة في قوله تعالى: (لقد تقطع بينكم) بالرفع⁴.

ومن الأمثلة على تقدير "ما" قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾⁵ فالأخفش⁶ والفراء يقدرون "ما" في الآية على قراءة النصب، وذكر الفراء أن هذه قراءة ابن مسعود،

1 - سورة العنكبوت: الآية 22.

2 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 315).

3 - سورة النساء: الآية 35.

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 256).

5 - سورة الأنعام: الآية 94.

6 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 256).

وقال عنها: "وهو وجه الكلام"¹. وذكر الزجاج القراءتين، وقال عن قراءة الرفع إنها أجود، والنصب جائز، والمعنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم².

ومن الآيات التي يُقَدَّر الفراء فيها "ما" قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾³ فالمعنى عنده: إذا رأيت ما ثم رأيت نعيماً، قال: "وصلح إضمار "ما" كما قيل: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ والمعنى: ما بينكم⁴.

وما ذكره الفراء ردّه الزجاج فقال: "وهذا غلط لأن ما موصولة بقوله ثم" على هذا التفسير، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة، ولكن "رأيت" يتعدى في المعنى إلى ثم⁵.

حذف المبتدأ

يورد أصحاب المعاني أمثلة مختلفة على حذف المبتدأ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾⁶ والتقدير: ولا تقولوا هم أموات بل هم أحياء⁷، فالرفع على تقدير مكني من أسمائهم⁸. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبٌ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبٌ﴾⁹ قال الفراء: "ما ذكر من العدد فهو رفع لأن قبله ضمير أسمائهم

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 345).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 265).

3 - سورة الإنسان: الآية 20.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج3/ 318).

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 284).

6 - سورة البقرة: الآية 154.

7 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 163).

8 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 93)، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 200).

9 - سورة الكهف: الآية 22.

سيقولون: هم ثلاثة¹، وقال الزجاج: "مرفوع بخبر الابتداء، المعنى سيقول الذين يتنازعون في أمرهم: هم ثلاثة رابعهم كلهم"².

ومن أمثلة حذف المبتدأ قوله تعالى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾³ قال الفراء: "أي تقولوا: هم ثلاثة ... فكل ما رأيته بعد القول مرفوعاً ولا رافع معه، ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم"⁴.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

1 - الفراء، معاني القرآن (1/ 38).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 226).

3 - سورة النساء: الآية 171.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 296).

المبحث الرابع

الفصل والوصل

الفصل لغة بمعنى القطع، قال ابن فارس: " الفاء والصاء واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه"¹. وجاء في الصحاح: "فصلت الشيء فانفصل أي قطعه فانقطع، وبابه باب يضرب"، ويكون لازما ومتعديا، فإذا كان لازما فمصدره الفصول، وإذا كان متعديا فمصدره الفصل².

والمفصل ما يكون بين العظام، والفصيل ولد الناقة إذا انفصل عن أمه، والفصيل الحاكم، والمفصل اللسان لأنه به تُفصل الأمور، وفصل الخطاب: ما فيه القطع والحكم.

وقد جاء كلمة "الفصل" في القرآن الكريم بمعنى القطع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾³ أي فاصل قاطع، والفصال الفطام كما في قوله تعالى: ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾⁴. وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾⁵ قال الزمخشري: "فصل عن موضع كذا: إذا انفصل عنه وجاوزه، وأصله: فصل نفسه، ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كأنفصل"⁶، وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعِمْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾⁷.

1- ابن فارس، مقاييس اللغة مادة (فصل) (ج4/ 505).

2 - ابن منظور لسان العرب

3- سورة الطارق: الآية 13.

4 - سورة لقمان: الآية 14.

5 - سورة البقرة: الآية 249.

6 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 249).

7 - سورة يوسف: الآية 94.

كما جاءت كلمة "يفصل" للدلالة على القضاء الحاسم كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي

كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾¹ قال الراغب: "أي: اليوم يبين الحق من الباطل، ويفصل بين الناس بالحكم"²،

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾³

ومن هذا يتبين أن كلمة الفصل تدلّ على القطع والخروج والحجز والحسم والقضاء.

الوصل في اللغة:

قال ابن فارس: "الواو والصاد واللام: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء"⁴، وقال

الراغب: "الِاتِّصَالُ: اتِّحَادُ الْأَشْيَاءِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ كاتِّحَادِ طَرَفِي الدَّائِرَةِ، وَبِضَادِّ الْإِنْفِصَالِ، وَيَسْتَعْمَلُ

الْوَصْلُ فِي الْأَعْيَانِ، وَفِي الْمَعَانِي"⁵، وَوَصَلَ الشَّيْءُ إِلَى شَيْءٍ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ وَبَلَغَهُ، وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ

بِالشَّيْءِ لَمْ يَنْقَطِعْ، وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ، وَلَيْلَةُ الْوَصْلِ آخِرُ لَيْلَةٍ فِي الشَّهْرِ لِاتِّصَالِهَا بِالشَّهْرِ الَّذِي

يَلِيهِ، وَيُقَالُ: فَلَانٌ مَتَّصِلٌ بِفُلَانٍ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ أَوْ مَصَاهِرَةٌ،⁶ وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ

اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾⁷، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ﴾⁸ أي: أكثرنا لهم القول موصولاً ببعضه ببعض.

1 - سورة الصافات: الآية 21.

2 - الراغب، مفردات القرآن ص: 638.

3 - سورة الحج: الآية 17.

4 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج6/ 115) مادة (وصل).

5 - الراغب، مفردات القرآن ص: 873.

6 - ابن منظور، لسان العرب (ج11/ 726)؛ والزبيدي، تاج العروس (ج31/ 78).

7 - سورة الرعد: الآية 21.

8 - سورة القصص: الآية 51.

الفصل والوصل في الاصطلاح¹:

جعل عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز بابا للفصل والوصل، وجعل موضوعه " العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى"².

قال السكاكي: "مدار الفصل والوصل ترك العاطف وذكره"، وقال الخطيب القزويني: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه"، وقال الطيبي في تعريف الفصل والوصل: "هو ترك العاطف بين الجمل وذكره".

ومن الواضح أنّ كلام السكاكي يجعل الوصل شاملا لعطف المفردات بعضها على بعض، بخلاف تعريف القزويني والطبيي اللذين يجعلان البحث في الفصل ولوصل مختصا بالجمل، ومال عصام الدين الإسفراييني إلى ما ذهب إليه السكاكي لأن مقتضيات الفصل والوصل جارية على المفردات أيضا فلا ينبغي التخصيص اصطلاحا³، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الفتاح لاشين فعرف الوصل بأنه عطف بعض الكلام على بعض، والفصل: ترك هذا العطف⁴. وهو يرى أنّ

1 - من الملاحظ أنّ أكثر البلاغيين عندما يعرفون الفصل والوصل يقدمون الفصل لأنّ الفصل هو الأصل، والوصل عارض باستعمال حرف من حروف العطف. انظر: شكر، عبد الله، الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار دجلة، عمان، ط1/ 2009، ص: 23.

2 - الجرجاني، دلائل الإعجاز ص: 222.

3 - انظر: السبكي، عروس الافراح (ج1/175).

4 - لاشين، عبد الفتاح، علم المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4/ 2000، ص:

الكلام أعمّ من الجملة لأنّه يشمل المفردات والجمل معاً¹.

وموضوع الفصل والوصل يرتبط بالعطف، ولذا يمتزج فيه البحث البلاغي مع النحوي، والعطف الذي نقصده هنا عطف النسق لا عطف البيان، وعرفه ابن عصفور بأنّه: "حمل الاسم على الاسم، أو الفعل على الفعل، أو الجملة على الجملة، بشرط توسط حرف بينهما من الحروف الموضوعية لذلك"².

وقد بيّن عبد القاهر المنزلة الرفيعة للفصل والوصل في بلاغة الكلام، فهو عنده من الأساليب الرفيعة التي لا يتأتّى العلم بها إلا لمن طُبِعَ على البلاغة وحصل معرفة تامّة في ذوق الكلام، ولذا بلغ الأمر ببعضهم أن عرفّ البلاغة بمعرفة الفصل من الوصل، وذاك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة³.

وقد وقف أصحاب المعاني عند أسلوب الفصل والوصل، وبيّنوا مقتضيات كل منهما وأسبابه وأسراره. ومن النصوص المهمّة في هذا المجال ما قاله الفراء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

1 - ويمكن أن يُعترض على هذا بما ذهب إليه ابن هشام في مغني اللبيب من أنّ الجملة أعمّ من الكلام، إذ يشترط فيه الإفادة دونها، ولذا يقولون جملة الشرط وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام (ج1/ 490) وقال الرضي: "كل كلام جملة ولا ينعكس" لأنّ الكلام ما تضمّن الإسناد الأصلي، وكان مقصوداً لذاته، والجملة ما تضمّن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا. انظر: الاسترأبادي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1/ 1993، ص: 18.

2 - ابن عصفور، علي بن مؤمن، المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجوّاري وعبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف العراقية، ط1/ 1972، (ج1/ 229).

3 - الجرجاني، دلائل الإعجاز ص: 222.

مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجَاكُمْ مِنْ اَمَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعِيحُونَ
اَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ¹.

فقد وقف عند عطف الفعل ﴿يَدْعِيحُونَ﴾ بالواو، في حين لم يعطفه في سورة البقرة في قوله
تعالى: ﴿وَإِذْ تَجَنَّبَكُمْ مِنْ اَمَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدْعِيحُونَ اَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ
بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ²﴾.

وفسر ذلك بأنّ المعنى بالعطف أنّه يمستهم عذاب غير الذبح، " كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح
وبالذبح. ومعنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب، وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب
مجملاً في كلمة ثم فسرته فاجعله بغير الواو، وإذا كان أوله غير آخره فبالواو³.

ومثّل على ذلك بقوله تعالى في سورة الفرقان ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨﴾ يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَحْلَدُ
فِيهِ مُهَانًا⁴ فمضاعفة العذاب في الآية تفسير لكلمة ﴿أَثَامًا﴾ التي جاءت مجملة "فالآثام فيه نية
العذاب قليله وكثيره، ثم فسره بغير الواو فقال: ﴿يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ﴾ ولو كان غير مجمل لم يكن

1 - سورة إبراهيم: الآية 6.

2 - سورة البقرة: الآية 49.

3 - الفراء، معاني القرآن 69/2.

4 - سورة الفرقان: الآيتان 68-69.

ما ليس به تفسيراً له، ألا ترى أنك تقول عندى دابّتان بغل وبرذون ولا يجوز عندى دابّتان وبغل وبرذون وأنت تريد تفسير الدابّتين بالبغل والبرذون¹.

وما ذكره الفراء وشرحه لخصه النحاس بقوله في تفسيره للآية من سورة إبراهيم: "ومعنى الواو يوجب انه قد أصابهم من العذاب شيء سوى التذبيح وإذا كان بغير واو فإنما هو تبیین الأول"².

وما قاله الفراء ذهب إليه المفسرون بعده، فالزمخشري يرى أن التذبيح حيث طُرحت الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبتت جعل التذبيح بالنسبة للعذاب كأنه جنس آخر، لأنه أوفى عليه وزاد زيادة ظاهرة³. وقال أبو حيان في تفسير الآية رقم (49) من سورة البقرة: "ويذبحون بدل من يسومونكم، بدل الفعل من الفعل"، ثم ذكر قول الفراء⁴. وفي تفسير الآية رقم (6) من سورة إبراهيم قال: "حيث لم يؤت بالواو جعل الفعل تفسيراً لقوله ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾، وحيث أتى بها دل على المغايرة. وأن سوم سوء العذاب كان بالتذبيح وبغيره"⁵.

وعند السمين في تفسير الآية من سورة إبراهيم: "وفي البقرة دون واو لأنه قصد به التفسيرُ فالسوم هنا غيرُ السوم هناك"⁶.

-
- 1 - الفراء، معاني القرآن 69/2.
 - 2 - النحاس، معاني القرآن (ج2/113).
 - 3 - الزمخشري، الكشاف، (ج2/541-542).
 - 4 - أبو حيان، البحر المحيط، (ج1/313).
 - 5 - المرجع السابق، (ج6/410).
 - 6 - السمين الحلبي، الدر المصون، (ج7/71).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالَ

أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾¹ يقف الفراء عند مجيء الفعل ﴿قَالُوا﴾ غير معطوف بالفاء، ويعمل

ذلك بأنه "جواب يستغني أوله عن آخره بالوقفة عليه"²، وهو يرى أن جواز السكوت بين الكلامين

قد حسن طرح الفاء بينهما، وهذا ما يلاحظ في رؤوس الآيات مثل قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا

الْمُرْسَلُونَ﴾³ قَالُوا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾⁴ وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا

بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَزَّلَكَ إِلَّا

كَذِبٌ﴾⁵ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنِهِمْ مِنْ رَبِّي وَءَالِئِي رَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ هَا وَنُزِّلُكُمْ هَا

كَذِبُهُمْ﴾⁶، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾⁷ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾⁸، فالفراء يرى

أن الذي حسن طرح الفاء أنك "تراه في رؤوس الآيات لأنها فصول"⁹.

ثم قال: "ولو كان على كلمة واحدة لم تسقط العرب منه الفاء، من ذلك: قمت ففعلت، لا

يقولون: قمت فعلت، ولا قلت قال، حتى يقولوا: قلت فقال، وقمت فقام لأنها نسق وليست باستفهام

يوقف عليه"¹⁰.

1 - سورة البقرة: الآية 67.

2 - الفراء، معاني القرآن، (ج1/43).

3 - سورة الذاريات: الآيتان 31-32.

4 - سورة هود: الآيتان 27-28.

5 - سورة الشعراء: الآيتان 25-26.

6 - الفراء، معاني القرآن، (ج1/43).

7 - المصدر السابق نفس الصفحة.

وقد يخفى على بعض العلماء سر مجيء الواو في بعض آي القرآن الكريم، فيذهبون إلى القول بزيادتها أو أنها مقحمة كما نجد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُمْسَكَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾¹ فقد قال بعض أهل اللغة أن الواو مقحمة، والمعنى: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو افتدى به. وردّ النحاس على ذلك بما ذهب إليه أهل النظر من النحويين من أن الواو لا يجوز أن تكون مقحمة؛ لأنها تدل على معنى، ومعنى الآية فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً تبرعاً ولو افتدى به².

ومن الآيات التي وقف العلماء متدبرين سرّ مجيء العطف بالواو فيها قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾³ مع أن الكلام عندما كان عن الكافرين لم يأت بالواو، فقد قال سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾⁴.

فالأخفش ينقل عن الحسن أن الواو في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ زائدة، ثم قال: "كأنه زاد الواو وجعل خبره مضمرًا، ونحو هذا مما خبره مضمر كثير"⁵.

والزجاج يذكر في تفسيرها أقوالاً، منها ما ذكره الأخفش: أن الواو زائدة، والثاني: نقله عن المبرد: أن الجواب محذوف، وتقديره: سعدوا، والتقدير: حتى إذا كانت هذه الأشياء صاروا إلى

1 - سورة آل عمران: الآية 91.

2 - النحاس، معاني القرآن، (ج1/ 151).

3 - سورة الزمر: الآية 73.

4 - سورة الزمر: الآية 71.

5 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 132).

السعادة. والثالث: أن الفعل المحذوف في الآية تقديره: جاؤوها، والمعنى حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها. واختار الزجاج أن الفعل المحذوف تقديره: دخلوها، وحذف لأن في الكلام دليلا عليه¹.

والنحاس نقل قول المبرد الذي ذكره الزجاج، وهو أن في الآية عن المؤمنين حذفاً، والتقدير: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها سعدوا²، والقول بأنّ الجواب محذوف نقله ابن عطية عن الخليل أيضاً³.

وقد بين الزمخشري سرّ مجيء الكلام مفصّلاً بالواو في الآية وقال: "وإنما حذف لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف ... وقيل: أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فمتقدّم فتحها، بدليل قوله: ﴿جَنَّتِ عَذْرَى مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾⁴ فلذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها⁵.

وقد فصل ابن القيم في بيان السبب لمجيء الكلام عن المؤمنين مفصّلاً بالواو، وحذفها في الكلام عن الكافرين، ومن الأقوال التي ذكرها أن هذه واو الثمانية، دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية، وأبواب النار سبعة، فلم تدخلها الواو. قال: "وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب". وقالت طائفة: الواو زائدة، والجواب الفعل الذي بعدها، كما هو في الآية الثانية. قال: وهذا أيضاً ضعيف، فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم، ولا يليق بأسفه الكلام أن يكون فيه حرف

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/315).

2 - النحاس، معاني القرآن (ج2/1061).

3 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج4/543).

4 - سورة ص: الآية 50.

5 - الزمخشري، الكشاف (ج4/147).

زائد لغير معنى ولا فائدة. وقالت طائفة: الجواب محذوف، وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم، وقال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم¹.

ثم بين ابن القيم أن حذف الجواب في آية أهل الجنة، وذكره في آية أهل النار أبلغ في الموضعين، فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها، وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم، فيفجؤهم العذاب بغتة حين ينتهون إليها. أما الجنة فتُفتح أبوابها بعد شفاعة المصطفى².

وذهب الألوسي إلى أن الواو للحال، والجملة خالية، أي جاؤوها وقد فتحت لهم أبوابها ويشعر ذلك بتقديم الفتح، كأن خزنة الجنات فتحوا أبوابها ووقفوا منتظرين لهم، وهذا كما تفتح الخدم باب المنزل للمدعو للضيافة قبل قدومه وتقف منتظرة له، وفي ذلك من الاحترام والإكرام ما فيه. وقال: "والظاهر أن جواب إذا محذوف مقدر للإيذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارات"³.

ومما يرتبط بأسلوب الفصل والوصل ما جاء في بعض آيات القرآن الكريم من احتمال أن تكون الواو للعطف، فتكون الآية على أسلوب الوصل، أو أن تكون للاستئناف أو الحال فتخلو الآية من العطف، وتكون على سبيل الفصل.

1 - ابن القيم: التفسير القيم ص: 459.

2 - المرجع السابق ص: 460.

3 - الألوسي، روح المعاني (ج 12 / 288).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ﴾¹ فقد ذهب الأخفش إلى أن الواو في قوله ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ للاستئناف، ولا يصح أن تكون عاطفة لأن الختم لا يقع على الأبصار، وعليه فالجملة مفصولة عما قبلها وليست معطوفة².

هو عين ما ذهب إليه الفراء من أن معنى الختم "انقطع عند قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، ورفعت

"الغشاوة" بحرف الجر³، يقصد بذلك أن كلمة "غشاوة" مرفوعة على الابتداء، وخبرها شبه الجملة.

ولذا يحسن الوقف على قوله تعالى ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ

إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾⁴.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁵.

فالفراء والزجاج يجعلون الواو في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ للاستئناف، ويستدلّ الفراء

على ذلك بقراءات شاذة جاءت عن السلف، فقراءة أبيّ (ويقول الراسخون) وفي قراءة ابن مسعود

(إن تأويله إلا عند الله، والراسخون في العلم يقولون)⁶. والزجاج يرى أن معنى ابتغائهم تأويله أنهم

1 - سورة البقرة: الآية 7.

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 36).

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 13).

4 - سورة الجاثية: الآية 23.

5 - سورة آل عمران: الآية 7.

6 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 378).

طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم، فأعلم الله أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله، وقد استدلّ على ما ذهب إليه بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾¹ أي يوم يرون ما وعدوا به من البعث والنشور والعذاب². ولذا "قالوقف التام قوله: ﴿وَمَا يَمْلِكُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم أحد متى البعث غير الله"³.

أما النحاس فذكر مذهب القائلين بأن الجملة تمت عند قوله سبحانه ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، ثم قال: "ومن جعل تأويله بمعنى تفسيره - لأنه ما يؤول إليه معنى الكلام - فالراسخون في العلم عنده يعلمون تأويله"، ونقل هذا القول عن ابن عباس ومجاهد، وقال: "والقول الأول وإن كان حسنا فهذا أبين منه؛ لأنّ واو العطف الأولى بها أن تدخل الثاني فيما دخل فيه الأول حتى يقع دليل بخلافه، وقد مدح الله عز وجل الراسخين بثباتهم في العلم، فدل على أنهم يعلمون تأويله"⁴.

ولابن تيمية رحمه الله تحقيق حسن في معنى الآية تلتئم فيه المذاهب⁵، وقد بناء على تحديد معنى التأويل، فالتأويل: من آل يؤول أي رجع، ويحتمل بمعنيين، أولهما: أن يُراد به معرفة معنى

1 - سورة الأعراف: الآية 53.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 3/205)

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/415)

4 - النحاس، معاني القرآن (ج 1/123).

5 - قال ابن تيمية: "أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة يشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا كما أخبر أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ؛ ولكن ليس هو مثله ولا حقيقته فأسماء الله تعالى وصفاته أولى وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق، ولا حقيقته كحقيقته والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد ؛ مع العلم بالفارق المميز وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلحن إذا أخبرنا الله بالغيب الذي اختص به : من الجنة والنار علمنا معنى ذلك وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب وفسرنا ذلك وأما نفس الحقيقة المخبر عنها مثل التي لم تكن بعد ؛ وإنما تكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله (انظر: مجموع الفتاوى ج 3/57-58 والعقيدة التدمرية ج 1/39).

الكلام، وثانيهما: أن يدلّ على تحقّق الشيء في الواقع أي وجوده الفعلي الذي يدلّ عليه معنى الكلام ويرجع إليه، كما قال يوسف عندما تحقّقت رؤياه بسجود إخوته له: ﴿يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾¹.

وإذا كان المراد بالتأويل معرفة معنى الكلام فالعلماء يعلمونه لأنّ الله سبحانه لم يخاطب الناس بما لا سبيل لهم إلى معرفته. وإن كان المراد به المعنى الثاني فلا يعلم تأويل المتشابه إلا الله سبحانه؛ لأنّ مسائل الغيب المتعلقة بالمولى عزّ وجلّ وباليوم الآخر فوق قدرة الذهن الإنساني على تخيلها وإدراك كنهها.

وميل النحاس في تفسير الآية إلى القول الأول، ومذهب الزجاج القول الثاني.

ولقد كان لتعدد القراءات في الآية أثره في احتمال الواو للعطف وغيره، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَمَ مِمَّا يَخْتَارُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحِيرَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ﴾² فقد قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر (وحوِر عِين) بكسر الراء والنون، وقرأ الباقر بضمّهما³.

وتوجيه قراءة الرفع أنّ الحور العين لا يُطاف بهنّ، فجاء الرفع على معنى: وعندهم حور عين، وتعقّب الفراء هذا التوجيه بأنّ الفاكهة واللحم لا يُطاف بها أيضاً، وإنما يُطاف بالخمير وحدها،

1 - سورة يوسف: الآية 100.

2 - سورة الواقعة: الآيات 17 - 22.

3 - المعصراوي، الكامل المفصل ص: 535.

"فينبغي لمن قرأ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ لأنهن - زعم - لا يطاف بهن أن يقول: (وفاكهة ولحم طير)" والوجه عنده القراءة بالجرّ على إتياع آخر الكلام أوله¹.

أما الزجاج فقد ردّ قول الذين كرهوا قراءة الجرّ بحجة أن الحور لا يطاف بهنّ، وهو يرى أنّ الخفض على غير ما ذهب إليه هؤلاء، لأن معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنُّ مُخَلَّدُونَ﴾ ينعمون بهذا، وكذلك ينعمون بلحم طيرٍ وكذلك ينعمون بحورٍ عِينٍ.

وهو يختار قراءة الرفع، لأنّ معنى قوله ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنُّ مُخَلَّدُونَ﴾ أنّه قد ثبتت لهم هذه الأشياء، فكانه قال: ولهم حورٌ عِينٌ.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ رَضَ فِيهِكَ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾² فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالضمّ والتثوين في كلمتي "رفث" و"فسوق"، وقرأ أبو جعفر بالضمّ والتثوين في الكلمات رفث" و"فسوق" و"جدال"، وقرأ الباكون بالنصب وعدم التثوين في الكلمات الثلاث³.

وقد بيّن الأخفش وجه القراءات الواردة في الآية، فقال: "وقوله ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فالوجه النصب لأن هذا نفي ولأنه كله نكرة، وقد قال قوم (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) فرفعوه كله، وذلك أنه قد يكون هذا المنصوب كله مرفوعاً في بعض كلام العرب ... وهذا جواب لقوله: هل فيه رفثٌ أو فسوقٌ؟ فقد رفع الأسماء بالابتداء وجعل لها خبراً، فلذلك يكون جوابه رفعا، وإذا قال: لا شيء فإنما هو جواب هل من شيء، لأن "هل من شيء" قد اعمل فيه

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 14) و(ج3/ 124).

2 - سورة البقرة: الآية 197.

3 - المعصراوي، الكامل المفصل ص: 31.

"من" بالجر وأضمر الخبر ... وقد قال قوم (فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ) فرفعوا الأول على ما يجوز في هذا من الرفع، أو على النهي، كأنه قال: فلا يكون فيه رفَتْ ولا فسوق ... وجعل الجدل نصبا على النفي¹.

فالأخفش بيّن في الكلام السابق فرقا دقيقا بين ما يجيء بعد لا النافية منصوبا وبين ما يجيء بعدها مرفوعا، فقولنا: لا رجل في البيت، هو جواب للسؤال: هل رجل في البيت؟ وقولنا: لا رجل في البيت، هو جواب لسؤال: هل من رجل في البيت؟

وقد بيّن الزمخشري توجيه قراءة ابن كثير وأبي عمرو بأنهما "حملا الأولين على معنى النهي، كأنه قيل: فلا يكون رفَتْ ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدل كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج". وذلك ردّا على قریش التي كانت تقدّم الحجّ سنة وتؤخره سنة فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج، واستدلّ على أنّ المنهي عنه هو الرفَتْ والفسوق دون الجدل بقوله صلى الله عليه وسلم: (من حج فلم يرفْ ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)² ولم يذكر الجدل³.

وذهب الرازي إلى أنّ النهي بالنصب أدلّ على عموم النهي من القراءة بالضمّ، وذلك أنّك إذا قلت: لا رجل بالنصب، فقد نفيت الماهية، وانتفاء الماهية يوجب انتفاء جميع أفرادها قطعا، أما إذا قلت: لا رجل بالرفع والتثوين، فقد نفيت رجلا منكرا مبهما، وهذا بوصفه لا يوجب انتفاء جميع

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 25-26).

2 - رواه البخاري رقم: 1430، ومسلم رقم: 2412.

3 - الزمخشري، الكشاف (ج1/ 244)، وانظر: الألويسي، روح المعاني (ج1/ 482).

أفراد الماهية إلا بدليل منفصل، وهو يرى أنّ الله خَصَّ الجدل في قراءة ابن كثير وأبي عمرو بمزيد الزجر والمبالغة في النفي لاشتماله على جميع أنواع القبح¹.

﴿فَبَشِّرْنَهَا إِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾² فقد قرأ ابن عامر وحفص وحزمة بفتح الباء، وقرأ الباقون بالضم³. والقراءة بالنصب على أنّ الواو عاطفة، فهي على أسلوب الوصل، وأما القراءة بالرفع فهي على تقدير أنّ الواو للاستئناف، و"يعقوب" مرفوعة على الابتداء⁴، قال الزجاج: "فأما من قرأ: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، فيعقوب في موضع نصب، محمول على موضع فبشرناها بإسحاق، محمول على المعنى، المعنى: وهبنا لها إسحاق وهبنا لها يعقوب"⁵، ووجه الأخفش قراءة "يعقوب" على نحو مختلف، وهو أن تكون الكلمة معطوفة على قوله ﴿إِسْحَاقَ﴾، فهي مجرورة ولكنها تحركت بالفتح لأنها ممّا لا ينصرف، وهذا المذهب اعترض عليه الفراء بالمشهور عند النحاة من أنّ العطف على المجرور لا يكون إلا بإعادة حرف الجر⁶.

والفرق بين قراءة النصب والرفع، أنّ يعقوب داخل حتما في البشارة على قراءة النصب، وأمّا قراءة الرفع فتحتمل "أن تكون على الابتداء والخبر المقدم، وهو على هذا داخل في البشري، وقالت فرقة: رفعه على القطع بمعنى: ومن وراء إسحاق يحدث يعقوب، وعلى هذا لا يدخل في البشارة"⁷.

1 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج 5/ 317).

2 - سورة هود: الآية 71.

3 - المعصراوي، الكامل المفصل في القراءات الأربعة عشر ص: 229.

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج 1/ 385).

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 3/ 34).

6 - الفراء، معاني القرآن (ج 1/ 197).

7 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج 3/ 189).

ومما جاء على أسلوب الفصل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ

مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ¹، فالوجه في الآية عند الفراء الرفع في كلمة "جدد"؛ لأنّ الجبال لا تتبع الثمار ولا النباتات، ويجوز فيها النصب على تقدير فعل محذوف هو "جعلنا"².

وقد يذهبون إلى تأويل حروف العطف الأخرى بمعنى الواو، وهو أيضا ما كان يعترض عليه علماء المعاني، لأنّ كل حرف في كتاب الله سبحانه له معناه، الذي لا يأتي بتمامه استعمال حرف غيره.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ³ فقد ذكر الأخفش احتمالين في معنى الآية: أولهما: أن تكون "ثم" بمعنى الواو، والثاني: أن يكون المقصود في قوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ آدم كما تقول للقوم: "قد ضربناكم وإنما ضربت سيدهم"⁴.

وقد ردّ الزجاج زعم الأخفش أنّ ثمّ في الآية بمعنى الواو، وقال عنه: "وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته، إنما ثمّ للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير"⁵، وفسّر الآية بأنّ المقصود بها خلق آدم، والمعنى: بدأنا خلق آدم ثم صورناه.

1 - سورة فاطر: الآية 27.

2 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 348).

3 - سورة الأعراف: الآية 11.

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 321).

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 260).

وقد وافق النحاسُ الزجاجَ على ردِّ قول الأخفش لأنَّ "هذا القول خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين، ولا يجوز أن تكون ثم بمعنى الواو لاختلاف معنييهما"¹. وذكر في تفسير الآية أقوالاً منها أن يكون المعنى: ولقد خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم في الأرحام، والضمير في قوله (خلقناكم) يقصد به بنو آدم، وقد علم جل وعز أنه يخلق ذريته منه، فهو بمنزلة ما خلق، ونسب هذا القول إلى ابن عباس، والقول الثاني ما يرويه عن مجاهد من أنَّ الخلق والتصوير كان في ظهر آدم، والمعنى: أنه خلقهم في ظهر آدم، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق، ثم كان السجود لآدم بعد، وهذا القول هو الذي رجَّحه النحاس، وقواه بما جاء في الآية الكريمة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾².

1 - النحاس، معاني القرآن (ج 1/ 373).

2 - سورة الأعراف: الآية 172.

الفصل الثالث

التفسير العقدي عند أصحاب المعاني

وفيه المباحث الآتية

المبحث الأول: البحث في الإلهيات في كتب أصحاب المعاني.

المبحث الثاني: التأويل عند أصحاب المعاني.

المبحث الثالث: رؤية المؤمنين لله سبحانه في كتب المعاني.

المبحث الرابع: الاختلاف في صفة الكلام عند أصحاب المعاني.

المبحث الخامس: مباحث النبوات عند أصحاب المعاني.

لا شك في أن تناول التفسير العقدي عند أصحاب المعاني له أهميته البالغة، وذلك يكمن فيما يلي:

1- أن الجانب العقدي أهم ما عني القرآن بتوضيحه وتبيينه لأنه أصل الدين وقاعدته، ولذا

فقد أولى المفسرون آيات العقيدة اهتماما كبيرا.

2- الارتباط الكبير بين التفسير العقدي والتفسير اللغوي، وذلك لأن أصحاب الفرق المختلفة

يتخذون من اللغة أساسا لتفسير الآيات القرآنية بما ينسجم مع قواعدهم ومسلّماتهم.

3- أن أصحاب المعاني كانت لهم اتجاهاتهم العقديّة، فالأخفش والفراء كانا من المعتزلة،

بينما يُعبّر الزجاج والنحاس عن عقيدة أهل السنة، ولذا فإن دراسة الجانب العقدي في

كتب المعاني يشكّل دراسة للجدل الفكري في مرحلة متقدّمة زمنياً، نقلّ المصادر التي

وصلت إلينا منها.

المبحث الأول

البحث في الإلهيات في كتب المعاني

© Arabic Digital Library - Iarmouk University

نستطيع القول إنّ الدراسة العقديّة عند أصحاب المعاني - وإن اختلفت مذاهبهم - قد انطلقت من أصل واحد: وهو تنزيه الله سبحانه عن كلّ عيب ونقص، وهذا بناء على الآيات الكريمة القاطعة في هذا المجال، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾¹.

وعقيدة التنزيه نجدها واضحة جليّة في كلّ ما سطره أصحاب المعاني في المجال العقدي، ومن ذلك ما نجده عند الأخفش في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾² فقد قال: "فكيف تضرب هذه الآلهة مثلاً لربها وهو رب كل شيء الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو مع كل شيء وأقرب من كل شيء وليس له شبه ولا مثل ولا كفاء وهو العلي العظيم الواحد الرب الذي لم يزل ولا يزال"³.

والأثر المباشر لهذه العقيدة في التفسير اللغوي: أنّ كل تعبير جاء في القرآن الكريم توهم بعض الناس منه ما يتناقض مع التنزيه والتوحيد، فهذا المعنى غير مراد قطعاً، ولا بدّ من تفسير الآية بما ينسجم مع القطعي الثابت الدالّ على تنزيه الله سبحانه عن كل عيب.

ولا ريب في أنّ نقض المعنى الفاسد الموهوم، والاستدلال على المعنى الصحيح المراد يقوم على النظر اللغوي العميق، الذي يوظف المعارف اللغويّة في بيان المراد من الآية والكشف عن معناها.

1 - سورة الشورى: الآية 11.

2 - سورة الحج: الآية 73.

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 452).

والمثال الأقرب على هذا ما نجده عند أصحاب المعاني في تفسيرهم للآية المتقدمة نفسها الدالة على التنزيه، وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فقد توهم هذه الآية من لم يحسن تدبرها أن الله سبحانه مثلاً لا يشبه الأشياء، وهو معنى فاسد، ولذل يرى الأخفش أن الكاف زائدة في الآية الكريمة، والمعنى ليس مثله شيء، لأنه ليس لله مثل¹. والفراء يفسر الآية بأن "العرب تجمع بين الشئيين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما ... فالكاف قد أجزأت عن مثل، ولكن العرب تجمع بينهما فيقولون: زيد كمثلك"²، ويوضح ذلك الزجاج بقوله: "هذه الكاف مؤكدة، والمعنى ليس مثله شيء، ولا يجوز أن يقال: المعنى مثل مثله شيء، لأن من قال هذا فقد أثبت المثل لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً"³.

والقول بأن الكاف مؤكدة أو زائدة يناقش فيه أصحاب المعاني، والقول الصحيح والمذهب النجيب أن كل حرف في كتاب الله سبحانه له دلالة ووظيفته التي لا يقوم المعنى كاملاً إلا بها، ولعل التفسير الأقرب للآية الكريمة "أن العرب تقول: 'مثلك لا يفعل كذا' يعنون المخاطب نفسه؛ لأنهم يريدون المبالغة في نفي الوصف عن المخاطب، فينفونها في اللفظ عن مثله، فيثبت انتفاؤها عنه بدليلها"⁴.

والأمثلة على توظيف الجانب اللغوي والبياني لتفسير الآيات الكريمة بما ينسجم مع التنزيه عند أصحاب المعاني كثيرة، منها ما نجده عند الزجاج في تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِرِجْمٍ

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 330) و (ج1/ 197).

2 - الفراء، معاني القرآن (ج3/ 84 - 85) بتصرف.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج).

4 - السمين الحلبي، الدر المصون (ج9/ 545).

وَيَذُرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ¹ فقد ذكر أوجها في تفسير الآية، منها: أن معنى استهزاء الله بهم أن أظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف ما لهم في الآخرة، كما أظهروا من الإسلام خلاف ما أسروا. أو أن يكون استهزاؤه بهم: أخذه إياهم من حيث لا يعلمون، كما قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ²، والوجه المختار عند أهل اللغة أن يكون معنى يستهزئ بهم يجازيهم على هزئهم بالعذاب، فسمى جزاء الذنب باسمه كما قال عز وجل: ﴿وَحَرَزُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً³ مَثَلًا⁴ فالثانية ليست سيئة في الحقيقة، ولكنها سميت سيئة لازدواج الكلام⁴.

ولقد كان لاستيلاء فكرة التنزيه على نفوس أصحاب المعاني أثره حتى في التوجيه النحوي، على نحو ما نجد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ⁵ فقد سارع الزجاج إلى القول بأن "أو" دخلت هنا لغير شك، وهذه يسميها الحذاق باللغة "واو الإباحة"، والمعنى أن التمثيل مباح لكم في المنافقين إن مثلتموهم بالذي استوقد ناراً فذاك مثلهم وإن مثلتموهم بأصحاب الصيب فهذا مثلهم، أو مثلتموهم بهما جميعاً فهما مثلاًهم، كما تقول: "جالس الحسن أو ابن سيرين"، وكلاهما أهل لأن يجالس، وإن جمعتما فأنت مطيع⁶.

1 - سورة البقرة: الآية 15.

2 - سورة الأعراف: الآية 182.

3 - سورة الشورى: الآية 40.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 90).

5 - سورة البقرة: الآية 19.

6 - انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 96-97).

وقريب من هذا ما نجده عندهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾¹

فأبو عبيدة يجعل "أو" بمعنى "ثم" أو "بل"، وهي ليست بشك².

والفراء يرى كذلك أن "أو" بمعنى بل، ويقول: "من زعم أن "أو" في هذه الآية على غير

معنى بل فقد افتري على الله لأن الله تبارك وتعالى لا يشك"³.

والأخفش يجعل "أو" بمعنى الواو، ومخرج ذلك في العربية عنده أنك تقول: "لا تجالس زيدا أو

عمرا" فإن أتى واحداً منهما أو كليهما كان عاصياً. قال: "وأرى الذين قالوا: إنما "أو" بمنزلة "الواو"

إنما قالوها لأنهم رأوها في معناها. وأما ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فأنما يقول: أرسلناه إلى

مئة ألف عند الناس، ثم قال: أو يزيدون عند الناس، لأن الله تبارك وتعالى لا يكون منه شك⁴.

وقد تعقب الزجاج الأخفش في قوله إن "أو" بمعنى الواو بأن الواو معناها الاجتماع، وليس

فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر، و"أو" معناها أفراد أحد شيئين أو أشياء، فلا تكون بمعناها.

ثم نقل القول بأن أو على أصلها، وأن المعنى: أو يزيدون في تقديركم أنتم، إذا رآهم الرائي

قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة⁵.

والآية عنده مثل قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾⁶ والمعنى: أن العباد خوطبوا على

لغتهم ومقدار فهمهم، وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحزر، فالمعنى فكان على ما تقدرونه أنتم قدر

1 - سورة الصافات: الآية 147.

2 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج2/ 175).

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 250).

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 250).

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 238).

6 - سورة النجم: الآية: 9.

قوسين أو أدنى من ذلك، كما تقول في الذي تقدره: هذا قدر رمحين أو أنقص من رمحين أو أرجح¹.

وقد نقل الطبري عن ابن عباس القول بأن "أو" في الآية بمعنى "بل"، ثم ذكر قول الأخفش دون أن يصرح باسمه فقال الطبري: "وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك: معناه إلى مئة ألف أو كانوا يزيدون عندكم، يقول: كذلك كانوا عندكم"².

وقد ذهب الزمخشري والرازي وأبو السعود إلى قول الأخفش في تفسير الآية والمعنى عندهم: "يزيدون في رأى الناظر أي إذا رآها الرائي قال: هي مئة ألف أو أكثر"³.

ومن الأمثلة الأخرى على توظيف التفسير اللغوي والبياني بما ينسجم مع التنزيه ما نجده في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِسُوءِ أَمَدًا﴾⁴ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾⁵.

فقد جاء في معاني القرآن للأخفش: "فهو لم يعلمهم؟ قلت بل قد علم، ولكن هذا فيما يذكر أهل التأويل ليبين للناس، كأنه قال "ليعلمه الناس" ... وقد علم ولكن ليبين ذلك، وقد قرأ أقوام أشباه هذا في القرآن (لِيُعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) ولا أراهم قرأوه إلا لجهلهم بالوجه الآخر⁶.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 57).

2 - الطبري جامع البيان (ج 21/ 116).

3 - الزمخشري، الكشاف (ج4/ 62)، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج26/ 358)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج7/ 206)، وأبو حيان: البحر المحيط (ج9/ 125).

4 - سورة الكهف: الآية 12.

5 - سورة آل عمران: الآية 142.

6 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 70).

ويقول الزجاج: "والله عز وجل قد علم ما يكون منهم إلا أن الجزاء يجب بوقوع العمل

منهم"¹. فقوله سبحانه ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ معناه: ولمّا يقع العلم بالجهاد والعلم بصير

الصابرين، ولمّا يعلم الله ذلك واقعا منهم، لأنه - جل وعز - يعلمه غيبا، وإنما يجازيهم على

عملهم². وقال النحاس: "قد علم ذلك علم غيب وإنما تقع المجازاة على العلم المشاهد"³.

ومن الأمثلة أيضا على التفسير اللغوي المستند إلى عقيدة التنزيه ما نجده عند الزجاج في

تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾⁴ "فتأويله أن ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث عنده،

وأنه كذلك كان لم يزل، هذا مذهب سيبويه، وقيل: معناه: "مقتدرا" عليه قبل كونه، وقال بعضهم:

"كان" من الله بمنزلة كائن ويكون.

ثم قال: "ومذهب سيبويه والخليل مذهب النحويين الحذاق كما وصفنا، لأنهم يقولون: إنما

خوطبت العرب بلغتها ونزل القرآن بما يعقلونه ويتخاطبون به، والعرب لا تعرف كان في معنى

يكون، إلا أن يدخل على الحرف آلة تنقلها إلى معنى الاستقبال، وكذلك لا يعرف الماضي في معنى

الحال"⁵.

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾⁶، ينقل الزجاج عن

الحسن البصري أن المعنى: كان غفورا لعباده قبل أن يخلقهم، وينقل عن النحويين البصريين قولهم:

1 - الزجاج معاني القرآن وإعرابه (ج1/293).

2 - الزجاج، معاني القرآن (ج1/472).

3 - النحاس، معاني القرآن (ج1/165).

4 - سورة الكهف: الآية 45.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/65).

6 - سورة النساء: الآية 99.

كان القوم شاهدوا من الله رحمة فأعلموا أن ذلك ليس بحادث، وأن الله لم يزل كذلك، ويذكر أن بعض النحاة يرون أن "فعل" من الله بمنزلة ما في الحال، مستدلين على ذلك بأن قولنا: "غفر الله لفلان" معناه: ليغفر الله له¹، وهذا الرأي قريب مما ذهب إليه الفراء من أن العرب قد تدخل "كان" على الخبر الدائم الذي لا ينقطع².

فالزجاج نقل الأقوال في تفسير الآية، وكلها مقبول وحسن عنده، ولكنه اختار مذهب سيبويه ومن معه ممن ساءهم حُذاق النحويين، لأنه فضلا عن انسجامه مع الأصل العقدي جاء منسجما مع الاستعمال اللغوي، وهو يرى أن الأقوال الأخرى تؤول إليه.

و"المشكلة" من مناحي التفسير التي يلجأ إليها أصحاب المعاني للانسجام مع عقيدة التنزيه، وهي ضرب من المجاز، علاقته المصاحبة كما رجّحه السيوطي³، وعرفه بأنه ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا⁴. ومثل على الأول بقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾⁵ فإطلاق المكر في جانب الباري تعالى إنما هو لمشكلة ما معه، ومثال التقديري قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾⁶ أي تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس،

1 - الزجاج، معاني القرآن (ج2/93).

2 - الفراء، معاني القرآن (ج2/403).

3 - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (ج3/140).

4 - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (ج3/322).

5 - سورة آل عمران: الآية 54.

6 - سورة البقرة: الآية 138.

والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون: إنه تطهير لهم، فعبّر عن الإيمان بـ "صبغة الله" للمشاكلة بهذه القرينة¹.

ومن أمثلة ما حمله أصحاب المعاني على المشاكلة ما جاء عند الأخفش من أن قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾² جاء على الجواب، وكذلك قوله: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾³ وقوله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾⁴ والله لا يكون منه المكر والهزاء، والمعنى: أن المكر حاق بهم والهزاء صار بهم⁵. وما قاله الأخفش قريب مما ذهب إليه الفراء من أن "المكر من الله استدراج، لا على مكر المخلوقين"⁶.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدَّوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾⁷ يقول الزجاج: "سمى الثاني اعتداء لأنه مجازاة اعتداء فسمي بمثل اسمه، لأن صورة الفعلين واحدة. وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقول: "ظلمني فلان فظلمته" أي جازيته بظلمه، و"جهل علي فجهرت عليه" أي جازيته ... وقال الله عز وجل: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ وقال: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾⁸ جعل اسم مجازاتهم مكرا كما مكروا، وجعل اسم مجازاتهم على سخريتهم سخریا،

1 - السيوطي، الإثقان في علوم القرآن (ج3/ 323).

2 - سورة النساء: الآية 142.

3 - سورة آل عمران: الآية 54.

4 - سورة البقرة: الآية 15.

5 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 40).

6 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 218).

7 - سورة البقرة: الآية 194.

8 - سورة التوبة: 79.

فكذلك: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾¹.

وفي موضع آخر من كتابه يعبر الزجاج عن المشكلة بازدواج الكلام لأن الجنسين في الفعل

معنى واحد، وسمي الثاني باسم الأول ليتفق اللفظ².

كما وظف أصحاب المعاني الثقافة اللغوية والبيانية في تأويل المشكل الموهم في مجال

العقيدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا

مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾³ فقد قرأ الكسائي: (تستطيع ربك) بتاء الخطاب ونصب الراء، وقرأ الباقر بالباء

ورفع الباء⁴.

وقد فسر أبو عبيدة الآية الكريمة بأن المراد منها: هل يريد ربك⁵، ويقول الأخفش: "وليس

قولهم ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ لأنهم ظنوا أنه لا يطيق. ولكنه كقول العرب: أستطيع أن تذهب في هذه

الحاجة وتدعنا من كلامك"، وتقول: "أستطيع أن تكف عني فإني مغموم"، فليس هذا لأنه لا يستطيع

ولكنه يريد "كف عني" ويذكر له الاستطاعة ليحتج عليه أي: إنك تستطيع. فاذا ذكره إياها علم أنها

حجة عليه⁶، وتأول الأخفش قراءة الكسائي بأنها على إضمار الفعل كأن المعنى: "هل تستطيع أن

تدعو ربك".

1 - الزجاج، معاني القرآن (ج1/ 265).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 182).

3 - سورة المائدة: الآية 112.

4 - المعصراوي، الكامل المفصل ص: 126.

5 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (1/ 182).

6 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 291-292).

أما الفراء فتأول قراءة الجمهور بأنها على قولك: هل يستطيع فلان القيام معنا؟ وأنت تعلم أنه يستطيعه، وتأول قراءة الكسائي بأن معناها: هل تقدر على أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء¹.

وقال الزجاج في تأويل قراءة الجمهور: "وليس المعنى عندي - والله أعلم - أنهم جهلوا أن الله يقدر على أن ينزل مائدة، ولكن وجه السؤال هل ترى أنت أن ربك يرى ما سألنا من آياتك التي تدل على نبوتك"².

وللزركشي تأويل حسن للآية، فهو يرى أن نفي الاستطاعة قد يراد به نفي الإمكان، وقد يراد به عدم وقوع الفعل مع إمكانه لوجود صارف أو مانع. والحواريون علموا أن الله قادر على الإنزال، وأن عيسى قادر على السؤال، وإنما استفهموا إن كان هناك من صارف أو مانع³.

ومن المفسرين من يذهب إلى التشكيك في أنهم كانوا مؤمنين، فالزمخشري يرى أن الآية لم تصفهم بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم للإيمان، ثم ذكرت سؤالهم، وهو يدل على أنهم كانوا شاكين، وقولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم⁴.

وقد ردّ السمين ما ذهب إليه الزمخشري، ونقل قول ابن الأنباري: "لا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا في قدرة الله تعالى"، وقال عن رأي الزمخشري بأنه ليس بجيد وكأنه

1 - الفراء: معاني القرآن (ج1/ 235).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 214)، (بتصرف يسير).

3 - انظر: الزركشي: البرهان (ج3/ 407).

4 - الزمخشري، لكشاف (ج1/ 693).

خارق للإجماع¹، واستدلّ على ذلك بقول ابن عطية: "ولا خلاف أحفظه أنهم كانوا مؤمنين"، ونقل ذلك الألويسي عنه مقرا له².

ولكنّ عبارة ابن عطية في المحرّر الوجيز تجوّز أن يكون الحواريون شاكّين وقت السؤال، فقد قال ابن عطية: "ولا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين، وهذا هو ظاهر الآية، وقال قوم: قال الحواريون هذه المقالة في صدر الأمر قبل علمهم بأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى"³.

وقد ذكر الرازي وجوها في الآية منها ما ذهب إليه الزمخشري، ومنها: أنهم كانوا مؤمنين، وأنّ سؤالهم لزيادة اليقين كسؤال إبراهيم أن يريه الله كيف يحيي الموتى. ومنها أنّ ذلك كان سؤالا عن الجواز من جهة الحكمة، وذلك لأنّ "أفعال الله تعالى لما كانت موقوفة على رعاية وجوه الحكمة ففي الموضع الذي لا يحصل فيه شيء من وجوه الحكمة يكون الفعل ممتعا، فإنّ المنافي من جهة الحكمة كالمنافي من جهة القدرة"⁴.

وهذا قريب ممّا جاء عند الطبرسي من أنّ الحواريين لم يقصدوا بالاستطاعة قدرة الله التكوينية، بل سألوا عن انسجام طلبهم مع مصالح التكوين لتتحقق المشيئة الإلهية، فهم طلبوا ذلك ليكون علما على صدق عيسى (عليه السلام) في نبوته، من حيث لا يعرض عليهم فيها إشكال ولا شبهة⁵.

-
- 1 - السمين الحلبي، الدر المصون (ج4/ 500)
 - 2 - الألويسي، روح المعاني (ج4/ 56).
 - 3 - ابن عطية، المحرر الوجيز (ج2/ 260).
 - 4 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج 12/ 462).
 - 5 - الطبرسي، مجمع البيان (ج3/ 451).

ومن الأجوبة التي حكاها الألوسي في تفسير الآية أن معنى "هل يستطيع" هل يفعل، كما تقول للقادر على القيام: هل تستطيع أن تقوم بمبالغة في التقاضي، والتعبير عن الفعل بالاستطاعة من التعبير عن المسبب بالسبب إذ هي من أسباب الإيجاد¹.

ومن الأمثلة على مسلك أصحاب المعاني في تفسير ما يوهم إشكالا بما يكشف عن حقيقة المراد منه، ما نجده عندهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾²، ومحلّ الإشكال في الآية أن التعبير بقوله سبحانه ﴿أَهْوَبُ﴾ يشكل فهمه في ضوء ما هو ثابت قطعا من اتصافه سبحانه بكمال القدرة التي لا يكون مع كمالها شيء أهون من شيء، ولذا لجأ أصحاب المعاني إلى رفع الإشكال في الآية بأحد المسالك الآتية:

1- أن يكون المقصود بالآية أن الإعادة عندكم أسهل من الإنشاء، فلم أنكرتم الإعادة؟ قال الفراء: "والقول فيه أنه مثل ضربه الله فقال: أتكفرون بالبعث، فابتداء خلقكم من لا شيء أشد، فالإنشاء من شيء عندكم ي أهل الكفر ينبغي أن تكون أهون عليه، ثم قال ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ فهذا شاهد أنه مثل ضربه الله³، وهذا التفسير عدّه الزجاج أحسن الأقوال في تفسير الآية، وهو أنه سبحانه خاطب الناس بما يعقلون، وجعله مثلا لهم فقال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾⁴.

2- أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ راجعا إلى الخلق، ونقله الفراء عن ابن عباس⁵، والمقصود أن الإعادة والبعث أهون على الإنسان من إنشائه، لأنه يقاسي في النشأة ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث⁶.

1 - الألوسي، روح المعاني (ج4/ 56).

2 - سورة الروم: الآية 27.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 234).

4 - الزجاج، معاني القرآن واعرابه (ج4/ 275).

5 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 323).

6 - الزجاج، معاني القرآن واعرابه (ج4/ 276).

3- أن تكون أهون بمعنى "هين"، لأنّ الإعادة والابتداء كل سهل عليه، فهذا مثل قولنا: "الله

أكبر" أي كبير¹، وهو مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾² أي عالم، لأنّ أفعل تكون في معنى فاعل³، وهذا القول عدّه النحاس أجود الأقوال ونسبه إلى المبرد⁴.

ومن المجالات التي تأثر فيها التفسير العقدي بالجانب اللغوي والبياني تفسير أسماء الله الحسنى، فإذا احتمل الاسم الكريم معاني مختلفة وجدنا أصحاب المعاني يلجأون إلى الترجيح مستندين إلى اللغة وعلومها.

ومن ذلك ما نجده عند الفراء والزجاج في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾⁵ فالفراء يفسر المقيت: بالمقدر والمقتدر، كالذي يعطي كل رجل قوته⁶. أمّا الزجاج فقد ذكر قولين في معناه، فمنهم من يفسّره بالقدير، ومنهم من يفسره بالحفيظ، قال الزجاج: "وهو عندي - والله أعلم - بالحفيظ أشبه، لأنه من القوت مشتق، يقال: قت الرجل أقوته قوتا إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته، والقوت اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه ... فمعنى المقيت الحفيظ، الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ"⁷.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/276).

2 - سورة الكهف: الآية 26.

3 - أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج2/121).

4 - النحاس، معاني القرآن (ج2/75).

5 - سورة النساء: الآية 85.

6 - الفراء، معاني القرآن (ج1/280).

7 - الزجاج، معاني القرآن (ج2/89).

المبحث الثاني

التأويل عند أصحاب المعاني

التأويل مصدر الفعل أول مضعّف الفعل آل، ومعناه رجع، ويرى ابن فارس أن معانيه ترجع إلى أصلين: ابتداء الشيء وانتهائه، ومن استعماله في الابتداء قولنا الأول لمبتدأ الشيء، ومن استعماله في الانتهاء الأيّل وهو الذكر من الوعول، وسمّي بذلك لأنه يؤول إلى الجبل ليتحصّن فيه، والإيالة السياسة لأنّ مرجع الرعيّة إلى راعيها، وآل الرجل: أهل بيته سُمّوا بذلك لأنّ مآلهم ومرجعهم إليه¹.

وجاء في القاموس المحيط: "آل إليه أولاً ومآلاً: رجع، وآل عنه: ارتد ... وآل الملك رعيته إياباً: ساسهم ... وآل المال: أصلحه وساسه"².

وقال الراغب في المفردات: "التأويل من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المَوَيْلُ للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلاً، ففي العلم نحو ﴿وَمَا يَسْأَلُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾³ وفي الفعل كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾⁴ أي: بيانه الذي غايته المقصودة منه⁵.

وثمة أقوال عند أهل العلم في الفرق بين التأويل والتفسير، فمنهم من يقول هما بمعنى واحد، ومنهم من يجعل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني، وقيل التفسير فيما يكون قاطعاً، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع، وقيل التفسير بيان معنى اللفظ والتأويل بيان حقيقته المرادة

1 - ابن فارس، مقاييس اللغة (ج1/ 158) (آل).

2 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص: 963 (آل).

3 - سورة آل عمران: الآية 7.

4 - سورة الأعراف: الآية 53.

5 - الأصفهاني، المفردات ص: 99.

منه، وقيل التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط¹.

أمّا التأويل بمعناه الاصطلاحي فيعرفه ابن حزم بأنه: "نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر، فإن كان نقله قد صح ببرهان، وكان ناقله واجب الطاعة فهو حقّ، وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل بأنه باطل"².

وعرفه الغزالي بأنه "عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر"³.

ويعرفه الآمدي بأنه حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له، ويكون مقبولا صحيحا إذا عضده الدليل⁴.

وعرفه الدريني بأنه: "تبين إرادة الشارع من اللفظ بصرفه عن ظاهر معناه المتبادر منه، إلى معنى آخر يحتمله، بدليل أقوى يرجح هذا المراد"⁵.

وفي ضوء هذه التعريفات يتضح أنّ التأويل ضرب من التفسير بالاجتهاد، يتجاوز المعنى اللغوي المتبادر إلى معنى آخر يحتمله اللفظ، وعليه فالتأويل ليس هداما للنص ولا افتئاتا عليه، بل هو مزاجية بين المنطق اللغوي من جهة وبين المنطق الفكري والتشريعي من جهة أخرى، والمقصود منه تفسير النص الجزئي الذي يشوب معناه احتمال، بما ينسجم مع الفهم الكلي القطعي القائم على نظر شامل إلى قواعد الدين وأصوله العقدية والتشريعية.

1 - الزركشي، البرهان (ج2/ 149 - 150)، والسيوطي، الإتقان (ج4/ 192 - 193).

2 - ابن حزم، الإحكام (ج1/ 43).

3 - الغزالي، المستصفى (ج2/ 49).

4 - الآمدي، الإحكام (ج3/ 59).

5 - الدريني، المناهج الأصولية ص: 95.

ومن شروط قبوله أن يكون قريبا تحتمله اللغة، وأن يقوم الدليل الراجح على أن المعنى

المجازي هو المراد.

ومن السمات المتفق عليها عند أصحاب المعاني قبول التأويل بمعناه الاصطلاحي عند

المتأخرين إذا كان قريبا منسجما مع اللغة، ووجد الداعي إليه، وكثيرا ما ينقلون التفسير الذي يعتمد

التأويل مع المنقول عن السلف دون أن يروا بينهما التناقض والتدافع الذي تخيله المتأخرون، فأقاموا

معارك في غير محل قتال، لأن الآيات الكريمة تتسع للمذهبيين إذا تجردا عن الغلو في الإثبات

المفضي إلى التجسيم، والغلو في النفي المفضي إلى التعطيل.

ومن الآيات التي يتضح في تفسيرها أن أصحاب المعاني يقبلون الرأيين: الإثبات مع التنزيه،

أو التأويل القريب قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ

سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹، فقد ذكر الفراء معاني الاستواء في اللغة، وهي:

أ- أن يستوى الرجل وينتهي شبابه.

ب- أو يستوي عن اعوجاج

ج- أن تقول: كان مقبلا على فلان ثم استوى عليّ يشاتمني وإليّ سواء، على معنى أقبل

إلى وعليّ.

وهو يرى أن المقصود في الآية المعنى الثالث، ثم يقول: "وقال ابن عباس: ثم استوى إلى

السماء: صعد، وهذا كقولك للرجل: كان قائما فاستوى قاعدا، وكان قاعدا فاستوى قائما. وبعد أن

ذكر الفراء القولين قال: "وكل في كلام العرب جائز"².

1 - سورة البقرة: الآية 29.

2 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 25).

وذكر الزجاج القولين في تفسير الآية، الأول: أن استوى بمعنى عمد وقصد إلى السماء، كما نقول قد فرغ الأمير من بلد كذا وكذا، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه قصد بالاستواء إليه.

والثاني: استوى أي صعد أمره إلى السماء، وهذا قول ابن عباس¹.

والملاحظ أن الزجاج أول المنقول عن ابن عباس بصعود أمره سبحانه، فجعل القولين على التأويل.

أما الأخفش فقد كان انحاز إلى التأويل في تفسير الآية، وربما يكون ذلك مما أملاه عليه تأثره الواضح بأراء المعتزلة، ولذا يقول في تفسير الآية: "وأما قوله ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ فإن ذلك لم يكن من الله تبارك وتعالى لتحول، ولكنه يعني فعله كما نقول: "كان الخليفة في أهل العراق يوليهم، ثم تحول إلى أهل الشام"، إنما تريد تحول فعله². وفي موضع آخر يفسر الفعل "استوى" بأنه علا، ويقول: "ومعنى "علا": قدر، ولم يزل قادرا ولكن أخبر بقدرته"³.

ومن الآيات التي ظهر في تفسيرها أن الزجاج يقبل المسلكين: الإثبات والتأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾⁴ فقد بين أن المعنى في اللغة: الكشف عن الأمر الشديد، وهو ما نقله أحمد بن حنبل عن ابن عباس⁵، ثم قال الزجاج: "وقال ابن مسعود: يكشف

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/112).

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج 1/62).

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج 2/445).

4 - سورة القلم: الآية 42.

5 - ونقله الطبري عن مجاهد وإبراهيم وسعيد بن جبير وقتادة (ج 23/556)، والرأي الثاني في تفسير الآية يستند إلى الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي سعيد، رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رثاء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا. (انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق، رقم: 4919).

الرحمن عن ساقه، فأما المؤمنون فيخرون له سجداً، وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفايد، فهذا ما روينا في التفسير وما قاله أهل اللغة¹.

ومن التأويل عند أصحاب المعاني أنهم يحملون بعض الآيات الكريمة على التمثيل وتصوير المعنى، كما نجد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾² فالأخفش يفسر ﴿قَبْضَتُهُ﴾ أي في قدرته، "نحو قوله ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾"³ أي: وما كانت لكم عليه قدرة، وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر البدن، وأما قوله ﴿قَبْضَتُهُ﴾ فنحو قولك للرجل: "هذا في يدك وفي قبضتك"⁴.

وقال النحاس: "معنى والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة: أي يملكها، كما تقول: هذا في قبضتي. وقال محمد بن يزيد: معنى بيمينه بقوته"⁵.

والمنحى البياني في تفسير هذه الآية الكريمة اتضحت معالمه عند الزمخشري الذي قال في تفسيرها: "والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملة ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز"⁶.

1 - الزجاج، معاني القرآن (ج5/144).

2 - سورة الزمر: الآية 67.

3 - سورة النساء: الآية 36.

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/496).

5 - النحاس، معاني القرآن (2/1085).

6 - الزمخشري، الكشاف (4/142).

والآية عنده لا يفهم منها إلا ما يفهمه علماء البيان من الدلالة على القدرة الباهرة، لأنّ "الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتننها الأوهام، لا يوصل السامع إلى الوقوف عليها إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل"¹.

ثمّ قال مبيناً منزلة علم البيان في التفسير العقدي: "ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى ... فإنّ أكثره تخيلات قد زلت فيها الأقدام، وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتفكير، حتى يعلموا أنّ في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدروه حق قدره، لما خفى عليهم أنّ العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه، إذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو، وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول، قد ضيم وسميم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة، لأنّ من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير، ولا يعرف قبيلاً منه من دبير"².

ولم يرق لابن المنير السكندري تعبیر الزمخشري بمصطلحات التخيل والتمثيل، ورأى أنّ عبارته موهمة منكّرة.

كما تعقّب الرازي الزمخشري بأنّ الأصل في الكلام حمله على الحقيقة، وأنّه إنّما يعدل عن الحقيقة إلى المجاز عند قيام الدلالة على امتناع حمله على الحقيقة، ومن أنكر هذا الأصل يُخرج القرآن بالكلية عن أن يكون حجة، لأنّ ذلك يفتح الباب لكل أحد أن يتجاوز معاني القرآن دون التفات إلى الظاهر³.

1 - الزمخشري، الكشف (4/ 143) بتصرف.

2 - المصدر السابق نفس الصفحة، بتصرف.

3 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج 27 / 473).

ولست مع ابن المنير ولا الرازي في حملتهما على الزمخشري، فالزمخشري يؤسس لمصطلحي التمثيل والتخييل بدلالتهما الفنية التي درست بعده دراسة موسعة في علم البيان، ولم يقصد بهما شيئاً يتناقض مع جلال القرآن.

أمّا اعتراض الرازي فهو في غير محله، وقد كفانا القمّي النيسابوري الردّ عليه إذ قال: " هذا الذي ذكره الإمام طريق أصولي، والذي ذكره جار الله طريق بياني، وأنهم يحيلون كثيراً من المسائل إلى الذوق فلا منافاة بينهما"¹.

وجذور المدرستين في التأويل: الأصوليّة والبيانيّة نجدها عند أصحاب المعاني، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾² فالأخفش يفسرها بأنّ "مثل ما أنار من الحق في بيانه كمثل المشكاة، ليس لله مثل تبارك وتعالى"³.

والزجاج يفسّر الآية بأنّه سبحانه مدبر أمر السموات والأرض بحكمة بالغة وحجة نيرة، ثمّ مثل نوره في القلوب بأبين النور فقال: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فنوره يجوز أن يكون ما ذكرنا من تدبيره، وجائز أن يكون كتابه الذي بين به، وجائز أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه المرشد والمبين والناقل عن الله ما هو نيرٌ بيّن⁴.

1 - القمّي، غرائب لقرآن (ج6/ 14).

2 - سورة النور: الآية 35.

3 - الأخفش، معاني القرآن (2/ 457).

4 - انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 111).

وذكر النحاس تفسير ابن عباس للآية بأنه سبحانه هادي أهل السموات والأرض، وهاداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيئ قبل أن تمسه نار فإذا مسته ازداد ضوءاً على ضوء، كذا قلب المؤمن يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى ونورا على نور¹.

فتفسير أصحاب المعاني لهذه الآية الكريمة يقترب من المنحى البياني في التأويل، الذي يقوم على ملاحظة الصورة الفنية، وتوظيف تفسير المفردات في إطار التشبيه التمثيلي التخيلي الذي يتجاوز حمل المفردة الواحدة على المجاز.

أما التأويل الذي يقوم على النظر في معنى المفردة، والخروج بها عن الحقيقة إلى المجاز فأمثله كثيرة عند أصحاب المعاني، ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسْمَاءُ بَيَّنَّتْهَا بِأَيْدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾².

فالفراء يفسر قوله سبحانه ﴿بِأَيْدِي﴾ أي بقوة³، وهو ما ذهب إليه الزجاج مستدلاً بقوله سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾⁴ ومعنى أيدينا في اللغة شددنا وقوينا، والأيدي القوة⁵. وقوله تعالى: ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾⁶ يفسره الفراء والزجاج بأولي القوة والبصر في أمر

1 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 808).

2 - سورة الذاريات: الآية 47.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج3/ 89).

4 - سورة البقرة: الآية 87.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 215).

6 - سورة ص: الآية 45.

الله¹، أي أولى القوة في العبادة والبصيرة فيما يقرب إلى الله، ويُقال للقوم: لهم أيدي بهؤلاء أي هم قادرون عليهم².

ففي الآيات السابقة يحمل أصحاب المعاني كلمة اليد على القدرة، بخلاف قولهم في تفسير قوله سبحانه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾³ فإنهم يحملونها على العطية والنعمة، وقد ذهب الأخفش إلى ذلك، ومعنى الآية عنده كما تقول: "إن لفلان عندي يدا" أي: نعمة، وقال: ﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ﴾ أي: أولى النعم. وقد تكون "اليد" في وجوه، تقول "بين يدي الدار" تعني: قدامها، وليست للدار يدان⁴.

فالأيدي قد أولت في بعض النصوص بالقدرة، وفي بعضها بالعطية والنعمة، والمعول عليه في ذلك القرينة، وحيثما كان النصّ محتملاً للأمرين وقع الخلاف في تفسيره، كما في قوله: ﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ﴾ فالزجاج يفسر الأيدة بالقوة، والأخفش يفسرها بالنعمة.

ومن الأمثلة على التأويل عند أصحاب المعاني أيضا تأويل العين بالرعاية والعناية، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾⁵ يقول الزجاج: "أي فإنك بحيث نراك ونحفظك

1 - الفراء، معاني القرآن (ج2/ 406).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/ 218).

3 - سورة المائدة: الآية 64.

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 284).

5 - سورة الطور: الآية 48.

ونردعك، ولا يصلون إلى مكروهك¹، كما يفسر قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾² أي
"بأبصارنا إليك وحفظنا لك، وبما أوحينا لك"³.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁴
يذكر الزجاج في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ الأقوال الآتية:

- 1- أن يكون معناه غضبه عليهم كما تقول: فلان لا يكلم فلاناً، تريد هو غضبان عليه.
- 2- أن يُراد به أنه سبحانه لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية.
- 3- أن يكون معناه أنه سبحانه لا يسمعهم كلامه، ويكون الأبرار وأهل المنزلة الذين رضي
الله عنهم يسمعون كلامه⁵.

وحيث إن التأويل خروج عن أصل معنى الكلام، فلا ينبغي أن يُصار إليه إلا لضرورة، ولا
يُقبل إلا إذا كان قريباً تحتمله اللغة، وبدل عليه الدليل.

ولقد كان الزجاج على وعي عميق بهذه القاعدة، ولذا نراه يرفض بعض التأويلات أو
يستبعدا إذا رآها غير مستوفية شروط القبول.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/325).

2 - سورة هود: الآية 37.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/41).

4 - سورة البقرة: الآية 174.

5 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/212).

ومن ذلك ما نجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن

لَا تَشْعُرُونَ﴾¹ فقد ذكر في تفسير الآية رأيين:

الأول: أن الشهيد عند حيّ عند الله وإن فارقت روحه جسده، فهو كالنائم يتوفى الله نفسه في

نومه، وقد قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾².

والثاني: أن وصفهم بالحياة تعبير مجازي، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا

لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾³، فوصفهم بالحياة معناه على هذا القول أنهم مهتدون وأحياء في دينهم.

والزجاج لا يتردد في ترجيح القول الأول، لأن القول الثاني يلجأ إلى التأويل حيث لا ملجئ

إليه، ولذا يقول الزجاج: "والقول الأول أشبه بالدين والصق بالتفسير"⁴.

ومن الأمثلة أيضا على رفض الزجاج للتأويل الذي يراه غير مستوف شرائط القبول ما نجده

عنده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فِيْخُرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁵، فمن العلماء من يحمل الهبوط المذكور في

الآية على ظهور أثر الصنعة الدالّ على أنها مخلوقة، وقد رفض الزجاج هذا المنحى في تفسير

الآيات الكريمة، وقال: "هذا خطأ، لأن ليس منها شيء ليس أثر الصنعة بينا في جميعها، وإنما

الهابط منها مجعول فيه التمييز"⁶، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ

1 - سورة البقرة: الآية 154.

2 - سورة الزمر: الآية 42.

3 - سورة الأنعام: الآية 122.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 200).

5 - سورة البقرة: الآية 74.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 1/ 157).

خَشِيعًا مُتَّصِدَةً مِّنْ خَشِيَةِ اللَّهِ¹ وبقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾² فقوله سبحانه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ دليل على أن ذلك تمييز أراد الله منها، ولو كان يراد بذلك الصنعة لم يقل وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب، لأن أثر الصنعة شامل للمؤمن وغيره³.

ونجد الأمر نفسه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁴. فقد ذكر أن قوما فسروا التسبيح في الآية بظهور أثر قدرته سبحانه، والتعبير عندهم مجاز عن الخضوع للقدرة الإلهية، وهو يرد هذا التفسير لأنه يراه متعارضاً مع قوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾⁵ إذ لو كان المقصود بتسبيح الجبال والطير "أثر الصنعة" ما قيل مع داود لأن أثر الصنعة يتبين مع داود وغيره، فهو سجود طاعة لا محالة، ولكننا لا نعلم تسبيحها إلا أن يجيئنا في الحديث كيف تسبيح ذلك⁶.

ويستدل بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾⁷ على ما يذهب إليه، "قلو كان التسبيح آثار الصنعة لكانت معقولة، وكانوا يفقهونها"⁸.

-
- 1 - سورة الحشر: الآية 21.
 - 2 - سورة الحج: الآية 18.
 - 3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 3/216).
 - 4 - سورة الحشر: الآية 24.
 - 5 - سورة الأنبياء: الآية 79.
 - 6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 3/187).
 - 7 - سورة الإسراء: الآية 44.
 - 8 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 3/45).

المبحث الثالث

رؤية المؤمنين لله سبحانه يوم القيامة

رؤية المؤمنين لله سبحانه يوم القيامة:

من المسائل العقديّة المهمّة التي أثارها أصحاب المعاني مسألة الرؤية، ومن المعلوم أنّ الأخفش كان على مذهب المعتزلة، وإليها ميل الفراء، وأنّ الزجاج والنحاس كانا على عقيدة أهل السنة، وكان لذلك انعكاسه الواضح على تفسير الآيات المتعلقة بالموضوع.

ومن الآيات التي كانت محلّ بحث وتجادب بين أصحاب المعاني قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرٌ﴾¹ فبينما يقول الزجاج في تفسيرها: "نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها"². نجد الأخفش يرفض أن يكون المقصود بها الرؤية، ويرى أنّ المقصود بقوله سبحانه ﴿نَاطِرٌ﴾: النظر إلى ما يأتيهم من نعم الله ورزقه، كما نقول: "والله ما أنظر إلا إلى الله وإليك"، أي: انتظر ما عند الله وما عندك³.

ويستدلّ على ذلك بقوله: "ولو كان نظر البصر كما يقول بعض الناس كان في الآية التي بعدها بيان ذلك. ألا ترى انه قال ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ﴾ (٢٤) ﴿تَنْظُرُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾⁴ ولم يقل: "ووجوه لا تنظر ولا ترى" وقوله: ﴿تَنْظُرُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ يدلّ "الظنّ" ها هنا على أنّ النظر ثم الثقة بالله وحسن اليقين ولا يدلّ على ما قالوا، وكيف يكون ذلك والله يقول ﴿لَا تَذَرِكُ إِلَّا بَصَرُكَ وَهُوَ يَذَرُكَ الْأَبْصَرُ﴾⁵ ⁶.

1 - سورة القيامة: الآيتان 22-23.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/211).

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/588).

4 - سورة القيامة: الآيتان 24-25.

5 - سورة الأنعام: الآية 103.

6 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/330).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي

وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ الْجَبَلَ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا

¹ يرى الأخفش أن المقصود بقول موسى - عليه السلام - ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أنه طلب علما لا يدرك مثله إلا في الآخرة، فأعلم الله موسى أن ذلك لا يكون في الدنيا. ويرى أن المقصود بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ الْجَبَلَ﴾ تجلي أمره؛ نحو ما يقول الناس: برز فلان لفلان وإنما برز جنده.²

فالأخفش في تفسيره لهذه الآيات يصدر عن مذهبه الاعتزالي، فالمعتزلة يمنعون أن يكون في

قوله تعالى: ﴿إِن رَّبَّهَا نَاطِرٌ﴾³ دليل على إثبات الرؤية، لأن النظر غير الرؤية، والعرب جعلت للنظر إضافات مختلفة، فإذا علق بالعين فالمراد منه الرؤية، وإن علق بالقلب فالمراد به المعرفة، وفي الآية الكريمة علق النظر بالوجوه لا بالعيون، وليس المراد بالوجوه العيون، بدليل أنه وصف وجوه الكافرين في الآية بعدها بالباسرة، وليس المراد عيونهم.⁴

وهذا التفسير الاعتزالي للآية كان أوضح وأجلى عند الزمخشري، فقد رأى أن النظر في الآية

لا يصح أن يُراد به الرؤية، واستدل على ذلك أن تقديم المعمول على العامل يفيد الاختصاص، كما

في قوله تعالى: ﴿إِن رَّبَّكَ يَوْمَئِذٍ الشُّنْقَرُ﴾⁵ وقوله: ﴿إِن رَّبَّكَ يَوْمَئِذٍ السَّاقُ﴾⁶ وقوله: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾⁷

1 - سورة الأعراف: الآية 143.

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/336).

3 - سورة القيامة: الآيتان 22-23.

4 - القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن ص: 673-674.

5 - سورة القيامة: الآية 12.

6 - سورة القيامة: الآية 30.

7 - سورة الشورى: الآية 53.

وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾¹ فالتقديم في هذه الآيات أفاد الاختصاص، ومعلوم أن المؤمنين ينظرون يوم القيامة إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، فيجب حمل الآية على معنى يصحّ معه الاختصاص، والذي يصحّ معه أن يكون من قبيل قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء، والمعنى: أنهم لا يتوقون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه².

وقد ردّ ابن المنير ردّا قويّا على الزمخشري، فذكر أن الزمخشري يدندن ويطلب في جدد الرؤية، ويستدلّ بأنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول، "وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، ولا يؤثر عليه غيره، ولا يعدل به عزّ وعلا منظورا سواء، وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء، ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظفرته برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه، ولم يؤثر عليه، فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم"³.

وخلاصة استدلال الزمخشري يقوم على أن تقديم المفعول يقتضي القصر، وحمل القصر في الآية على القصر الحقيقي، وابن المنير لم ينكر دلالة التقديم على القصر، ولكن حمله على القصر الإضافي.

1 - سورة هود: الآية 88.

2 - الزمخشري، الكشاف (ج4/ 662).

3 - ابن المنير: الانتصاف نفس الصفحة (مع الكشاف).

ومن الآيات التي يستدل بها أهل السنة على إثبات الرؤية قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

لَمَّحْجُوبُونَ﴾¹ وقد بين الزجاج وجه دلالة الآية الكريمة فقال: "وفي هذه الآية دليل على أن الله يرى في

الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن الله - عز

وجل - وقال تعالى في المؤمنين: ﴿وَجُوهُهُمْ نَاطِرَةٌ ۖ وَإِنَّ رَبَّهُم بِمَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ لَبَّاسٌ ۚ﴾² فأعلم الله عز وجل أن المؤمنين

ينظرون إلى الله، وأن الكفار يحجبون عنه"³.

وقد ردّ القاضي عبد الجبار على أهل السنة استدلالهم بالآية على ثبوت الرؤية، لأنّ هذا عنده

يوجب أن يكون الله سبحانه جسماً محدوداً في مكان مخصوص، والمراد بالآية عنده أنهم ممنوعون

من رحمة الله، لأنّ الحجب هو المنع، ولذلك قيل لمن يمنع الوصول إلى الأمير: إنه حاجب له، وإن

كان ممنوع مشاهداً له، فالمراد بالآية عنده أن الله يحجبهم عن رحمته وسعة فضله⁴.

وفسر الزمخشري الآية بأنّ المراد بكونهم محجوبين عنه: التمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم،

لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنىاء المهانون

عندهم⁵.

ونكر الإمام الماتريدي عن أبي بكر الأصم أنّ الآية عن الكافرين في الدنيا، والمقصود أنهم

محجوبون عن عبادة ربهم بما عبدوا غيره، فصارت عبادتهم غير الله حجاباً من عبادته⁶.

1 - سورة المطففين: الآية 15.

2 - سورة القيامة: الآيتان 22-23.

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/211).

4 - القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن ص: 683.

5 - الزمخشري، الكشاف (ج4/722).

6 - الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج10/460).

ويردّ أهل السنة على المعتزلة بأنّ ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار، وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمن، فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن، فثبت بذلك أنّ المؤمنين يرون ربّهم، لأنّ الحجب هو المنع، والمنع إنما يتحقق بالنسبة إلى ما يثبت للعبد بالنسبة إلى الله تعالى، وهو إما العلم، وإما الرؤية، ولا يمكن حمله على العلم، لأنه ثابت بالاتفاق للكفار، فوجب حمله على الرؤية، وأما صرفه إلى الرحمة فهو عدول عن الظاهر من غير دليل¹.

والآية التي استدلّ بها الأخفش على نفي الرؤية يستدلّ بها المعتزلة في الموضوع نفسه، فهم يرون أنّ قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾² دليل على أنّ الله لا يرى بالعيون والأبصار على وجه وفي كلّ وقت من غير تخصيص، لأنّه تعالى عمّ بالنفي، وذكر ذلك على وجه التنزّه والمدح، وما تُمدّح بنفيه لم يقع إثباته إلاّ دما³.

وأهل السنة يرفضون أن تكون الآية دليلا على نفي الرؤية، وتفسير الزجاج لها يعبر عن مسلّكهم في تفسيرها، فالآية عنده دليل على أنّ الأبصار لا تحيط به، ويقول: "أما ما جاء من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول الله فغير مدفوع، وليس في هذه الآية دليل على دفعه، لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث"⁴.

وأهل السنة والمعتزلة متفقون على أنّ الآيات المتشابهة ينبغي أن تُفسّر في ضوء الآيات المحكمة، ولكنّ الخلاف بينهم في تحديد المحكم الذي ينبغي أن يكون أصلا يُردّ إليه المتشابه،

1 - انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج31/89).

2 - سورة الأنعام: الآية 103.

3 - القاضي عبد الجبار، متشابه القرآن ص: 255.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/256).

فالمعتزلة يرون أنّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ من المحكم القاطع في نفي الرؤية، ويتأولون الآيات الأخرى بما يتفق مع ما فهموه من الآية الكريمة، فالزمخشري يفسر الآيات المحكمات بأنها التي أحكت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه، وهي أم الكتاب أي أصله الذي تحمل المتشابهات عليها وترد إليها، ومثل على المتشابه الذي يرد إلى المحكم بقوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وقوله ﴿إِنْ رَئَيْتَ نَاطِرًا﴾¹.

وقد ردّ الزركشي على ذلك بأنّ قوله سبحانه ﴿وَجُودٌ يَوْمَيزُ نَاطِرًا﴾^(٢٣) ﴿إِنْ رَئَيْتَ نَاطِرًا﴾² دالّ على جواز الرؤية، ويفسر به قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ حيث كان مترددا بين نفي الرؤية أصلا وبين نفي الإحاطة والحصر دون أصل الرؤية، وأيضا قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَيزُ لَمَحْجُونُونَ﴾³ فإنه لما حجب الفجار عن رؤيته خزيا لهم دل على إثباتها للأبرار وارتفع به الإجمال في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾⁴.

ومن الآيات التي يستدل بها أهل السنة على رؤية الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁵، وقد ذكر الزجاج أنّ المقصود

1 - الزمخشري: الكشاف (ج1/337).

2 - سورة القيامة: الآيتان 22-23.

3 - سورة المطففين: الآية 15.

4 - الزركشي، البرهان (ج2/216).

5 - سورة يونس: الآية 26.

بالزيادة: النظر إلى وجه الله - جلّ وعزّ، قال: "ويجوز أن تكون الزيادة تضعيف الحسنات ...
والقول في النظر إلى وجه الله كثير في التفسير، وهو مروى بالأسانيد الصحاح، لا يشك في ذلك"¹.

والفراء وإن كان ميله إلى المعتزلة إلا أنه في تفسير هذه الآية يذكر رأيين في المقصود
بالزيادة: الأول: زيادة تضعيف الحسنات، والثاني النظر إلى وجه الله سبحانه، وينقله ذلك بسنده عن
أبي بكر الصديق².

وما قاله الزجاج هو الذي لا ينبغي المحيد عنه ولا العدول إلى غيره، إذ إنّ ثبوت رؤية
المؤمنين لربهم ثابت بالأحاديث الصحيحة، وما ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو
الذي يُعَوَّل عليه في التفسير، ولا يصحّ مناقضته أو مخالفته.

قال النحاس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾³: "يبين هذا الحديث المرفوع
عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة صحاح".

والحديث عند البخاري ومسلم ولفظه: "إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي
رُؤْيَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا"⁴.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 13-14).

2 - الفراء، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 461).

3 - سورة الزمر: الآية 69.

4 - رواه البخاري رقم: 161، ومسلم رقم: 395.

المبحث الرابع

الخلاف في صفة الكلام

الخلافا في صفة الكلام:

يطلق الكلام: على معنيين أحدهما الألفاظ المعبرة عن المعنى القائم بالنفس، وثانيهما المعنى القائم بالنفس الذي تعبر الألفاظ عنه.

وقد اختلفت الفرق الإسلامية في تفسير صفة الكلام، فقد قال سبحانه ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾¹ والمعتزلة يفسرون الآية بأنّ كلام الله سبحانه أصوات وحروف يخلقهما الله سبحانه في غيره، وعلى هذا فهو حادث، إذ إنهم لم يثبتوا لله تعالى شيئاً آخر وراء هذه الأصوات والحروف تحت اسم الكلام، فالله متكلم بكلام يخلقه في محل، وحقيقة الكلام عندهم: أصوات مقطعة وحروف منظومة، والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به².

أما الأشاعرة فقالوا نحن لا ننكر أن الكلام اللفظي حادث وغير قائم بذاته تعالى، ولكننا نشبّه أمراً وراء ذلك، وهو الصفة القائمة بالنفس والتي يعبر عنها بالألفاظ، وهي غير حقيقة العلم وغير الإرادة، وإنما هي صفة مهياة لأن يخاطب بها الآخرون على وجه الأمر أو النهي أو الإخبار، وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى³.

وأما المعتزلة فرأوا أن مدلول العبارات الذي أطلق عليه الأشاعرة اسم الكلام النفسي راجع إلى صفة العلم إن كان هذا المدلول خبراً، وراجع إلى صفة الإرادة إن كان أمراً أو نهياً⁴.

1 - سورة النساء: الآية 164.

2 - الشهرستاني، الملل والنحل (1/ 80).

3 - انظر: البوطي، كبرى اليقينيات الكونية ص: 125.

4 - انظر: المرجع السابق ص: 126.

قال الدسوقي "المعتزلة ينكرون تسمية ما يجده الإنسان في نفسه كلاماً ويردون ذلك للإرادة أو

للعلم " ورد عليهم بأن كلامهم مخالف لإطلاق العرب عليه كلاماً¹.

وتفسير الأخفش للآية منسجم مع قول المعتزلة، فهو يقول: "الكلام خلق من الله على غير

الكلام منك وبغير ما يكون منك، خلقه الله ثم أوصله إلى موسى"².

وتفسير الزجاج يخالف المعتزلة، قال الزجاج: "فأعلم عز وجل أن موسى كلم بغير وحي،

وأكد ذلك بقوله تكليماً، فهو كلام كما يعقل الكلام لا شك في ذلك"³.

وقال في موضع آخر من كتابه: "خصه الله أنه لم يكن بينه وبين الله جل ثناؤه فيما سمع أحد،

ولا ملك أسمع الله كلامه"⁴.

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْتُهُ بَيْنَهُ﴾⁵ "أي قرّبه في المنزلة

حتى سمع مناجاة الله - عز وجل - وهي كلام الله"⁶.

وقال النحاس في تفسير قوله ﴿تَكْلِيمًا﴾ "مؤكد يدل على معنى الكلام المعروف لأنك إذا

قلت كلمت فلانا جاز أن يكون أوصلت إليه كلامك، وإذا قلت "كلمته تكليماً" لم تكن إلا من الكلام

الذي يُعرف، فأخبره الله بخصائص الأنبياء، ثم أخبر بما خصّ به موسى صلى الله عليه وسلم"⁷.

1 - الدسوقي، حاشية على أمّ البراهين ص: 114.

2 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 269).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 156).

4 - المصدر السابق (ج2/ 156).

5 - سورة مريم: الآية 52.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/ 82).

7 - النحاس، معاني القرآن (ج2/ 915).

المبحث الخامس

المباحث المتعلقة بالنبوات

إذا كان التوحيد هو أساس العقيدة الإسلامية، فإنّ الإيمان بالأنبياء والرسل يمثل الأساس لتحوّل العقيدة في الله سبحانه إلى منهج ينتظم حياة الإنسان في جوانبها المختلفة، ليقبمها على أسس الخير والحق والعدل، بما يحفظ للفرد والأمة الكرامة والسمو.

وذلك أنّ عقيدة التوحيد في جوهرها تعني الخضوع الكامل لله سبحانه، والانقياد لأوامره، والاستسلام لشرعه، ولا يمكن أن يتحقّق ذلك إلا بأن يصطفى الله سبحانه من البشر أنبياء ليكونوا رسله إلى الناس يبلغونهم شرعه ودينه، ولذا كانت الشهاداتتان معا الطريق للدخول في الإسلام، فقد قرن سبحانه الشهادة بتوحيده، مع الشهادة بأنّ محمّدا - صلى الله عليه وسلّم - نبيّه ورسوله.

وللأهميّة البالغة للإيمان بالرسول والأنبياء فقد جاءت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم توضّح العقيدة الحقّة في هذا المجال.

ونجد عند أصحاب المعاني مباحث عقديّة مهمّة أوصلهم إليها تدبّرهم لكتاب الله سبحانه موظفين ثقافتهم اللغويّة والبيانيّة الرفيعة.

ومن ذلك ما نجده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْتَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾¹، فالآية فيها إشارة لطيفة إلى أنّ منهج الأنبياء واحد في عقيدته وأصوله، ولذا فتكذيب نبيّ واحد يُعدّ تكذيبا للأنبياء جميعا، فقوم نوح - عليه السلام - بتكذيبهم له كأنّهم كذبوا الأنبياء جميعا.

وقد أشار الزجاج إلى هذه الحقيقة، فقال في تفسيره للآية: " يدل هذا اللفظ أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح أيضا لقوله ﴿الرُّسُلُ﴾، ويجوز أن يكون ﴿الرُّسُلُ﴾ يعني به نوح وحده، لأن من كذب بنبي فقد كذب بجميع الأنبياء ... لأن الأنبياء يؤمنون بالله وبجميع رسله، ويجوز أن يكون يعني به الواحد ويذكر لفظ الجنس، كما يقول الرجل للرجل ينفق الدرهم الواحد: أنت ممن ينفق الدراهم، أي ممن نفقته من هذا الجنس"¹.

ومن المباحث المهمة ما يتعلق بعصمة الرسل، فالأنبياء معصومون عن كل منفر يمنع من اتباعهم أو يقدح في قيام الحجة على الخلق بإرسالهم، وإذا جاءت آية يوهم ظاهرها غير هذا فلا بد من تفسيرها وبيان معناها على نحو يرفع الإشكال ويزيله.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِمُونَ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا فُتِّرُونَ ﴿٧٨﴾﴾².

فالأيات يشكل ظاهرها مع عصمة الأنبياء عن الشرك والكفر، وكان للعلماء مسالك في الإجابة عن ذلك ذكرها أصحاب المعاني³، ومنها:

1- أن يكون قوله ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ استفهام في صورة الخبر، وهو ما ذهب إليه قطرب، وخطأ النحاس هذا التفسير لأن الاستفهام لا يكون إلا بحرف، أو يكون في الكلام "أم"⁴.

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/244)، وانظر: النحاس، معاني القرآن (ج2/116)

2 - سورة الأنعام: الآيات 76-78.

3 - انظر: الفراء، معاني القرآن (ج1/341).

4 - النحاس، معاني القرآن (ج1/312)

2- أن تكون الآية على إضمار فعل القول، والمعنى: أتقولون هذا ربي، وفعل القول قد

يُحذف لدلالة الكلام عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾¹ والتقدير: يقولان: ربنا تقبل منا.

3- أن في الآية حذف، والتقدير: (هذا ربي على زعمكم)، والمقصود من قوله المحاجة

والترج في إقامة الحجة، كما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾² فأضافهم إلى نفسه حكاية لقولهم، قال الفراء: "إنما قال: هذا ربي استدراجاً للحجة على قومه ليعيب آلهتهم أنها ليست بشيء"³.

4- ومنهم من يرى أن الآية على ظاهرها، وأن إبراهيم - عليه السلام - قال ذلك وهو في

طور النظر والبحث، قبل أن تأتيه النبوة، فالآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾⁴ وقد ردّ الزجاج على ذلك بأن الله سبحانه قال عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁵ فلا شك أنه سليم من أن يكون الشك دخله في أمر الله⁶.

واحتج أصحاب القول الأخير بقول إبراهيم - عليه السلام - ﴿لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ

الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾⁷، وردّ عليهم الزجاج بالقول: "وهذا لا يوجب ذلك، لأن الأنبياء تسأل الله أن يثبتها

1 - سورة البقرة: الآية 127.

2 - سورة القصص: الآية 62، والآية: 74.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 341).

4 - سورة الضحى: الآية 7.

5 - سورة الصافات: الآية 84.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج5/ 61).

7 - سورة الأنعام: الآية 77.

على الهدى، وتعلم أنه لولا هداية الله ما اهتدت¹.

ومما يتصل بموضوع العصمة تأويل الآيات التي يوهم ظاهرها نسبة الشك إلى الأنبياء عليهم السلام، وقد عرض تصدى علماء المعاني لذلك موظفين ثقافتهم اللغوية والبيانية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾²، فالآية لا تدل على الشك فيمن المهتدي، ولكنها جاءت على هذا الأسلوب بقصد استمالة المخالف لإمعان النظر وإعمال الفكر، وقد بين الأخفش أن هذا من أساليب العرب في الخطاب فقال: "فليس هذا لأنه شك، ولكن هذا في كلام العرب على أنه هو المهتدي، وقد يقول الرجل لعبده "أحدنا ضارب صاحبه" فلا يكون فيه إشكال على السامع أن المولى هو الضارب"³.

وبين الزجاج أن الآية على أسلوب من يقيم البرهان على صدقه، ثم يقول لخصمه: أحدنا صادق والآخر كاذب. والمعنى يؤول إلى أنه لما قام البرهان أننا على هدى، فقد ثبت أنكم في ضلال مبين⁴.

والزجاج والنحاس يريان أن الآية على أسلوب الحذف، والمعنى وإنا لعللى هدى أو في ضلال مبين، أو إياكم لعللى هدى أو في ضلال مبين، ثم حذف. وهذا على حسن المخاطبة والتقدير، أي قد ظهرت البراهين وتبين الحق كما يقال قد علمت أننا الكاذب⁵.

وقد أحسن الزمخشري في عرض هذا المعنى، فقد لاحظ بحسه البياني المرفف مناسبة

الأسلوب الذي جاءت به الآية مع السؤال الذي بدأت به وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/24).

2 - سورة سبأ: الآية 24.

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/484).

4 - انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/77).

5 - النحاس، معاني القرآن (ج1/520).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴿أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقَرَّرَهُمْ بِقَوْلِهِ﴾ ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به عنادا مع علمهم بصحته، ثم جاء قوله: ﴿وَلَيْتَ أَوْ لِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قال الزمخشري: "وهذا من الكلام المنصف، الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خاطب به: قد أنصفك صاحبك، وفي درجته بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ: دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أنضل بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم وفل شوكتة بالهويناء، ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق مني ومنك"¹.

وربما تعلق الإشكال العقدي بمفردة تحتاج إلى بيان يبين حقيقة المرد منها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا فَلَقْنَاهُ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾².

والإشكال في الآية في كلمتين منها، الأولى: ﴿مُغَضِبًا﴾ والثانية: ﴿نَقْدِرَ﴾. وفي بيان المقصود بكلمة ﴿مُغَضِبًا﴾ يقول الأخفش: "وإنما غاضب بعض الملوك ولم يغاضب ربه كان بالله عز وجل أعلم من ذلك"³، ويقول الزجاج: "ذهب مغاضبا قومه، وقيل إنه ذهب مغاضبا ملكا من الملوك"⁴.

1 - الزمخشري، الكشاف (ج3/ 581).

2 - سورة الأنبياء: الآية 87.

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 449).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه:

وأما قوله سبحانه ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فتفسيرها عند الأخفش والفراء: "أن لن نقدر عليه العقوبة، لأنه قد أذنب بتركه قومه"¹. وقال الزجاج: "أي ظن أن لن نقدر عليه ما قدرناه من كونه في بطن الحوت، ويقدر بمعنى يُقَدِّر"².

وذكر الزمخشري في تفسير الآية قولين: الأول ما ذهب إليه أصحاب المعاني، والثاني أن ذلك من القدر بمعنى التضييق لا من القدرة، ونقل عن ابن عباس أنه قال: "دخل على معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها، فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك. قال: وما هي يا معاوية؟ فقرأ هذه الآية وقال: أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه؟ قال: هذا من القدر لا من القدرة"³.

وتفسير ﴿نَقْدِرُ﴾ بأنه من القدر أي التضييق يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾⁴، والمعنى أنه ظنّ أن الله لن يضيق عليه في ذهابه عن قومه⁵.

وهو الذي بدأ به الرازي في تفسيره للآية، ومعناه أن يونس - عليه السلام - ظنّ أن الله سبحانه لن يضيق عليه، ولن يلزمه بالبقاء بين قومه، وأنه مخير إن شاء أقام وإن شاء خرج⁶.

وجاء في روح المعاني في تفسير قوله تعالى ﴿مَغْضِبًا﴾: "وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكا نحو عاقبت اللص وسافرت، وكأنه استعمل ذلك هنا للمبالغة. وقيل المفاعلة على ظاهرها فإنه عليه السلام غضب على قومه لكفرهم وهم غضبوا عليه بالذهاب لخوفهم لحوق العذاب"⁷.

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج2/ 449)، والفراء، معاني القرآن (ج2/ 449).

2 - المصدر السابق، نفس الصفحة.

3 - الزمخشري، الكشاف (3/ 132).

4 - سورة الرعد: الآية 26.

5 - انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (4/ 97).

6 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج22/ 180)، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج7/ 461).

7 - الألويسي، روح المعاني (ج9/ 80).

وجوز الألوسي أن يكون قوله تعالى: ﴿نَقْدِرَ﴾ من التقدير بمعنى القضاء، واستدل على ذلك

بالقراءة (نُقْدَر)¹، وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن أن لن نقدر عليه أي تعامله معاملة من يظن أن لن نقدر عليه²، ونقل الطبري عن ابن زيد أن الآية على الاستفهام، وأن أداة الاستفهام حذفت من الآية³.

ورجح الطبري أن المقصود بقوله ﴿نَقْدِرَ﴾ الحبس والتضييق، إذ لا يجوز أن يوصف نبي

بأنه يجهل قدرة الله سبحانه، لأن ذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك.

ورد ما قاله ابن زيد بأنه لا عليه، "والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة، إلا وقد

أبقت دليلاً على أنه مراد في الكلام"⁴.

ويتصل بالموضوع نفسه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾⁵، والعبد الأبق هو الذي هرب

من سيده، ولذا روي عن الحسن أنه قال: "قد روي عن الحسن أنه قال عبد أبق من ربه"، نقل ذلك

الزجاج عنه وقال: "وتأويل قول الحسن أنه هرب من عذاب ربه، لا أن يونس ظن أن الهرب ينجيه

من الله - عز وجل - ولا من قدره"⁶.

1 - قرأ يعقوب (يُقْدَر) بالياء التحتية مضمومة وفتح الدال على أنه مبني للمفعول، وقرأ باقي العشرة (نُقْدِر) بالنون

المفتوحة وكسر الدال. انظر: المعصراوي، الكامل المفصل ص: 329. وقراءة الزهري وعمر بن عبد العزيز

(نُقْدِر) بالدال المشددة. انظر: الألوسي، روح المعاني (ج 9/ 80).

2 - الزمخشري، الكشاف (ج 3/ 132)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج 6/ 82)، والألوسي، روح المعاني

(ج 9/ 80).

3 - الطبري، جامع البيان (ج 18/ 516).

4 - المصدر السابق نفس الصفحة.

5 - سورة الصافات: الآية 140.

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 5/ 74).

فالأبق في الأصل هو الهروب من السيّد، ولمّا كان هرب يونس من قومه بغير إذن ربه حسن

إطلاقه عليه¹، والتعبير بذلك فيه استعارة تمثيلية، قال ابن عاشور: "شبهت حالة خروجه من البلد

الذي كلفه ربه فيه بالرسالة تباعداً من كلفة ربه، بإباق العبد من سيده الذي كلفه عملاً².

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

1 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج7 / 205).

2 - ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج23 / 173).

الفصل الرابع

التفسير الفقهي في كتب أصحاب المعاني

وفيه المباحث الآتية

المبحث الأول: المباحث الأصولية

المبحث الثاني: تفسير آيات العبادات

المبحث الثالث: تفسير آيات المعاملات

المبحث الرابع: تفسير الآيات المتعلقة بأحكام الأسرة

لا ريب في أنّ استنباط الأحكام الفقهية من القرآن الكريم من أدقّ مجالات التفسير التي بذل فيها العلماء جهوداً جبّارة وصنفوا كتباً متخصصة، والتفسير الفقهي يمتزج فيه على نحو ظاهر كلّ من البحث اللغوي والنظر البياني والتعديد الأصولي ودراسة الحديث والأثر، كلّ ذلك من أجل الوصول إلى فهم أسدّ وفقه أصحّ للآيات الكريمة.

وللجانِب البياني نصيب وافر في الاستنباط الفقهي من آيات القرآن الكريم، فكثيراً ما يقوم الاستدلال بالآية على تحرير معنى المفردة القرآنية، أو على تفسير الآية على أنّ فيها تقديمًا وتأخيرًا، أو على إضمار محذوف أو غير ذلك.

ومن الجوانب المهمة عند أصحاب المعاني أنّنا نجد عندهم مباحث ترتبط بأصول الاستنباط، وقواعد تفسير النصوص، وهي من المباحث التي يشترك فيها البحث اللغوي مع البحث الأصولي، إذ من المعروف أنّ كثيراً من مسائل أصول الفقه المهمة تقعد للفهم اللغوي لاسيما في علم الدلالات، وسوف أعرض لبعض هذه المباحث.

المبحث الأول

المباحث الأصولية عند أصحاب المعاني

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المباحث الأصولية عند أصحاب المعاني:

يقوم علم أصول الفقه على وضع القواعد والأصول لفهم النصّ الشرعي والاستنباط منه، وأوضح ما يكون ذلك في مباحث الدلالات التي تتقاطع مع الدرس اللغوي، ولذا نجد عند أصحاب المعاني إشارات مهمة في هذا المجال منها:

1- تعريف الأمر:

يُقصَد بالأمر استدعاء الفعل من المخاطب، وهذا متفق عليه، غير أنّ الخلاف وقع في اشتراط العلوّ فيه، فبعض العلماء يشترط ذلك، ومنهم: القاضي عبد الوهاب والإمام أبو إسحق الشيرازي، وهو مذهب المعتزلة، خلافاً لجمهور العلماء¹.

وهو ما ذهب إليه الزجاج فقال: "فَمَسْأَلَتُكَ مَنْ فَوْقَكَ نَحْوُ أَعْطَنِي، وَاغْفِرْ لِي دَعَاءٌ وَمَسْأَلَةٌ، وَمَسْأَلَتُكَ مَنْ دُونَكَ أَمْرٌ كَقَوْلِكَ لَغْلَامِكَ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا"².

وذهب جمهور الأصوليين إلى أنّه لا يُشترط العلوّ في الأمر، فقال ابن السبكي: "ولم يعتبر أكثر أصحابنا علوّاً ولا استعلاءً، وقالوا مجرد الطلب أمر، وهو المختار"³. ويستدل الجمهور

1 - انظر: القاضي، عبد الجبار بن أحمد، المغني في أبواب العدل والتوحيد، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ت (ج17/ 120)، والسبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1984 (ج2/ 3)؛ والإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1999 (ج1/ 319).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 182).

3 - السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، عالم الكتب، لبنان، ط1/ 1999 (ج2/ 490).

لمذهبهم بقوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۖ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسَعْرِهِ ۖ فَأَمَّا

تَأْمُرُونَ¹، فقد جعل فرعون طلب حاشيته منه - وهم دونه - أمراً².

والذي أميل إليه أن حقيقة الأمر تتمثل في الطلب المتضمن إلزاماً على سبيل الوجوب أو الاستحباب، وهذا الإلزام لا يكون إلا عن استعلاء، وإذا صدرت صيغة الأمر دون أن تتضمن هذا المعنى فهي التماس أو دعاء، وأرى أن تعبير فرعون بكلمة (تأمرون) جاء على سبيل التلطّف مع المخاطبين لاستمالتهم في مواجهة موسى عليه السلام³.

2- الأمر بعد الحظر:

الأمر يستدعي الفعل من المخاطب، والأصل فيه عند الجمهور أن يدلّ على الوجوب إلا إذا صرفته قرينة إلى غيره، ومن الأصوليين من يرى أنه يدلّ على مطلق الطلب، وهو القدر المشترك بين الوجوب والندب، ومنهم الواقفيّة الذين يرون أنه يدلّ على الوجوب والندب، ويتوقفون عن الجزم بأي من الاحتمالين⁴.

1 - سورة الشعراء: الآيتان 34-35.

2 - انظر: ابن السبكي، الإبهاج (ج 2/3).

3 - انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج 9/34).

4 - القول الأول بأنّ الأمر للوجوب هو المنسوب إلى الشافعي، واختاره الشيرازي وأمام الحرمين والغزالي في المنحول والرازي وابن الحاجب والبيضاوي، والقول الثاني: بأنّه يدلّ على القدر المشترك بين الوجوب والندب ذهب إليه أبو منصور الماتريدي، ومذهب الواقفيّة هو قول الباقلاني واختاره الغزالي في المستصفي والأمدّي في الإحكام.

انظر: الشيرازي، أبو إسحق إبراهيم بن علي، التبصرة في أصول الفقه، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط 1/1980، ص: 26، والغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المنحول، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 3/1998، ص: 169، والغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفي، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1/1997 (ج 2/68)، والأمدّي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1/1994 (ج 2/162)، والسبكي، الإبهاج (ج 2/14)، والإسنوي، نهاية السؤل (ج 2/13).

أما إذا جاء الأمر بعد حظر فالعلماء يختلفون في دلالته، والجمهور يرون أنه يدلّ على

الإباحة، ومنهم من يرى أنه يدلّ على الوجوب إذا تجرّد عن القرائن¹.

والزجاج يميل إلى رأي الجمهور في أنّ الأمر بعد الحظر للإباحة، وقد جاء ذلك في تفسيره

لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا أَلْسِنَ الْفَقِيرِ﴾² فقد قال: "وقوله (فَكُلُوا مِنْهَا) ليس بأمر لازم، من

شاء أكل من أضحيتّه، ومن شاء لم يأكل، وإنما هو إباحة كما قال: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾³ فإنما قال

فاصطادوا، لأنه كان قد حظر عليهم الصيد وهم مُحْرَمُونَ، فأباحهم الصيد، وكذلك هذا الأمر ههنا

إباحة بعد حظرهم على أنفسهم أكل الأضاحي، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروا لم يستحلوا أن

يأكلوا من نسائِكِهِمْ شيئاً، فأعلم الله عزّ وجلّ أن ذلك جائز⁴.

والنحاس يذهب قريبا ممّا ذهب إليه الزجاج فيقول في تفسير الآية نفسها: "وهذا عند أهل

اللغة على الإباحة كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ فإن قيل: الإباحة لا تكون إلا بعد حظر،

فكيف يكون ههنا إباحة وليس في الكلام حظر؟ فالجواب: أنهم كانوا في الجاهلية يحظرون أكل

لحوم الضحايا، فأعلمهم الله جل وعز أن ذلك مباح لهم⁵.

1 - انظر: الشيرازي، التبصرة ص: 38، وابن الحاجب، المنتهى ص: 71، والسبكي، الإبهاج (ج2/ 73)،

وللغزالي تفصيل حسن في المسألة يُنظر في المستصفى (ج2/ 69).

2 - سورة الحج: الآية 28.

3 - سورة المائدة: الآية 2.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 312).

5 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 215).

3- خروج الأمر عن الوجوب إلى الندب أو الإباحة بقرينة:

تقدّم أن الأمر في رأي جمهور الأصوليين يدلّ على الوجوب، إلا أن يصرفه صارف إلى الندب أو الإباحة، ونجد ذلك عند الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكُتُبَ وَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَكَّنْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتَاهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَيْنَاكُمْ﴾¹ فقد قال: "هذا - عند أكثر الفقهاء - على الندب، للمولى أن يعطيه شيئاً مما يفارقه عليه، أو من ماله ما يستعين به على قضاء نجومه، وله ألا يفعل، وكذلك له أن يكاتبه إذا طلب المكاتبه وله ألا يكاتبه، ومخرج هذا الأمر مخرج الإباحة"².

والقرينة التي صرفت الأمر عن الوجوب إلى الندب عند الزجاج أن لأن العبد المملوك في الأصل لا مال له، ولا يقدر على شيء، فجاءت الآية تبيح لهم أن يُقدروه وأن يكاتبوه، ولذا فالأمر لهم بالمكاتبه يشبه أن يكون بعد حظر، وهو على الإباحة كما تقدّم.

4- خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في مقام التشريع خطاب للأمة:

وقد بيّن الزجاج ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾³، فقال: "أي إنك لمنهم أن اتبعت أهواءهم، وهذا الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولسائر أُمَّته، لأن ما خوطب به - من هذا الجنس - فقد خوطب به الأمة،

1 - سورة النور: الآية 33.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/92).

3 - سورة البقرة: الآية 145.

والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾¹ أول الخطاب للنبي

- صلى الله عليه وسلم - وليس معه لفظ الأمة، وآخره دليل أن الخطاب عام².

وقد ذكر الفراء قريبا من هذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَتَبُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ

مِّنْهُ لِيَسْذَرَّ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾³ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ⁴ ،

فالأية الأولى خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - والثانية خطاب للأمة، وتعليل ذلك "أن ما أُنذر

به أمتة⁴، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁵ قد

فَرَضَ اللَّهُ لَكُم مَّحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ⁶ فقد كانت الآية الأولى خطابا للنبي - صلى الله

عليه وسلم - والثانية خطابا للأمة.

5- أقل الجمع:

يختلف العلماء في أقل الجمع، وأشهر الآراء في المسألة قولان:

الأول: أن أقل الجمع ثلاثة حقيقة، ويُطلق على الاثنين مجازاً، وهذا رأي ابن عباس وأبي

حنيفة والشافعي وأكثر الأصوليين والمتكلمين⁶.

1 - سورة الطلاق: الآية 1.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (1/ 197).

3 - سورة الأعراف: الآيتان 2-3.

4 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 371).

5 - سورة التحريم: الآيتان 1-2.

6 - الغزالي، المنحول ص: 220، والآمدي، الإحكام في أصول الأحكام (ج2/ 242)، وابن السبكي، الإبهاج (ج3/

167)، والزرکشي، بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط، تحقيق: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط1/ 2000 (ج2/ 293).

الثاني: أن أقل الجمع اثنان، وهو ما ذهب الباقلاني وأبو الوليد الباجي والغزالي في

المستصفى¹.

وميل أصحاب المعاني إلى القول الثاني، فالأخفش يقول في تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ

إِخْوَةٌ فَلَأُمِّهِ السُّدُسُ﴾²: "يذكرون أن الأخوة اثنان، ومثله "إِنَّا فَعَلْنَا" وأنتما اثنان، وقد يشبه ما كان

من شيئين وليس مثله، ولكن اثنين قد جعل جماعة في قول الله عز وجل ﴿إِنْ نُبَايَعُوا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ

قُلُوبُكُمْ﴾³، وقال ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾⁴، وذلك أن في كلام العرب أن كل شيئين

من شيئين فهو جماعة⁵.

وقال الزجاج: "وقال جميع أهل اللغة إن الأخوين جماعة، كما أن الإخوة جماعة، لأنك إذا

جمعت واحدا إلى واحد فهما جماعة، ويقال لهما إخوة. وحكى سيبويه أن العرب تقول: قد وضعا

رحالهما، يريدون رحليهما، وما كان الشيء منه واحدا فتثنيته جمع، لأن الأصل هو الجمع⁶.

وقال النحاس: " أجمعت الفقهاء أن الإخوة اثنان فصاعدا إلا ابن عباس فإنه قال: لا يكون

الإخوة أقل من ثلاثة، والدليل على أن الاثنين يقال لهما إخوة قوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً

1 - انظر: الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2/ 1995 ص: 247، والغزالي، المستصفى (ج2/ 26)، والقرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، تنقيح الفصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية، القاهرة، ط1/ 1973 ص: 233.

2 - سورة النساء: الآية 11.

3 - سورة التحريم: الآية 4.

4 - سورة المائدة: الآية 38.

5 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 248).

6 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 298).

فَلَذَكِّرْ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ¹ فلا اختلاف بين أهل العلم أن هذا يكون للاثنتين فصاعداً، والاثنتان جماعة لأنه واحد جمعته إلى آخر².

وقد ذكر الزجاج مسألة قريبة من هذه المسألة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾³، فقال: "واختلف الناس في الطائفة، فقال بعضهم الواحد فما فوقه طائفة، وقال آخرون لا تكون الطائفة أقل من اثنين، وقال بعضهم ثلاثة، وقال بعضهم أربعة، وقال بعضهم عشرة، فأما من قال واحد فهو على غير ما عند أهل اللغة، لأن الطائفة في معنى الجماعة وأقل الجماعة اثنتان، وأقل ما يجب في الطائفة عندي اثنتان، والذي ينبغي أن يتحرى في شهادة عذاب الزاني أن يكونوا جماعة لأن الأغلب على الطائفة الجماعة"⁴.

ونقل النحاس كلام الزجاج، وقال: "الأسببه بمعنى الآية والله أعلم أن تكون الطائفة لأكثر من واحد في هذا الموضع، لأنه إنما يراد به الشهرة وهذا بالجماعة أشبه"⁵.

1 - سورة النساء: الآية 176.

2 - النحاس، معاني القرآن (ج1/242).

3 - سورة النور: الآية 2.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/102).

5 - النحاس، معاني القرآن (ج2/215).

المبحث الثاني

توظيف البيان في تفسير الآيات المتعلقة بالعبادات

الأمثلة على توظيف الجانب البياني في تفسير الآيات المتعلقة بالعبادات في كتب أصحاب

المعاني كثيرة ومتعددة، منها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾¹ فالآية على تقدير لفظ "أردت"، والمعنى: "إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ

بالله من الشيطان الرجيم، ليس معناه استعذ بالله بعد أن تقرأ، لأن الاستعاذة أمر بها قبل الابتداء،

وهو مستعمل في الكلام، مثله إذا أكلت فقل: بسم الله"².

وذهب الزجاج إلى الأمر نفسه في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى

الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾³ والمعنى

إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وإنما جاز ذلك لأن في الكلام والاستعمال دليلاً على معنى الإرادة"⁴.

ويرى الزمخشري أنّ مغزى التعبير بالفعل عن الإرادة أنّ الفعل مسبب عن القدرة والإرادة،

فأقيم المسبب مقام السبب للملازمة بينهما، وذلك لإيجاز الكلام لأنّ من توجه إلى شيء وقام إليه

كان قاصداً له لا محالة، فعبر عن القصد له بالقيام إليه"⁵.

وقال أبو السعود: "عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازاً للإيجاز والتنبيه على أن

من أراد الصلاة حقه أن يبادر إليها بحيث لا ينفك عن إرادتها"⁶.

1 - سورة النحل: الآية 98.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج3/82).

3 - سورة المائدة: الآية 6.

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/286).

5 - الزمخشري، الكشاف (ج1/609).

6 - أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج3/10).

وقد وقع خلاف مرجعه بياني في مسائل متعدّدة في تفسير آية الوضوء، وكان لأصحاب

المعاني رأيهم فيها المؤسس على ثقافتهم اللغوية وحسّهم البياني، ومن هذه المسائل:

1- حكم القدمين في الوضوء:

يذهب الزجاج إلى أنّ آية الوضوء فيها تقديم وتأخير، "والمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم، على التقديم والتأخير، والواو جائز فيها ذلك كما قال جل وعز: ﴿يَمْشِي مُكْتَبِتًا لِّرَبِّكَ وَسُجُودًا وَكَفًّا مَعَ الرُّكُوعِ﴾¹ والمعنى واركعي واسجدي لأن الركوع قبل السجود²، والقول بأن الآية على التقديم والتأخير رواه النحاس عن عليّ - رضي الله عنه -، فقد ذكر أنّه سمع الحسن والحسين يقرآن بجرّ الأرجل، فقرأ بنصبها، وقال: "هذا من المقدم والمؤخر"³.

وما ذهب إليه الزجاج يتّصل بالخلاف الفقهي في حكم القدمين في الوضوء، والخلاف مبناه على مسائل لغويّة وبيانيّة تتصل بالعطف وبالتقديم والتأخير، فأهل السنة يذهبون إلى أنّ حكم القدمين الغسل، إذ الأرجل عندهم معطوفة على المغسولات. والشيعه يرون أنّ حكمهما المسح، ويقولون بأنّ العطف فيهما على الممسوح⁴.

1 - سورة آل عمران: الآية 43.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/183).

3 - النحاس، معاني القرآن (ج1/165).

4 - انظر: ابن عبد البر، الاستذكار (ج1/140)؛ والنووي، المجموع (ج1/417)؛ ابن قدامة، المغني (ج1/

ومرجع ذلك إلى تعدّد القراءات في الآية الكريمة، فقد قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ بنصب اللام. وقرأ الباكون من السبعة بخفضها، وإلى ذلك أشار الشاطبي بقوله: (وأرجلكم بالنصب عمّ رضا علا)¹.

فذهب الجمهور إلى الأخذ بما دلت عليه القراءة بالنصب من أن حكمهما الغسل، إذ إنّ ظاهرها عطف الأرجل على المغسولات، وتأولوا قراءة الجر بأنّ ذلك عطف على اللفظ لا المعنى، كقول العرب: جحرٌ ضبّ خرب، وقال الشيعة بأنّ حكم القدمين المسح، واستدلّوا بقراءة الجرّ، إذ الظاهر منها أنّ الأرجل معطوفة على الممسوح وهو الرأس، وتأولوا قراءة النصب بأنها عطف على المحل، والآية عندهم لا تقديم ولا تأخير فيها².

والعطف على الجوار - وإن كان جائزاً - إلا أنّه ليس هو الأفصح، ولا ينبغي أن يكون التفسير عليه، ولذا قال الأخفش: " ويجوز الجر على الاتباع وهو في المعنى "الغسل" نحو "هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ". والنصب أسلم وأجود من هذا الاضطرار"³، وقال الزجاج: "فأما الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله"⁴.

ورفض ابن خالويه حمل قراءة الجر في الآية على المجاورة، لأن ذلك مستعمل في نظم الشعر للاضطرار، والقرآن لا يحمل على الضرورة، ووجّه قراءة الجر بأن الله تعالى أنزل القرآن بالمسح على الرأس والرجل، ثم عادت السنّة للغسل⁵.

1 - القاضي، الوافي شرح الشاطبية، ص: 250.

2 - انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات 223/1.

3 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/ 227).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 183).

5 - الأزهرى: معاني القراءات 326.

وذكر النحاس تأويلا آخر للآية الكريمة، فقال: "ومن قرأ (وَأَرْجِلُكُمْ) ففي قراءته أقوال، أحدها: أن المسح والغسل واحد قال ذلك أبو زيد ومنه قولهم تمسحت للصلاة"¹. وقد مال الأزهري إلى هذا التوجيه فقال: "من قرأ (وَأَرْجِلُكُمْ) عطفها على قوله (وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ)، وبينت السنة أن المراد بمسح الأرجل غسلها، وذلك أن المسح في كلام العرب يكون غسلا، ويكون مسحًا باليد"²، وإلى قريب من هذا ذهب مكي ابن طالب في الكشف فهو يرى أن المسح يستعمل في الغسل، والعرب تقول تمسحت للصلاة أي توضأت لها³.

وذهب الطبري إلى مذهب آخر في المسألة، إذ يرى أنه لا بد من العمل بالقراءتين معا، فيجب في القدمين الغسل والمسح، وغسلهما يكون بإمرار الماء عليهما، ومسحهما بإمرار اليد، وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ، كان مستحقاً اسم "ماسح غاسل"، ولذا يكره عنده للمتوضئ الاجتزاء بإدخال رجليه في الماء دون مسحهما بيده⁴.

فكانه رحمه الله يجعل المسح بمعنى الدلك، ويوجه الآية إلى أنها أوجبت في القدمين الدلك مع الغسل، وهذا معقول لأن يجتمع في القدمين من القدر ما لا يجتمع في غيرهما.

ويرى الزمخشري أن قراءة الجر جاءت تنبيها على الاقتصاد في صب الماء عليها، لأنها مظنة للإسراف، إذ هي التي تُغسل بصب الماء عليها، وجيء بالغاية حتى لا يُظن أنها ممسوحة، لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة⁵.

1 - النحاس، معاني القرآن (ج1/165).

2 - الأزهري: معاني القراءات 326/1.

3 - مكي ابن طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع 406/1.

4 - الطبري: جامع البيان 62/10.

5 - الزمخشري، الكشف (ج1/611).

والأولى فيما أراه حمل قراءة الجرّ على المسح على الخفين، كما ذهب إليه عددٌ من أهل العلم، فتكون الآية قد بيّنت حكم القدمين في حالتي كونهما مكشوفتين أو لابستين للخف.

2- حكم غسل المرفق:

اختلف العلماء في دخول المرفق فيما يجب غسله من اليدين، وسبب الاختلاف في ذلك تعدّد آراء العلماء في معنى حرف الجرّ "إلى" الذي يدلّ على الغاية، غير أنّ العلماء يختلفون في دخول الغاية في المغيّا عند استعمال حرف الجرّ "إلى"، وعلى هذا ينبني الخلاف في دخول المرفقين فيما يجب غسله، فالجمهور يرون أنّ الغاية داخلة في حكم المغيّا في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾¹، وعليه فيجب غسل المرفقين، ومن العلماء من يخالف في ذلك².

وبعض العلماء الذين ذهبوا مذهب الجمهور يرون أنّ دخول المرفقين فيما يجب غسله هو على تضمين حرف الجرّ "إلى" معنى "مع"، وقد ردّ الزجاج والنحاس على هذا بأنّ لفظ اليد يتناول من أطراف الأصابع إلى الكتف، ولو كانت "إلى" بمعنى "مع" لكان يجب غسل ذلك كله، ولكنه لما قال "إلى" دلّ على أنّ "المرفق منقطع مما لا يغسل ودخل فيما يغسل... فالمرافق حد ما ينتهي إليه في الغسل منها، وليس يحتاج إلى تأويل "مع"³.

1 - سورة المائدة: الآية 6.

2 - وهو ما ذهب إليه زفر من الحنفية، انظر: الكاساني، بدائع الصنائع (ج1/ 9)، ابن الهمام، شرح فتح القدير (ج1/ 17).

3 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 209).

وقال النحاس: " قال بعض أهل اللغة المعنى مع المرافق كما قال من أنصاري الى الله ﴿مَنْ

أَنْصَارِيَ إِلَى اللَّهِ﴾¹، أي مع الله وهذا القول خطأ لأن اليد عند العرب من الأصابع إلى الكتف وإنما فرض غسل بعضها فلو كانت إلى بمعنى مع لوجب غسل اليد كلها ولم يحتج إلى ذكر المرافق، ومعنى إلى هنا الغاية هي على بابها².

ثم ذكر النحاس قولين آخرين في معنى الآية: أولهما ما ذهب إليه المبرد من أن الغلية إذا كانت من جنس المغيّا دخلت في حكمه، كما في المرفقين في الوضوء، فإنهما من جنس اليد. وإذا لم تكن الغاية من جنس المغيّا لم تدخل في حكمه، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾³.

والثاني: أن ما بعد "إلى" ليس بداخل فيما قبلها، إلا أن المرافق غسلت اتباعاً⁴، ويقصد بذلك اتباع السنة، وذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة أنه غَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ، وَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحَجَّيْلَهُ)⁵.

1 - سورة آل عمران: الآية 52، وسورة الصف: الآية 14.

2 - النحاس، معاني القرآن (ج1/221).

3 - سورة البقرة: الآية 187.

4 - النحاس، معاني القرآن (ج1/172).

5 - رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم: 362.

وقد يتوقف الاستدلال الفقهي على تقدير محذوف في الآية كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ

مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾¹ فالزجاج يقول في تفسير

الآية: "ومعنى من شهد: من كان شاهداً غير مسافر فليصم، ومن كان مسافراً أو مريضاً فقد جعل

له أن يصوم عدة أيام المرض وأيام السفر من أيام أخر"². وعبارة الزجاج "جُعِلَ له أن يصوم" تلحق

إلى ما ذهب إليه الجمهور من أن المكلف المسافر أو المريض مخير بين الصوم أو الفطر، وتقدير

الآية: (ومن كان مريضاً أو على سفر فأفطر فعِدَّةً من أيام أخر). وخالف في ذلك الظاهرية فرأوا

أن الفطر بالنسبة للمريض والمسافر عزيمة لا رخصة، ويجب عليهما الفطر، ولو صاماً لم يصح

منهما ووجب عليهما القضاء³.

ومن الآيات التي يتوقف الاستدلال الفقهي بها على تقدير محذوف قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾⁴. فقد ذكر

الزجاج في تفسيرها قولين:

الأول: أن يُقصد بقوله "عابري سبيل" المسافرون، لأن المسافر يعوزه الماء. وعلى هذا

التفسير يكون استعمال لفظ "الصلاة" على حقيقته الشرعية.

والقول الأول الذي ذكره الزجاج يشهد له قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾، فإنه ظاهر في

أن المراد نفس الصلاة.

1 - سورة البقرة: الآية 185.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/169).

3 - انظر: ابن حزم، المحلى (ج6/247).

4 - سورة النساء: الآية 43.

والثاني: أن يكون المعنى "لا تقربوا مواضع الصلاة"¹، وفسّر النحاس المقصود بالآية على هذا الاحتمال فقال: "قال عبد الله بن عباس وأنس إلا أن تمر ولا تجلس وروي عن ابن عباس هو المسافر يمر بالمسجد مجتازاً"².

فالمراد بالصلاة على القول الأول: الهيئة المخصوصة من قراءة وقيام وركوع وسجود، والمراد بقربها: القيام إليها والتلبس بها، إلا أنه - سبحانه - نهى عن القرب منها مبالغة في النهي عن غشيانها وهم بحالة تتنافى مع جلالها والخشوع فيها³.

والمراد بها على القول الثاني مواضعها وهي المساجد، وفي الكلام مجاز مرسل بتقدير مضاف فهو من باب ذكر الحال وإرادة المحل، بقرينة قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ إذا فسرناه بالمجتاز.

وروي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه حمل الصلاة على الهيئة المخصوصة وعلى مواضعها مراعاة للقولين، وفي الكلام حينئذ الجمع بين الحقيقة والمجاز، والشافعي لا يمنعه⁴.

وقد يعتمد أصحاب المعاني على ملاحظة المناسبة في ترجيح قول على قول، ومن ذلك ما نجده عند الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعُ عَلِيمٌ﴾⁵، فقد ذكر الزجاج الأقوال في تفسير الآية، فمن العلماء من فسّره بمعنى:

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/255).

2 - النحاس، معاني القرآن (ج1/213).

3 - انظر: الألوسي، روح المعاني (ج3/37).

4 - انظر: الألوسي، روح المعاني (3/38).

5 - سورة البقرة: الآية 115.

فاقصدوا وجه الله بتيتمكم القبلة، ومنهم من قال معناه أن الله معكم أينما كنتم، ومنهم من فسره بأنه بيان لحكم من صلى لغير القبلة جاهلا. وميل الزجاج إلى هذا القول، فقد قال في تفسير الآية: "وليس عندنا قطع في هذا والله أعلم بحقيقته، ولكن قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْكُمْ﴾ يدل على توسيعه على الناس في شيء قد رخص لهم به"¹.

وقد ينبني الخلاف على تحقيق معنى المفردة، ومن ذلك ما قاله الزجاج في تفسير "الصعيد" في الآية نفسها من أنه: "وجه الأرض ... ولا يبالي أكان في الموضع تراب أم لا، لأن الصعيد ليس هو التراب، إنما هو وجه الأرض، ترابا كان أو غيره. ولو أن أرضا كانت كلها صخرا لا تراب عليها ثم ضرب المتيمم يده على ذلك الصخر لكان ذلك طهورا إذا مسح به وجهه"².

واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَنُصِصَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾³، قال: "فأعلمك أن الصعيد يكون زلقا، والصعدات الطرقات، وإنما سمي صعيدا، لأنها نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض، لا أعلم بين أهل اللغة اختلافا في أن الصعيد وجه الأرض"⁴.

ومن الأمثلة أيضا على الخلاف الفقهي الذي منشأ تحرير معنى اللفظ الاختلاف في معنى المَحْصَر في قوله سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْمُكْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾⁵ فالأخفش والزجاج يفرقون بين المَحْصَر والمحْصُور، فالمَحْصَر: من منعه المرض، والمحْصُور:

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 174).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/ 174).

3 - سورة الكهف: الآية 40، وفسرها الزجاج بقوله: "والصعيد الطريق الذي لا نبات فيه، والجرز الأرض التي لا تثبت شيئا، كأنها تأكل النبات أكلا" انظر: الزجاج، معاني القرآن (ج3/ 67).

4 - المصدر السابق نفس الصفحة، وانظر: النحاس، معاني القرآن (ج2/ 75).

5 - سورة البقرة: الآية 196.

المحبوس، وفي هذا يقول الأخفش: " نقول: "أَحْصَرْتَنِي بَوَلِيَّ" و"أَحْصَرْنِي مَرَضِيَّ" أي: جعلني أَحْصَرُ نفسي. ونقول: "حَصَرْتُ الرجل" أي: حبسته، فهو "مَحْصُور"¹.

وقال الزجاج: "الحق في هذا ما عليه أهل اللغة من أنه يقال للذي يمنعه الخوفُ والمرضُ "أَحْصَرُ" وللمحبوس حُصِرَ، وإنما كان ذلك هو الحق لأن الرجل إذا امتنع من التصرف فقد حبس نفسه، فكان المَرَضُ أَحْبَسَهُ أي جعله يحبس نفسه، وقوله حصرت فلاناً إنما هو حبسته، لا أنه حبس نفسه، ولا يجوز فيه أَحْصَرُ"².

أما الفراء فينسب إليه كثير من العلماء أنه لا يفرق بين المَحْصَرِ والمحْصُورِ، ولكن عبارته في معاني القرآن واضحة في أنه - ابتداءً - يفرق بينهما، فالحصر ما كان المنع فيه من فعل فاعل، والإحصار ما كان المانع فيه أمراً يرجع إلى المكلف نفسه، سواء أكان مرضاً أو علة أو خوفاً من العدو.

وعبارته في ذلك: "العرب تقول للذي يمنعه من الوصول إلى إتمام حجه أو عمرته خوف أو مرض - وكل ما لم يكن مقهوراً كالحبس والسجن - يُقال للمريض: قد أَحْصَرَ، وفي القهر والحبس قد حُصِرَ، فهذا فرق ما بينهما"³.

ولكن الفراء لا يلبث أن يتجاوز هذا التفريق، فهو يجيز أن يُقال لمن منعه الخوف من العدو: قد أَحْصَرَ، باعتبار أن المانع ليس فعل العدو، بل الخوف المستكن في نفس الخائف، والخوف بهذا الاعتبار يشبه المرض والعلة. كما يجيز أن يُقال لمن منعه المرض: قد حُصِرَ، كأنك جعلت المرض شيئاً غيره يمنعه. وعبارته في ذلك: "ولو نويت في قهر السلطان أنها علة مانعة، ولم تذهب

1 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/174).

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج1/272).

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/117 - 118).

إلى فعل الفاعل جاز لك أن تقول: قد أحصر الرجل، ولو قلت في المرض وشبهه: إن المرض قد حصره أو الخوف، جاز أن تقول: حُصِرْتُم¹.

والتفريق بين منع السلطان وبين الخوف منه نجده على نحو أوضح عند الطبري، فهو يرى أن تأويل قوله سبحانه ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ أي أَحْصَرَكُمْ خوفٌ عدوٌّ أو مرضٌ أو علةٌ عن الوصول إلى البيت، "أي صيِّرَكُمْ خوفَكُم أو مرضَكُم تَحْصُرُونَ أنفسَكُم، فتحبسونها عن النفوذ لما أوجبتموه على أنفسكُم من عمل الحج ... فأما إذا كان الحابس الرجلُ والإنسانُ، قيل: حصرتني فلان عن لقائك، بمعنى حبسني عنه"².

ثم قال بعد ذلك: "فلو كان معنى الآية ما ظنه المتأول من قوله: "فإن أحصرتكم" فإن حبسكم حابس من العدو عن الوصول إلى البيت - لوجب أن يكون: فإن حُصِرْتُم. ومما يُبين صحة ما قلناه من أن تأويل الآية مرادٌ بها إحصارٌ غير العدو وأنه إنما يراد بها الخوف من العدو، قوله: ﴿فَإِذَا أَمْنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾³، و"الأمن" إنما يكون بزوال الخوف"⁴.

وقد لخص الرازي الاختلاف في معنى المُحْصَر، فذكر أن العلماء اتفقوا على أن لفظ "الحصر" مخصوص بمنع العدو، أما لفظ الإحصار فذكر فيه ثلاثة أقوال، الأول: أنه مختص بالمرض، والثاني: أنه قيد الحبس والمنع سواء كان بسبب العدو أو بسبب المرض، والثالث: أنه مختص بالمنع الحاصل من جهة العدو، وهو قول الشافعي.

1 - الفراء، معاني القرآن (ج1/118).

2 - الطبري، جامع البيان (ج3/26).

3 - سورة البقرة: الآية 196.

4 - الطبري، جامع البيان (ج3/26).

وبسبب هذا الاختلاف في معنى المفردة اختلف الفقهاء في الحكم، فذهب الحنفية إلى أن المحاصر من يصير ممنوعاً من دخول مكة بمرض أو عدو أو غير ذلك، وذهب الشافعية إلى أن الإحصار يختص بمنع العدو.

قال الرازي: "وحجة أبي حنيفة ظاهرة على مذهب أهل اللغة، وذلك لأن أهل اللغة رجلان أحدهما:

الذين قالوا: الإحصار مختص بالحبس الحاصل بسبب المرض فقط، وعلى هذا المذهب تكون هذه الآية نصاً صريحاً في أن إحصار المرض يفيد هذا الحكم. والثاني: الذين قالوا الإحصار اسم لمطلق الحبس سواء كان حاصلًا بسبب المرض أو بسبب العدو، وعلى هذا القول حجة أبي حنيفة تكون ظاهرة أيضاً، لأن الله تعالى علق الحكم على مسمى الإحصار، فوجب أن يكون الحكم ثابتاً عند حصول الإحصار سواء حصل بالعدو أو بالمرض. وأما على القول الثالث: وهو أن الإحصار اسم للمنع الحاصل بالعدو، فهذا القول باطل باتفاق أهل اللغة، وبتقدير ثبوته فنحن نقيس المرض على العدو بجامع دفع الحرج وهذا قياس جلي ظاهر"¹.

وحجة الشافعي أن ما قاله أهل اللغة معارض بالروايات المنقولة عن ابن عباس وابن عمر، ولا شك أن قولهما أولى لتقدمهما في معرفة اللغة وفي معرفة تفسير القرآن².

ومما يؤيد مذهب الشافعي أيضاً أن الآية نزلت في "في حصر المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت، وإذا كان نزول الآية في حصر العدو، فلا يجوز أن يُصرف حكمها إلى غير المعنى الذي نزلت فيه"³.

1 - الرازي، مفاتيح الغيب (ج5/ 302).

2 - المرجع السابق، نفس الصفحة.

3 - الطبري جامع البيان (ج3/ 25).

ومما يشهد لهذا القول أيضا أن الله سبحانه قال بعدها: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِّنَ تَمَعِّ بِالْمَرْءِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ

مِنَ الْهَذْيِ﴾ ولفظ الأمن يُستعمل في الخوف من العدو لا من المرض¹.

والذي أراه أن للمسألة غورا يرشد إليه ما سبق أن نقلناه عن الفراء والطبري من التفريق بين أن يكون المانع فعلا واقعا من العدو، أو مجرد خوف الحاج منه. فالذي منعه فعل العدو يُقال له: حُصِرَ، والذي خاف من العدو يُقال له: أُحْصِرَ. والآية لا تتناول بظاهرها الصنف الأول، ولكنه يدخل فيها قياسا².

فالآية الكريمة نُبِّهت بالأدنى على الأعلى، إذ يدخل في الحكم من باب أولى، فالحكم الذي على مجرد الخوف من العدو ينطبق من باب أولى على من منعه العدو فعلا من الحج، وهذا ينسجم كل الانسجام مع ما ذهب إليه الطبري من أن حبس الحابس إذا لم يكن داخلا في حكم الآية بظاهرها المثلّو، فإنه يلحق حكمه من وجه القياس³.

1 - السائيس، تفسير آيات الأحكام (ج1/ 201).

2 - انظر: الطبري، جامع البيان (3/ 26).

3 - المرجع السابق نفس الصفحة.

المبحث الثالث

تفسير آيات المعاملات عند أصحاب المعاني

عُنيت الشريعة الإسلامية بالأحكام المنظمة للتعامل المالي بين الناس، وذلك لما لهذا الجانب من أهمية بالغة، فالمال قوام الحياة، والله سبحانه قال في ذلك: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾¹، ويكفي للدلالة على أهمية هذا الجانب أن أطول آية في القرآن الكريم كانت آية الدين، وقد تضمنت هذه الآية الكريمة تنظيمًا دقيقًا لجوانب متعددة في فقه المعاملات، والمتأمل في التشريعات التي جاءت في الآية الكريمة يدرك قطعاً أنها لا يمكن أن تكون إلا من عند الحكيم الخبير، لدقة ما احتوته، وسموّ ما أشارت إليه، ولكمال ما أرشدت إليه.

والناظر في كتب معاني القرآن يجد فيها إشارات إلى مسائل في غاية الأهمية في فقه المعاملات، ومن ذلك ما نجده عند الفراء من تفريق بين المثلي والقيمي، وهو تفريق ينبني عليه آثار فقهية مهمة، منها ما يتعلق بالتفريق بين المبيع والتمن، وقد أشار الفراء إلى ذلك كله في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَتَيْ ثِمْنًا قَلِيلًا وَإِثْنَيْنِ فَاتَّقُونِ﴾²، وذكر لدخول الباء على أحد البدلين في عقد البيع ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون البدلان من العروض، فلك عندها أن تدخل الباء على أيهما شئت، "فمن ذلك: اشتريت ثوباً بكساء أيهما شئت تجعله ثمناً لصاحبه لأنه ليس من الأثمان، وما كان ليس من الأثمان مثل الرقيق والدور وجميع العروض فهو على هذا"³.

والثانية: أن تكون المبادلة بين نقدين كمبادلة الذهب بالفضة، ولك عندها أيضاً أن تدخل الباء على أيّ البدلين، لأن كليهما نقد.

1 - سورة النساء: الآية 5.

2 - سورة البقرة: الآية 41.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج1/30).

والثالثة: أن تكون المبادلة بين سلعة ونقد، فالدراهم والدنانير هي الثمن، والباء تدخل عليها،

"لأن الدراهم ثمن أبدا، والباء إنما تدخل في الأثمان"¹، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾².

وفي ضوء ما تقدّم يشير الفراء إلى سرّ دخول الباء على المتروك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ

الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾³، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾⁴، فالبايع يدفع الثمن

مقابل السلعة، وهؤلاء تركوا الهدى والآخرة، مقابل الضلالة والدنيا، فدخلت الباء على المتروك لأنّه الثمن في المبادلة.

ثمّ يقول الفراء: "فإن أحببت أن تعرف فرق ما بين العروض وبين الدراهم، فإنك تعلم أنّ من

اشتري عبدا بألف درهم معلومة، ثم وجد به عيبا فردّه لم يكن له على البائع أن يأخذ ألفه بعينه،

ولكن ألفا. ولو اشتري عبدا بجارية ثم وجد به عيبا لم يرجع بجارية أخرى مثلها، فذلك دليل على

أن العروض ليست بأثمان"⁵.

1 - المصدر السابق، نفس الصفحة.

2 - سورة يوسف: الآية 20.

3 - سورة البقرة: الآية 16.

4 - سورة البقرة: الآية: 86.

5 - الفراء، معاني القرآن (ج1/ 30).

وهذا التفريق بين المثلي والقيمي نجده مستقرا عند لفقهاء، ويبنى عليه كثير من الأحكام¹.

وقد وقف أصحاب المعاني عند جملة من الأسرار البيانية في تفسيرهم للآية الكريمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾²، فما فائدة قوله سبحانه ﴿بِدِينٍ﴾ ومعلوم أن المدائنة لا تكون إلا بدين؟ قال الأخفش: "فقوله ﴿بِدِينٍ﴾ تأكيد نحو قوله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾³ لَأَنَّكَ تَقُولُ "تَدَايْنَا" فيدل على قولك "بِدِينٍ"⁴.

ويرى الطبري أن مجيء كلمة دين في الآية يرفع الاحتمال في دلالتها، لأن الفعل دان في اللغة يأتي بمعنى الجزاء والخضوع والقرض، فلما ذكر معه (بدين) دلّ على معناه من غير احتمال⁵.

ويرى الزمخشري أنه ذكر كلمة دين ليرجع الضمير إليها في قوله (فَاكْتُبُوهُ)، ولو لم يذكر لوجب أن يقال: فاكْتُبُوا الدين، وذلك إخلال ببلاغة النظم لما فيه من التكرار⁶.

كما وقف أصحاب المعاني عند دلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾، فالفراء يرى أن الأمر في الآية للندب، فيقول: "هذا الأمر ليس بفريضة، إنما هو أدب ورحمة من الله تبارك وتعالى،

¹ - قال ابن قدامة في المغني: الأصل وجوب غرامة المثلي بمثله والمتقوم بقيمته (ج10/260)، وانظر: النووي، المجموع (12/336)، وقال ابن الهمام في فتح القدير: "وإن كان الخيار للبائع أو كان البيع فاسدا لزمه ضمان مثله إن كان مثليا أو قيمته إن كان قيميا". (ج6/296-297).

2 - سورة البقرة: الآية 282.

3 - سورة الحجر: الآية 30.

4 - الأخفش، معاني القرآن (ج1/206).

5 - الطبري، جامع البيان (6/46).

6 - الزمخشري: الكشاف (ج1/325).

فإن كتب فحسن، وإن لم يكتب فلا بأس، وهو مثل قوله ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾¹ أي فقد أبيح لكم الصيد، وكذلك قوله: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا² فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ليس الانتشار والابتغاء بفريضة بعد الجمعة، إنما هو إذن³.

والزجاج وإن كان يتفق مع الفراء في أن الأمر بالكتابة للندب، إلا أنه يختلف معه فيما استدلّ به، فهو يوافقه في النتيجة ويخالفه في طريقة الاستدلال. فالفراء استدلّ بقوله تعالى ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ وقوله: ﴿فَاصْطَادُوا﴾ على مجيء الأمر للندب. ولكن الزجاج يرى أن الأمر في الآيتين مختلف عن الأمر في آية الدين، وذلك أن الأمر في الآيتين الكريمتين جاء بعد حظر، فالمسلم لا يجوز له الانتشار في الأرض وقت صلاة الجمعة، ولا يجوز له الصيد وقت الإحرام، أمّا الأمر بكتابة الدين والإشهاد عليه فلم يأت بعد حظر⁴.

والدليل الذي يستند إليه الزجاج في أن الأمر في الآية للندب قوله عزّ وجل في الآية بعدها: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِمَعْصُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾⁵.

وقد اختلف العلماء في حكم كتابة الدين، فمذهب الجمهور أن الأمر في الآية يدلّ على الندب، ومن العلماء من حمّله على الوجوب، وقد نقل الطبري عن الضحاك وابن جريج أنه للوجوب⁶.

1 - سورة المائدة: الآية 2.

2 - سورة الجمعة: الآية 11.

3 - الفراء، معاني القرآن (ج 1/ 183).

4 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج 5/ 211).

5 - سورة البقرة: الآية 283.

6 - الطبري: جامع البيان (ج 6/ 47-50).

والذين حملوه على النذب ذكروا وجوها متعددة في توجيه الأمر إلى النذب، فمنهم من يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا فَلَْيُوَدَّ الَّذِي أَوْثَقَ أَمْنَتَهُ، وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ ويرى فيه قرينة صارفة للأمر من الوجوب إلى النذب¹، ومنهم من يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَّقْبُوضَةً﴾ والرهن لا يجب إجماعاً، وهو بدل الكتابة عند تعذرهما، ولو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجبا².

ومنهم من استدل على ذلك بالمعقول وذلك أن الكتابة إنما هي احتياط للحق أن يضيع، وإذا كان لصاحب الحق أن يهبه أو يتركه فكيف يجب عليه أن يكتب؟³ فالآية أمر فيما للمرء أن يهبه أو يتركه بإجماع، وهذا دليل أنه على سبيل النذب⁴.

ومنهم استدل على كون الأمر للنذب بأنه المنسجم مع ما عليه العمل في جميع ديار الإسلام، فإنهم يبيعون بالأثمان المؤجلة من غير كتابة ولا إشهاد، وذلك دليل على عدم وجوبهما، هذا فضلاً على أن في إيجابهما أعظم الحرج على المسلمين، وهذا مناف لما هو ثابت وقطعي من أن الشريعة مبناها على اليسر ورفع الحرج⁵.

أما الذين ذهبوا إلى القول بوجوب الإشهاد فمن أبرزهم الطبري وابن حزم وابن عاشور، وقد استدل الطبري لمذهبه بأن الآية أمرت بكتابة الدين، وأمر الله فرض لازم، إلا أن تقوم حجة بأنه

1 - انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز (ج1/384)، وأبو حيان: البحر المحيط (ج2/723)، والرازي: مفاتيح الغيب (ج7/92).

2 - الشنقيطي: محمد الأمين، أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، ط1/1995، (ج1/228).

3 ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج3/100).

4 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (ج3/383).

5 - الرازي: مفاتيح الغيب (ج7/92).

إرشاد وندب، وليس من دليل على أن الأمر في الآية للإرشاد، ولا يصح الاستدلال على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِعَصُوكُمْ بَعْضٌ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ﴾، لأن الإذن الوارد فيها إنما هو حيث لا يكون من سبيل إلى الكاتب أو الكتاب، بدليل قوله في الآية ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ ولذا فلا يصح أن يجعل ناسخاً للأمر بالكتابة، لأن النسخ إنما يُصار إليه حيث يقع التعارض بين الناسخ والمنسوخ على نحو لا يمكن الجمع معه، وليس هناك من تعارض بين الأمر بكتابة الدين والإذن الذي جاء بعده، لأن الأمر بالكتابة يدل على وجوبها في حال السعة، والإذن رخصة تتعلق بحال الضرورة، والرخصة لا تنسخ العزيمة¹.

أما ابن عاشور فاستدل بما جاء في الآية من مؤكّدات على أن الأمر فيها للوجوب، فقد ذكرت أن الكتابة أقسط عند الله، وأقوم للشهادة، وأدنى ألا يرتاب المتعاقدان، فهي السبيل إلى التوثيق للحقوق، وقطع أسباب الخصومة، وتنظيم المعاملات، والراجح أن تكون واجبة لما اقترن بها من مؤكّدات، ولا يصح الاستدلال على أنها مندوبة بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِعَصُوكُمْ بَعْضٌ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ﴾ لأن ذلك رخصة في حالة الائتمان السالمة من التناكر والخصام.

وأما الاستدلال على أن الكتابة مندوبة بأن صاحب الحق يجوز له أن يهب حقه فكيف يجب عليه أن يكتبه؟ فالردّ عليه بأن مقام التوثيق غير مقام التبرع².

1 - الطبري: جامع البيان (ج6/53-54).

2 - ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج3/100).

المبحث الرابع

التوظيف البياني في تفسير الآيات المتعلقة

بأحكام الأسرة

للأسرة دورها ومكانتها في الشريعة الإسلامية، وقد عني القرآن الكريم ببيان الأحكام التي تنظم شؤونها، وتبين أصول العلاقات والواجبات فيها، وآيات القرآن الكريم في هذا المجال - كما في كل المجالات الأخرى - جاءت معجزة في أسلوبها، سامية في توجيهاتها، ومن أهم ما يكشف عن مخبوء معناها - ويرشد إلى المقصود من دلالاتها التدبر الذي يتخذ من اللغة والبيان أداة للكشف عن المعنى.

وأصحاب المعاني كان لهم مساهمتهم المبكرة والمميّزة في هذا المجال، ومن أمثلة ذلك ما نجده عندهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾¹، فظاهر الآية أنها استثنت ما قد سلف مما لم يكن بعد، وهذا لا يصح.

وقد أجاب أصحاب المعاني عن هذا الإشكال، فالأخفش يبين أن المقصود من الآية رفع المؤاخذه عما سلف من ذلك فليس فيه جناح، وهي على أسلوب العرب في قولها: "لا نصنع ما صنعنا" "ولا نأكل ما أكلنا"²، وليس المعنى: انكحوا ما قد سلف، فهذا لا يجوز، بل المقصود: لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء، فإنكم تعذبون به، إلا ما قد سلف فقد وضعه الله عنكم³.

والفراء يرى أن "في هذا الموضع بمنزلة سوى، كأنه قال: لا تنكحوا: لا تفعلوا، سوى ما قد فعل آباؤكم"⁴.

1 - سورة النساء: الآية 22.

2 - الأخفش، معاني القرآن وإعرابه (ج 3/ 44).

3 - المصدر السابق (ج 1/ 329).

4 - الفراء، معاني القرآن (ج 3/ 44).

والزجاج يذهب إلى أن "ما" في الآية مصدرية، والمعنى: لا تتكحوا كما كان من قبلكم ينكح ما نكح أبوه¹، ومعنى إلا ما قد سلف: أي سوى ما قد سلف فإنه مغفور لكم².

والنحاس يبين أن قوله ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ليس استثناء من الأول، وهو على طريقة العرب نقول: ما زاد إلا ما نقص، وسيبويه يجعل "إلا" بمعنى "لكن"، والمعنى: لكن ما سلف فهو مغفور³. ومن الواضح أن أصحاب المعاني متفقون على أن الاستثناء في الآية منقطع، ولا يجوز حمله على الاستثناء المتصل لما يفيد ذلك من معنى فاسد، غير أن الاختلاف بينهم في اعتبار "ما" موصولة أو مصدرية، فالزجاج يذهب إلى أنها مصدرية، وهو الذي رجّحه الطبري، مستدلاً بأن العاقل يستعمل الاسم الموصول "من" في الدلالة عليه، وعلى ذلك يكون قوله "من النساء" من صلة قوله "ولا تتكحوا"، ويكون قوله "ما نكح آبؤكم" بمعنى المصدر، ويكون قوله: "إلا ما قد سلف" بمعنى الاستثناء المنقطع⁴.

وما ذهب إليه الزجاج وابن جرير يوسع في فهم الآية الكريمة، ليشمل معناها كل أنواع النكاح الفاسد التي كان ينكحها آبؤهم في الجاهلية مثل نكاح الشغار وغيره⁵.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّهَتْ نِسَائِكُمْ وَرَبَّيْنَكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾⁶ يبين الزجاج أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (2/ 33).

2 - المصدر السابق نفس الصفحة.

3 - النحاس، معاني القرآن (ج1/ 200).

4 - الطبري، جامع البيان (ج8/ 137).

5 - السمين الحلبي، الدر المصون (ج3/ 636).

6 - سورة النساء: الآية 23.

قَدْ سَكَفَ) يرجع إلى الربائب، ولا يصح أن يرجع إلى أمهات النساء أيضا، وعليه فالرجل إذا تزوج المرأة حرمت عليه أمها، دخل بها أو لم يدخل، وينقل هذا الرأي عن المبرد، ويستدل عليه بأن "الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا، لا يجوز النحويون: مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الطريقات، على أن تكون الطريقات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء"¹.

وعلى ضوء ما ذكره الزجاج فإن جمهور العلماء ذهب إلى أن الأم تحرم بالعقد على الابنة، ولا تحرم الابنة إلا بالدخول بالأم، وخالف في ذلك بعض السلف وذهبوا إلى أن الأم والربيبة سواء، لا تحرم منهما واحدة إلا بالدخول بالأخرى، وزعموا أن شرط الدخول راجع إلى الأمهات والربائب جميعا، وهذا قول علي وابن عباس وجابر وزيد ابن ثابت والزيبر ومجاهد².

ورد الطبري على أصحاب القول الثاني بأنه مخالف لإجماع الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه³، وردّه الألوסי بأنه يلزم عنه أن يكون الوصف لعاملي معمولين مختلفين، لأن إحداهما العامل فيه الإضافة، والأخرى العامل فيها حرف الجر، وقال: "ينبغي أن يُنزّه ساحة التنزيل عنه"⁴.

وكثيرا ما يكون التعويل على ملاحظة البيان القرآني دليلا على ضعف بعض الأقوال التي لها أثرها السلبي في الفكر والسلوك، ومن ذلك ما نجده عند بعض المفسرين من القول بأن المقصود

1 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 34).

2 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج5/ 106).

3 - الطبري، جامع البيان (ج8/ 146)، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (2/ 251).

4 - الألوסי، روح المعاني (ج2/ 466)، وانظر: السائيس، تفسير آيات الأحكام (ج1/ 423).

بالسفهاء النساء خاصة، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾¹.

وقد ناقش الزجاج ذلك بقوله: "والسفهاء يدلّ على أنّه لا يعني به النساء وحدهن، لأن النساء أكثر ما يستعمل فيهن جمع سفيهية وهو سفائه، ويجوز سفهاء، كما يقال فقيرة وفقراء"².

ولا ينبغي تفسير القرآن الكريم إلا على أفصح الوجوه وأحسنها، ولذا فالمعول عليه ما ذكره الزجاج أولاً من أنّ ورود كلمة "سفهاء" على وزن "فعلاء" يمنع من أن يكون المراد بها النساء، إذ لو كان ذلك المراد لقال سفائه.

وقد بيّن الطبري ذلك فقال: "وأما قول من قال: 'عنى بالسفهاء النساء خاصة'، فإنه جعل اللغة على غير وجهها. وذلك أن العرب لا تكاد تجمع 'فعللاً' على 'فعلاء' إلا في جمع الذكور، أو الذكور والإناث، وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم، جمعه على فعائل و'فعليلات'³.

ثم بيّن الطبري - رحمه الله - أن تفسير السفهاء بالنساء يتعارض مع سياق الآيات ونسقها، فقد قال سبحانه في الآية التي تلي هذه: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ⁴ وَدَخِلْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الذكور والإناث، ومعلوم أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم إليهم، غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم، فإذا كان ذلك كذلك، فبيّن أن 'السفهاء' الذين نهى الله

1 - سورة النساء: الآية 5.

2 - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج2/ 13).

3 - الطبري، جامع البيان (ج7/ 566).

4 - سورة النساء: الآية 6.

المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم، هم المستحقون الحجر لتضييع المال وإفساده ولا فرق بين الذكور والإناث في ذلك¹.

ومن صور التفسير الفقهي المستند إلى اللغة ما نجده في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾²، فقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ "خطاب للنبي عليه السلام والمؤمنون داخلون معه في الخطاب"³، والدليل على ذلك أنه سبحانه بعد مخاطب نبيه وجه الخطاب للأمة فقال: ﴿طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾⁴، وفائدة مجيء الخطاب على هذه الصورة الإشارة إلى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - إمام أمته وقودتهم، فكان هو وحده في حكم كلهم، وساداً مسدّ جميعهم⁵.

وقوله ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ معناه عند الزجاء: معناه إن أردتم الطلاق كما قال: ﴿إِذَا قُتِمَ إِلَى الصَّلَاةِ﴾⁶ معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وهو ما عبّر عنه الزمخشري بتنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه⁷.

وقوله سبحانه ﴿لِعَدَّتِهِنَّ﴾ يدلّ على طلاق السنة، "وطلاق السنة: أن يطلقها طاهراً في غير جماع"⁸.

1 - انظر: المصدر السابق: نفس الصفحة.

2 - سورة الطلاق: الآية 1.

3 - الزجاء، معاني القرآن (ج 5 / 183).

4 - المصدر السابق (ج 3 / 33).

5 - الزمخشري، الكشاف (4 / 552).

6 - سورة المائدة: الآية 6.

7 - الزمخشري، الكشاف (ج 4 / 552).

8 - الفراء، معاني القرآن (ج 3 / 162)، والزجاء، معاني القرآن وإعرابه (ج 5 / 183).

وقد بيّن الزمخشري وجه ذلك من الناحية البيانية فقال: "فطلقوهن مستقبلات لعدتهن، كقولك:

أتيته الليلة بقيت من المحرم، أي: مستقبلا لها ... وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها، فقد طلقت مستقبلة لعدتها"¹.

وبهذا يتضح ما للمنحى البياني من أثر كبير في توجيه الاستنباط الفقهي في المجالات المختلفة بما فيها ما يتعلق بالأسرة وأحكامها.

الخاتمة

© Arabic Digital Library / Zarmouk University

النتائج:

- 1- بدأت جذور التفسير البياني في تفسير النبي ﷺ والصحابة والتابعين واتسع البحث فيه على أيدي اللغويين والنحاة المتقدمين.
- 2- يوظف التفسير البياني الثقافة اللغوية والأدبية بمستوياتها المختلفة ويجعل منها جسراً يعبر به إلى معاني القرآن وهداية ومقاصده.
- 3- يتجاوز التفسير البياني البحث في المعنى المعجمي للمفردات، ودراسة وجوه الإعراب، والوقوف عند النكات البلاغية إلى دراسة جمال التصوير ودقة التعبير بما يتصل بالكشف عن المعاني الأساسية والثانية لآيات القرآن الكريم.
- 4- يمثل أصحاب المعاني حلقة مهمة في تاريخ التفسير البياني لتقدمهم الزمني، ولما لهم من منزلة رفيعة في علوم اللغة والبيان.
- 5- تجمع المفردة القرآنية بين دقة التعبير، واتساع المعنى، وتدفق الإيحاء، وهذه السمات تنبثق من معنى اللفظة وبنيتها وإيقاعها الصوتي وانسجامها مع لسياق الذي وردت فيه.
- 6- يمثل الاشتقاق أداة مهمة في تحديد معنى المفردة القرآنية والنفاذ إلى جمالياتها.
- 7- يشكل كل من البنية والدلالة نسيجاً جمالياً، ينتج عنه دقة التعبير وسمو المعنى وجمال التصوير، ومن عناصر ذلك معاني الأبنية وزيادات الأفعال.
- 8- كل كلمة في القرآن لها سماتها ومعناها الدقيقة الذي لا تعبر عنه كلمة أخرى، وقد عني أصحاب المعاني ببيان الفروق الدقيقة بين ما يُظن مترادفاً.
- 9- كانت نظرية النظم كما وضحها عبد القاهر مستكنة في وعي النحاة المتقدمين، وكان المعنى قبلة جهودهم، وكان الوقوف على أسرار النظم البوصلة لاكتشاف ذلك.
- 10- امتزج تفسير آيات العقيدة وآيات الأحكام بالتفسير البياني، وكانت أدوات البيان أساساً في توجيه المعنى.

- 1- أوصي أن تقوم دراسات متخصصة تستقصي جذور المنحى البياني في التفسير النبوي، وتفسير الصحابة والتابعين.
- 2- كما أوصي بأن تخصص دراسات عميقة لتناول المنحى البياني في التفسير عند المتقدمين من النحاة.
- 3- أن تقوم دراسات تستقصي أثر نظرية النظم التي أرسى أصولها عبد القاهر في كتب التفسير عبر القرون.
- 4- أن تبذل الجهود الجبارة من أجل الوصول إلى مخطوطات كتب معاني القرآن المفقودة حتى الآن، وفي حال تعذر الحصول على هذه المخطوطات فأوصي بالعمل الدؤوب على محاولة إعادة صياغتها على أقرب صورة ممكنة من الصورة التي أراد أصحابها من خلال تتبع النقول عنها في المصادر والمراجع.
- 5- أن تُفرد دراسات متخصصة في أثر الجانب البياني في مجالات التفسير المختلفة كالمجالين العقدي والفقه.
- 6- أن يُعاد نشر كتب معاني القرآن الأربعة بعد تحقيقها تحقيقاً علمياً يتناسب مع قيمتها ومكانتها.
- 7- أن تتضافر الجهود في كليات التفسير وعلوم القرآن مع أساتذة كليات اللغة العربية وآدابها من أجل مزيد من الخدمة والدراسة للقرآن الكريم.
- 8- أن يُدرس الاتجاه البياني في التفسير عند أصحاب المعاني على نحو يجمع بين الاستفادة من التراث، والانتفاع من مناهج الدرس اللغوي الحديث، بما يراعي قدسية القرآن وإعجازه.
- 9- أن يدرس الطلبة المتخصصون في التفسير مزيداً من المساقات التي توسّع من معرفتهم باللغة العربية، وترفع من ذوقهم الأدبي وإحساسهم الفني ليكون ذلك أداة تُوظف في علم التفسير.

- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السمين الحلبي: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المُسمّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.
- الزجاج، إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1/1988.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1/1995.
- الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1/2000 م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1/1984م.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1/1983.
- ابن فارس، أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1/1979.
- الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن المحقق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1.

- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8/2005 م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز، تحقيق: محمد علي النجار، منشورات: المجلس الأعلى لتحقيق التراث، ط1/1964.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: غريب القرآن، تحقيق: سيد صقر، دار الكتب العلمية، ط1/1978.
- القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد: حاشية القونوي على البيضاوي، دار الكتب العلمية، ط1/2001.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين: لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3/1414.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد: معاني القرآن، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ط1/2004.

فهرس الآيات والأحاديث

الآية	السورة + الآية	الصفحة
وَالصَّبْحَ إِذَا أَشْفَرُ	المدثر 34	4
وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ	الزخرف 63	7
وَكَذَلِكَ نَقُصِّصُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَتِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ	الأنعام 55	7
هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ	آل عمران 138	7
إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	الزخرف 3	14
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ	الشعراء 193 - 195	14
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ	البقرة 187	16
وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ	الواقعة 82	17
أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ	البقرة 266	17
ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ	البقرة 29	18
وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ	المسد 4	18
قَالَ يَقُولُوا لَهُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِيتِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِي	هود 28	19
مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ	البقرة 17	40
فَمَا رِيحَتْ يَجْدُرُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ	البقرة 16	40

40	سبا 33	بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ
45	التوبة 38	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالُكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقَلُّتُمْ
46	الأحزاب 49	ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ
46	البقرة 187	هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ
47	البقرة 213	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
47	النحل 120	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً
47	البقرة 212	رُبُّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
52	الأنفال 35	وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً
52	البقرة 259	قَالَ بَلْ لَيْسَتْ بِمِائَةِ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
54	الإسراء 8	وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا
54	طه 31	أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى
54	الفتح 29	وَمِثْلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَيْجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ
55	القيامة 11	كَلَّا لَا وَزَرَ
55	البقرة 187	يَبْلُغُكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا
56	الفرقان 60	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
57	المؤمنون 12	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ

57	البقرة 24	فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارُ
57	الغاشية 11	لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً
58	آل عمران 79	وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
59	الحجر 40	إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ
59	مريم 51	وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا
60	الفاطحة 4	تَبَارَكَ يَوْمَ الدِّينِ
60	شافر 16	لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ
61	الكهف 59	وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا
61	هود، 41	وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجِّنَا مِنْهَا وَمَرَسْنَاهَا
64	النور 15	إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
65	النور 22	وَلَا يَأْتَلِي أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ
67	الإسراء 47	نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ
67	آل عمران 14	زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
68	النساء 31	إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
68	الإسراء 80	وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
68	الدخان 51	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ
70	الدخان 25-26	كَذَ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ

70	المؤمنون 29	وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ
71	الأحزاب 13	وَلِذَآ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَبْأَهُلِ يَتْرَبِ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
71	الحج 2	يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
72	نوح 17	وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا
73	المزمل 8	وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِلًا
74	العنكبوت 69	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
75	هود 43	قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ
78, 75	الطارق 6	خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ
77, 75	الحاقة 21	فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
77, 75	القارعة 7	فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
76	هود 43	قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ
79	المائدة 3	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيسَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ
80	النساء 23	وَرَبَائِبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ
84	يوسف 4	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَبْتَئِثْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
81	فصلت 21	وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا
81	النمل 18	قَالَتْ نَمْلَةٌ يَبْتَأِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ

81	هود 63	قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَشَاءُهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ
81	يس 40	لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ
82	الحجر 73	فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ
82	الشعراء 60	فَأَنبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ
83	آل عمران 153	إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَحَدٍ
83	الصافات 94	فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ
83	البقرة 10	فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
84	البقرة 49	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
84	البقرة 132	وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ
84	يونس 28	وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَيَرَى بَيْنَهُمْ
85	النور 1	سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا
85	الشعراء 22	وَبَلَكَ نِعْمَةً تَمْنَاهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنَى إِسْرَءِيلَ
85	هود 5	أَلَا إِنَّهُمْ يُلْتَوْنَ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ
86	الفرقان 67	وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا
87	مريم 98	هَلْ نَحْشُرُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا
87	آل عمران 152	إِذْ تَخْسُونَهُمْ يَا ذَنبَهُ

88	البقرة 216	وَهُوَ كُزَّةٌ لَكُمْ
88	النساء 19	يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا
88	التوبة 53	قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ
88	الأحقاف 15	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا
89	البقرة 216	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُزَّةٌ لَكُمْ
89	فصلت 11	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَقْبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
89	آل عمران 83	وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
89	الرعد 15	وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
91	ص 41	وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ
93	المؤمنون 110	فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ
97, 93	ص 63	أَتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ
95, 93	الزخرف 32	نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
96	المؤمنون 110	فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ
100	الأعراف 150	أَعْمَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ
100	طه 84	وَعَمِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى
100	مريم 84	فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ

100	طه 114	وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ.
100	الكهف 58	لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ
101	طه 83	وَمَا أَغْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ
101	البقرة 203	فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ
101	يونس 50	مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ
102	البقرة 83	وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وِالَّذِينَ إِحْسَانًا
103	البقرة 187	أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ
103	يوسف 100	وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ
103	آل عمران 153	فَأَثْبَرَكُمُ عَمَّا يَفْعَمُ
104	آل عمران 75	وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ
104	البقرة 14	وَإِذَا حَلَلُوا إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُم
104, 107, 110	آل عمران 52	قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
104, 107, 110	الصف 14	قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
104, 109, 110	الأنبياء 77	وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
104	النساء 21	وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
105	يوسف 100	وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ

105	آل عمران 153	فَأَتَيْنَكُم عَمَّا يَغْمُرُ
106	آل عمران 75	وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ
106	يوسف 64	هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
106	البقرة 14	وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ
108	النساء 2	وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
109	طه 71	فَلَا تَقْطَعِ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ
109	الأنبياء 76	وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
110	البقرة 14	وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
110	آل عمران 75	وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ
110	طه 71	وَلَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ
112	النساء 2	وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
112	ص 24	قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ
113	الإنسان 6	عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا
113	الإنسان 5	إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا
113	الكهف 28	وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
114	النور 31	أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ
115	الروم 41	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

115	الأنعام 120	وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ
115	لقمان 20	وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
116	الفتح 28	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
116	الكهف 20	إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكَ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ
117	المائدة 41	وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ
118	إبراهيم 3	الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
128	البقرة 6	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
128	براءة 1	بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
129	البقرة 233	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
129	يوسف 60	فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ
129	الأحزاب 3	وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا
130	الصف 10	هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ بُعْثَرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
130	الصف 12	يَغْفِرْ لَكُمْ
130	الصف 11	لَيُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُجَاهِدُونَ
130	التوبة 64	يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ
130	البقرة 83	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
131	البقرة 233	لَا تُضَآرَّ وَابْنَةً بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ

131	النور 3	وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
132	التوبة 49	ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ
132	يونس 45	وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ
132	الكهف 5	كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا
133	محمد 20-21	فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً مُّحْكَمَةً ^١ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ ^٢ رَأَيْتَ الَّذِينَ الْقِتَالَ
134	الحجر 41	قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ
134	الفجر 14	إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْإِرْصَادِ
135	الرحمن 31	سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ
135	الأنعام 67	لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
136	هود 87	إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ
136	النور 51	إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
137	يوسف 33	وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ
137	التوبة 127	وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ
138	القصص 17	قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ
138	الواقعة 90-91	وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ
138	الأنعام 54	وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
138	المسد 1	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

139	النحل 91	وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا
141	المؤمنون 15-16	ثُمَّ لَئِنْ كُنْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَنَسْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ لَئِنْ كُنْتُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ
141	البقرة 37	فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
143	آل عمران 145	وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُوجَلًّا
143	الأحقاف 16	أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ
143	النبا 29	وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا
144	النساء 10	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ تُلَمًّا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
144	الحج 46	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
144	البقرة 196	فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ
144	آل عمران 167	يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ
144	الأنعام 38	وَلَا ظَلَمَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ
145	البقرة 282	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ
145, 146, 151	الحجر 30	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
145, 146, 151	ص 73	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
145	آل عمران 143	وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ
146	يوسف 4	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ

146	الحشر 17	فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ
146	البينة 6	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
146	الواقعة 10	وَالسَّافِقُونَ السَّافِقُونَ
147	الواقعة 11	أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ
147	الكهف 11	فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
147	الكهف 78	قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا
148	العنكبوت 14	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
149	البقرة 5	وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
149	آل عمران 159	فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ
149	الأحقاف 12	وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحِمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا عَرَبِيًّا
149	يوسف 61	قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهٖ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ
150	آل عمران 78	وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ
150	الأحقاف 33	أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيَّرْ بِخَلْقِهِنَّ
151	آل عمران 154	قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ
151	ص 82	قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
152	آل عمران 159	فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ
152	البقرة 26	إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا

152	آل عمران 159	فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ
152	المائدة 13	فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
152	النساء 155	فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ
153	الحديد 29	لِتَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ الْآيِقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ
153	الأعراف 35	يَبْقَىٰ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي
154	الزمر 43	أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا
154	الحج 63	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً
154	الإنسان 1	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا
155	النمل 60	أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ
155	يونس 50	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ
155	البقرة 28	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ
156	البقرة 175	أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ
157, 156	عبس 17	قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ
157	البقرة 258	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
158	الفرقان 45	أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ
158	الفيل 1	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ
158	الصفافات 156	أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ

158	الأحقاف 20	أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ
159	البقرة 170	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
159	النساء 41	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا
159	المائدة 109	يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا
159	المائدة 116	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ
160	الصفافات 149	فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَّيْكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ
160	الزخرف 5	أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ
160	الأنعام 63	قُلْ مَنْ يُجْحِبِكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجْعَلْنَا مِنْ هَٰذِهِ
161	العنكبوت 28	وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا
162	البقرة 28	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَتُونَا فَاحِيَةً كُنْتُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
162	ص 63	أَتُخَذَتِ لَهُمْ سَخِرَاتٌ أَمْ رَأَيْتَ عَنْهُمْ الَّابْصُرُ
162	التوبة 13	أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ
163	البقرة 30	قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
163	المائدة 2	وَإِذَا حُلِلْتُمْ فَاصْطَادُوا
163	الجمعة 10	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
163	التوبة 53	قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ
163	التوبة 80	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ

164	الأنعام 113	وَلْيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ
164	الأنعام 135	قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
164	هود 121	وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ
164	هود 122-123	وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
166	البقرة 165	وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ
166	الأنعام 27	وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ
167	يوسف 82	وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ
167	الزمر 73	حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
167	الرعد 31	وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ
168	يوسف 85	قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
169	فاطر 8	أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنِ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
169	النساء 127	وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى الْإِنْسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ
170	القيامة 3-4	أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ
171	يوسف 82	وَسَلِّ الْقَرْيَةَ
171	سبا 33	بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ
172	البقرة 16	أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِخَرْتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
172	محمد 21	فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ

173	سبا 33	بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ
174	الواقعة 17-22	يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفٍ وَابَارِقَ وَكَاسٍ مِنْ مَعِينِ ﴿١٨﴾
174	آل عمران 180	وَلَا يَحْصِنُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ
175	الحديد 10	لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ
175	البقرة 224	وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ
175	آل عمران 26	تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
176	يس 8	إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ
176	البقرة 182	فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ
176	الأنعام 155-156	وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾
178	الزمر 73	وَقَالَ لَهُمْ خِرْنُهَا سَلَّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ
178	البقرة 165	وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوَى الْعَذَابُ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
178	الرعد 31	وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ
179	الشمس 13	نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا
180	الزخرف 77	وَنَادَوْا بِمِلْكِكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ
181	النحل 81	وَجَعَلَ لَكُم سُرِّيْلَ تَقِيَكُمْ الْحَرَ وَسُرِّيْلَ تَقِيَكُمْ بَأْسَكُمْ
181	الأنعام 55	وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ
182	البقرة 171	وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ

183	يوسف 85	قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُلُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا
183	هود 118	وَلَا يَرَالُونَ مُخْلِيفِينَ
183	الرعد 31	وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
183	الحج 55	وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
184	التغابن 7	قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ
174	النحل 15	وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَنبِذَ بِكُمْ
187، 185	النساء 176	يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا
186	آل عمران 73	قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ
186	الزمر 55-56	وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ
186	المائدة 19	يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا
187	فاطر 41	إِنَّ اللَّهَ يُمِيتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا
187	الأعراف 155	وَأَخَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا
188	يوسف 9	أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا
188	البقرة 130	وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ
188	البقرة 233	وَلِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعَ أَوْلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
188	البقرة 235	وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ الْبَيْكَاكِجِ
189	البقرة 224	وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ

189	البقرة 230	فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا
190	البقرة 246	قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا
190	يوسف 65	هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا
190	النساء 90	أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ
190	البقرة 28	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ آمَوَاتًا فَأَخْيَسَكُمُ
191	النساء 90	أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ
192	الأعراف 73	وَالِئِنْ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا
192	الأنبياء 76	وَتَوْحَا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ
192	الأنبياء 87	وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا
192	العنكبوت 16	وَلِإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
192	ص 45	وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
192	البقرة 7	حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ
192	الجن 23	أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ
192	فاطر 27	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا
193	البقرة 51	وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً
193	البقرة 50	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ

193	الأنفال 26	وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ
193	الأعراف 86	وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ
193	البقرة 60	فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا
193	آل عمران 106	يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ
194	السجدة 12	وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
194	البقرة 127	وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ
194	نوح 1	إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
194	القمر 23-24	فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفِنُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ
194	يونس 10	وَعَاثِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
194	الأعراف 44	فَإِذْ مَوْذَنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
195	السجدة 12	وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
195	محمد 4	فَإِذَا لَفِئَتُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فُضِّبَ الرِّقَابُ
196	يوسف 79	قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ
196	العنكبوت 22	وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
196	النساء 35	وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا
196	الأنعام 94	لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ
197	الإنسان 20	وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعَمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا

197	البقرة 154	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ
197	الكهف 22	سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ
198	النساء 171	فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ
200	الطارق 13	إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ
200	لقمان 14	وَفَصْلُهُ فِي عَامَتَيْنِ
200	البقرة 249	فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ
200	يوسف 94	وَلَمَّا فَصَلَ الْعِمْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ
201	الصافات 21	﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾
201	الحج 17	إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
201	الرعد 21	وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ
201	القصص 51	وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
204	إبراهيم 6	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ
204	البقرة 49	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
206	الفرقان 68-69	وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
206	البقرة 67	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هَذَا
206	الذاريات 31-32	قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ
206	هود 27-28	فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ

206	الشعراء 25-26	قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ
207	آل عمران 91	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ
207	الزمر 73	وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا
207	الزمر 71	وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا
208	ص 50	جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْلَحَةٍ لَمْ يَلْبَسُوا فِيهَا
210	البقرة 7	خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
210	آل عمران 7	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
211	الأعراف 53	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا نَأْوِيَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ
212	يوسف 100	يَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رَأْيِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا
212	الواقعة 17 - 22	يَلُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِلَّذِينَ تَحْلِلُونَ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ
213	البقرة 197	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ
215	هود 71	فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ
216	فاطر 27	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ
216	الأعراف 11	وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
217	الأعراف 172	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ
221	الشورى 11	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
221	الحج 73	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

223	البقرة 15	اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ
223	الأعراف 182	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ
223	الشورى 40	وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا
223	البقرة 19	أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ
224	الصفافات 147	وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُوكَ
224	النجم 9	فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
225	الكهف 12	ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَرِيِّينَ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا
225	آل عمران 142	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ
226	الكهف 45	وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا
226	النساء 99	فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا
227	آل عمران 54	وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ
227	البقرة 138	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ
228	النساء الآية 142	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ
228	آل عمران 54	وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ
228	البقرة 15	اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
228	البقرة 194	فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ
228	التوبة 79	فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ

229	المائدة 112	إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا
232	الروم 27	وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي
233	الكهف 26	قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا
233	النساء 85	وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا
235	آل عمران 7	وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ
235	الأعراف 53	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ
237	البقرة 29	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
238	القلم 42	يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
239	الزمر 67	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
239	النساء 36	وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
241	النور 35	اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ نُورِهَا مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ نُورِهَا وَمِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ نُورِهَا
1242	الذاريات 47	وَأَسْمَاءَ بَيَّنَّتْهَا بِأَيِّدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ
242	البقرة 87	وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
242	ص 45	أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ
243	المائدة 64	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ
243	الطور 48	وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا
243	هود 37	وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا

244	البقرة 174	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
245	البقرة 154	وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ آمُوتْ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ
245	الزمر 42	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا
245	الأنعام 122	أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي
245	البقرة 74	وَلَإِن مِّنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِنهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ
246	الحشر 21	لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَضْبًا مُّتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
246	الحج 18	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
246	الحشر 24	يُسَبِّحُ لَهُ. مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
246	الأنبياء 79	وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ
246	الإسراء 44	نُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا
248, 249, 251	القيامة 22-23	وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ
248	القيامة 24-25	وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ
248, 252	الأنعام 103	لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُهَا أَلَا بَصِيرٌ
249	الأعراف 143	وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي
249	القيامة 12	إِن رَّبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَفَرُّ
249	القيامة 30	إِن رَّبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَافِرُ

249	الشورى 53	أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ
250	هود 88	عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
253، 251	المطففين 15	كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ
253	يونس 26	لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعْتَهُمْ زَوْجًا مَّطَّوَّرًا وَلَا يَرَبُّهُمُ ظَنُنُّهُمُ فَذَرُوا ذُلَّهُ أُوْلِيكَ أَخَذْتُ
254	الزمر 69	وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
256	النساء 164	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا
257	مريم 52	وَنَدَبْتُهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًا
259	الفرقان 37	وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَخْرَجْنَاهُمُ مِنَّا مَائِدَةً وَأَعْتَدْنَا
260	الأنعام 76-78	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ
261	البقرة 127	وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
261	القصص 62، 74	وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ
261	الضحى 7	وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ
261	الصفافات 84	إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
261	الأنعام 77	لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
262	سبا 24	قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِآبَائِكُمْ لَعَلَّ هُدًى
263	الأنبياء 87	وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَكَاذَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ
264	الرعد 26	اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

265	الصفات 140	إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
271	الشعراء 34-35	قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
272	الحج 28	فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ
272	المائدة 2	وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
273	- النور 33	وَالَّذِينَ يَبْنِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا
273	البقرة 145	وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ
274	الطلاق 1	يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ
274	الأعراف 2-3	كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صُدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِنَذِيرٍ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
274	التحریم 1-2	يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
275	النساء 11	فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُشُ
275	التحریم 4	إِنْ تُنُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا
275	المائدة 38	وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا
276	النساء 176	وَلَا يَكُونَا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ
276	النور 2	وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ
278	النحل 98	فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
278	المائدة 6	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
279	آل عمران 43	يَمْرُئِهِ أَفْتَى لِّرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ

282	المائدة 6	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
283	آل عمران 52	مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
283	الصف 14	مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
283	البقرة 187	ثُمَّ آتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ
284	البقرة 185	فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
284	النساء 43	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ
285	البقرة 115	وَالْعَرْبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
286	الكهف 40	فَنُصِصَ صَعِيدًا زَلَقًا
288	البقرة 196	وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ
292	البقرة 196	فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ
292	النساء 5	وَلَا تُولُوا السُّفَهَاءَ ءَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا
292	البقرة 41	وَلَا تَشْرَوْا بِهَابَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ
293	يوسف 20	وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ
293	البقرة 16	أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ
293	البقرة 86	أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
294	البقرة 282	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِ

294	الحجر 30	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
295	المائدة 2	وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
295	الجمعة 11	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا
299	البقرة 283	فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُم بِمَعْصَاةٍ فُلْيُودٍ الَّذِي آوَىٰ مَنْ أَمَنَّا مِنْهُ وَلَيَسَّ عَلَى اللَّهِ رَبُّهُ
300	النساء 22	وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ
302	النساء 23	وَأَمْهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ
302	النساء 5	وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ
302	النساء 6	وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ
303	الطلاق 1	يَتَأَيَّمَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ
303	المائدة 6	إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار	16
إنكم سترون ربكم	254
أنتم الغر المحجلون ...	283

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

This thesis investigates the intellectual contribution in the field of Quran Lingual Interpretation (*tafsir*) of the authors of the four classical "Meanings of Quran" reference books: *Al-Akhfash*, *Al-Farra'*, *Al-Zaggage*, and *Al-Nahhass*. It discusses their methodology of researching lexicons and semantics, and the application thereof in Quran interpretation.

The thesis defined the concept of lingual interpretation, summarized its historical development, listed the major publications on "Meanings of the Quran", and introduced the four classical authors mentioned above.

In terms of lexicons, the thesis investigated both structure and meaning; covering: derivation, semantics, and meanings of derivative structures in verbs, and the resulting stretching in lingual meanings. The thesis also noted the early efforts of the four classical authors in using these concepts.

Furthermore, this thesis discussed the authors' contribution to the study of structure semiotics and semantics. It defined the theory of semantics, and explored two sides of which: inter-sentence and intra-sentence. Under the first concept, it explored omissions, inclusions, structure advancement and recession. Under the second, it investigated separating and linking sentences.

The topics also addressed the impact of lingual interpretation over Quran Interpretations focusing on creed and *Fiqh* (Islamic Jurisprudence). The thesis also showed the impact of using lingual concepts in the clarification of Quran meanings as addressed by these authros.

The thesis concluded with conclusions and recommendations.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University